PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR>
32101 017791714

2271
.5053
.361

DATE ISSUED | DATE DUE | DATE ISSUED | DATE DUE

DUE JUN 15 1950

DUE JUN 15

'Amr ibn-Baḥr ibn-Maḥbub al-Jāḥiẓ

المحاسن والأضداد

عبد الرحمن محمد

تأليف

﴿ أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري ﴾

﴿ إمام أهل الادب المتوفي سنة ٢٥٥ ﻫ ﴾

﴿ الطبعة الثالثة ﴾

سنة ١٣٣١ ﻫ

﴿ على نفقة المكتبة الجديدة لصاحبها ﴾

﴿ ابراهيم سليم ﴾

﴿ ادارة عبد الرؤف السنكرى ﴾

الكائنة بشارع الحلوجى بمصر

طبع بمطبعة الجمالية - بمصر

2271
.5053
.361

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله أجمعين

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ * انى ربما ألفت الكتاب الحكم المتقن فى الدين والفقه والرسائل والسيرة والخطب والخراج والاحكام وسائر فنون الحكمة وأنسبه الى نفسى فيتواطأ على الطعن فيه جماعة من أهل العلم بالحسد المركب فيهم وهم يعرفون براعته وفصاحته وأكثر ما يكون هذا منهم اذا كان الكتاب مؤلفا لملك معه المقدرة على التقديم والتأخير والحط والرفع والترهيب والترغيب فانهم يهتاجون عند ذلك اهتياج الابل المغلمة فان أمكنتهم الحيلة فى اسقاط ذلك الكتاب عند السيد الذى ألف له فهو الذى قصدوه وأرادوه وان كان السيد المؤلف فيه الكتاب نحريراً نقاباً وقريساً بليغاً وحاذقاً فطناً وأعجزتهم الحيلة سرقوا معانى ذلك الكتاب وألفوا من اعراضه وحواشيه كتاباً وأهدوه الى ملك آخر ومتوا اليه به وهم قد ذموه وثلبوه لما رأوه منسوباً الى وموسوماً بى .. وربما ألفت الكتاب الذى هو دونه فى معانيه وألفاظه فأترجمه باسم غيرى وأحيله على من تقدمنى عصره مثل ابن المقفع والخليل وسلم صاحب بيت الحكمة ويحيى بن خالد والعتابى ومن أشبه هؤلاء من مؤلفى الكتب فيأتينى أولئك القوم بأعيانهم الطاعنون على الكتاب الذى كان أحكم من هذا الكتاب لاستنساخ هذا الكتاب وقراءته على ويكتبونه بخطوطهم ويصيرونه إماماً يقتدون به ويتدارسونه بينهم ويتأدبون به ويستعملون ألفاظه ومعانيه فى كتبهم وخطاباتهم ويروونه عنى لغيرهم من طلاب ذلك الجنس فتثبت لهم به رياسة يأتيهم قوم فيه لانه لم يترجم باسمى ولم ينسب الى تأليفى .. وهذا كتاب وسمته (بالمحاسن والاضداد) لم أسبق الى نحلته ولم يسألنى أحد صنعه ابتدأته بذكر محاسن الكتابة والكتب وخفته فى ذكر شئ من محاسن الموت والله يكلأ ومن حاسد اذا حسد

﴿ محاسن الكتابة والكتب ﴾

كانت العجم تقيد مآثرها بالبنيان والمدن والحصون مثل بناء أزدشير وبناء اصطخر وبناء المدائن والسدير والمدن والحصون .. ثم ان العرب شاركت العجم فى البنيان وتفردت بالكتب والاخبار والشعر والآثار فلها من البنيان غمدان وكعبة نجران وقصر مارب وقصر مارد وقصر شعوب والابلق الفرد وغير ذلك من البنيان : وتصنيف الكتب أشد تقييدا للمآثر على ممر الايام والدهور من البنيان لان البناء لا محالة يدرس وتعفى رسومه والكتاب باق يقع من قرن الى قرن ومن أمة الى أمة فهو أبدا جديد والناظر فيه مستفيد وهو أبلغ فى تحصيل المآثر من البنيان والتصاوير : وكانت العجم تجعل الكتاب فى الصخور ونقشا فى الحجارة وخلقة مركبة فى البنيان فربما كان الكتاب هو الباقى وربما كان هو المحفور اذا كان ذلك تاريخا لامر جسيم أو عهدا لامر عظيم أو موعظة يرتجى نفعها أو احياء شرف يريدون تخليد ذكره كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القير وان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مارب وعلى ركن المشقر وعلى الابلق الفرد وعلى باب الرها يعمدون الى المواضع المشهورة والاماكن المذكورة فيضعون الخط فى أبعد المواضع من الدثور وأمنعها من الدروس وأجدر أن يراه من مر به ولا ينسى على وجه الدهور . ولولا الحكم المحفوظة والكتب المدونة لبطل أكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر ولما كان للناس مفزع الى موضع استذكار ولو لم يتم ذلك لحرمنا أكثر النفع . ولولا ما رسمت لنا الاوائل فى كتبها وخلدت من عجيب حكمتها ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم نكن ندركه الا بهم لقد بخس حظنا منه وأهل العلم والنظر وأصحاب الفكر والعبر والعلماء بمخارج الملل وأرباب النحل وورثة الانبياء وأعوان الخلفاء يكتبون كتب الظرفاء والصلحاء وكتب الملاهى وكتب أعوان الصلحاء وكتب أصحاب المراء والخصومات وكتب السخفاء وحمية الجاهلية ،، ومنهم من يفرط فى العلم أيام حمله وترك ذكره وحداثة سنه ،، ولولا جياد الكتب وحسانها لما تحركت هم هؤلاء لطلب العلم ونازعت الى حب الكتب وأنفت من حال الجهل وان يكونوا فى غمار الوحش ولدخل عليهم من الضرر والمشقة وسوء الحال ما عسى أن يكون لا يمكن الاخبار عن مقداره الا بالكلام الكثير ،، وسمعت محمد بن الجهم يقول اذا غشيني النعاس فى غير وقت النوم تناولت كتابا فأجد اهتزازى للفوائد الاريحية التى تعتريني من سرور الاستنباه وعز التبين أشد إيقاظا من نهيق الحمار وهدة الهدم فانى اذا استحسنت كتابا

686302

واستجدته و رجوت فائدته لم أوثر عليه عوضا ولم أبغ به بدلا فلا أزال أنظر فيه ساعة بعد ساعة كم بقي من ورقه مخافة استنفاده و انقطاع المادة من قبله ،، وقال ابن داحة كان عبدالله بن عبد العزيز بن عبدالله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس فنزل مقبرة من المقابر وكان لا يزال في يده كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فقال لم أر أوعظ من قبر ولا آنس من كتاب ولا أسلم من الوحدة ،، وأهدى بعض الكتاب الى صديق له دفتراً وكتب معه . هديتي هذه أعزك الله تزكو على الانفاق وتربو على الكد لا تفسدها العواري ولا تخلقها كثرة التقليب وهي إنس في الليل والنهار والسفر والحضر تصلح للدنيا والآخرة تؤنس في الخلوة وتمنع من الوحدة مسامر مساعد ومحدث مطاوع ونديم صدق . وقال بعض الحكماء الكتب بساتين العلماء ،، وقال آخر .. الكتاب جليس لا مؤنة له ،، وقال آخر الكتاب جليس بلا مؤنة .. وقال آخر ذهبت المكارم الا من الكتب

﴿قال الجاحظ﴾ .. وأنا أحفظ وأقول : الكتاب نعم الذخر والعقدة والجليس والعمدة ونعم النشرة ونعم النزهة ونعم المشتغل والحرفة ونعم الانيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل والزميل ونعم الوزير والنزيل . والكتاب وعاء ملىء علماً وظرف حشي ظرفا واناء شحن مزاحا إن شئت كان أعيي من باقل وان شئت كان أبلغ من سحبان وائل وان شئت سرتك نوادره وشجتك مواعظه ومن لك بواعظ مُلهٍ وبناسك فاتك وناطق أخرس ومن لك بطبيب اعرابي و رومي هندي وفارسي يوناني ونديم مولد ونحيب ممتع ومن لك بشيء يجمع الاول والآخر والناقص والوافر والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والغث والسمين والشكل وخلافه والجنس وضده . و بعد فما رأيت بستانا يحمل في ردن و روضة تنقل في حجر ينطق عن الموتى و يترجم عن الاحياء ومن لك بمؤنس لا ينام الا بنومك ولا ينطق الا بما تهوى آمن من الارض وأكتم للسر من صاحب السر وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة ولا أعلم جارا آمن ولا خليطا أنصف ولا رفيقا أطوع ولا معلما أخضع ولا صاحبا أظهر كفاية وعناية ولا أقل املالا ولا ابراما ولا أبعد من مراء ولا أترك لشغب ولا أزهد في جدال ولا أكف عن قتال من كتاب ولا أعم بيانا ولا أحسن مواتاة ولا أعجل مكافاة ولا شجرة أطول عمرا ولا أطيب ثمرا ولا أقرب مجتنى ولا أسرع ادراكا ولا أوجد في كل إبان من كتاب ولا أعلم نتاجا في حداثة سنه وقرب ميلاده و رخص ثمنه و إمكان وجوده بمجمع من السير العجيبة والعلوم الغريبة وآثار العقول الصحيحة ومحمود الاذهان اللطيفة ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة والاخبار عن القرون الماضية والبلاد النازحة والامثال السائرة والامم البائدة ما يجمعه كتاب . ومن لك بزائر إن شئت كانت زيارته غبا و ورده خمسا و إن شئت

لزمك لزوم ظلك وكان منك كبعضك . والكتاب هو الجليس الذى لا يُطريك والصديق الذى لا يقليك والرفيق الذى لا يملّك والمستمع الذى لا يستزيدك والجار الذى لا يستبطئك والصاحب الذى لا يريد استخراج ماعندك بالملق ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق . والكتاب هو الذى ان نظرت فيه أطال امتاعك وشحّذ طباعك وبسط لسانك وجوّد بيانك وفخّم ألفاظك ويجّح نفسك وعمر صدرك ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك يطيعك بالليل طاعته بالنهار وفى السفر طاعته فى الحضر وهو المعلم إن افتقرت اليه لم يحقرك وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة وإن عزلت لم يدع طاعتك وإن هبت ريح أعدائك لم ينقلب عليك ومتى كنت متعلقاً منه بأدنى حبل لم تضطرك معه وحشة الوحدة إلى جليس السوء وإنّ أمثل مايقطع به الفُرّاغ نهارهم وأصحاب الكفايات ساعات ليلهم نظر فى كتاب لا يزال لهم فيه ازدياد فى تجربة وعقل ومروءة وصون عرض وإصلاح دين وتثمير مال وربح صنيعة وابتداء إنعام . ولو لم يكن من فضله عليك وإحسانه اليك الا منعه لك من الجلوس على بابك والنظر الى المارة بك مع مافى ذلك من التعرض للحقوق التى تلزم ومن فضول النظر وملابسة صغار الناس ومن حضور ألفاظهم الساقطة ومعانيهم الفاسدة وأخلاقهم الردية وجهالهم المذمومة لكان فى ذلك السلامة والغنيمة واحراز الاصل مع استفادة الفرع ولو لم يكن فى ذلك الا أنه يشغلك عن سخف المنى واعتياد الراحة وعن اللعب وكل ماتشتهيه لقد كان له فى ذلك على صاحبه أسبغ النعم وأعظم المنة . وجملة الكتاب وان كثر ورقه فليس مما يمل لانه وان كان كتابا واحداً فانه كتب كثيرة فى خطابه والعلم بالشريعة والاحكام والمعرفة بالسياسة والتدبير ، وقال مصعب بن الزبير . ان الناس يتحدثون باحسن مايحفظون ويحفظون أحسن مايكتبون ويكتبون أحسن مايسمعون فاذا أخذت الادب فخذه من أفواه الرجال فانك لا ترى ولا تسمع الا مختاراً ولؤلؤاً منظوماً . وقال لقمان لابنه يابنى نافس فى طلب العلم فانه ميراث غير مسلوب وقرين غير مغلوب وتفيس حظ من الناس وفى الناس مطلوب ،، وقال الزهرى . الادب ذكر لا يحبه الا الذكور من الرجال ولا يبغضه الا مؤنثهم ،، وقال . اذا سمعت أديباً كتبه ولو فى حائط ، وقال منصور ابن المهدى للمأمون . أيحسن بنا طلب العلم والادب قال : والله لان أموت طالبا للادب خير لى من أن أعيش قانعا بالجهل قال : فالى متى يحسن بى ذلك قال ماحسنت الحياة بك .

﴿ ضده ﴾

الحديث المرفوع رحم الله عبداً أصلح من لسانه . وكان الوليد بن عبد الملك لُحَنَةً فدخل عليه اعرابى يوما فقال انصفنى من ختنى يا أمير المؤمنين فقال ومن ختنك قال رجل من الحى لا

اعرف اسمه فقال عمر بن عبد العزيز أن امير المؤمنين يقول لك من ختنك فقال هو ذا بالباب فقال الوليد لعمر ما هذا قال النحو الذى كنت أخبرتك عنه . قال لا جرم فانى لا أصلى بالناس حتى اتعلمه . قال وسمع اعرابى مؤذنا يقول : أشهد أن محمدا رسول الله فقال يفعل ماذا قال وقال رجل لزياد : أيها الامير إن أبينا هلك وان أخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا فقال زياد ما ضيعت من تهسك اكثر مما ضاع من ميراث أبيك فلا رحم الله أباك حيث ترك ابنا مثلك . وقال مولى لزياد : أيها الامير احذوا لنا هما روهش ، فقال : ما تقول ، فقال احذوا لنا ابرا ، فقال زياده . الاول خير من الثانى ،، قال واختصم رجلان الى عمر بن عبد العزيز فجعلا يلحنان فقال الحاجب . قد قد أودينا أمير المؤمنين ، فقال عمر للحاجب . أنت والله اشد اذاء منهما ،، قال وقال بشر المريسى وكان كثير اللحن : قضى لكم الامير على أحسن الوجوه وأهنؤها ، فقال القاسم النهار هذا على قوله .

إنّ سليمى والله يكلؤها * ضنت بشىء ما كان يرزؤها

فكان احتجاج القاسم أطيب من لحن بشر ،، قال وكان زياد النبطى شديد اللكنة وكان نحويا فدعى غلاما ثلاثا فلما أجابه قال . من لدن دأوتك الى أن ديتنى ما كنت تصنأ ، يريد دعوتك وجئتنى وتصنع ،، ومر ماسرجويه الطبيب بمعاذ بن مسلم فقال . ياماسرجويه انى لاجد فى حلقى بحاحاً قال هو من عمل بلغم ، فلما جاوزه قال ترانى لا أحسن أن أقول بلغم ولكنه قال بالعربية فاجبته بضدها .

﴿ محاسن المخاطبات ﴾

حكوا عن ابن القرية ،، انه دخل على عبد الملك بن مروان فبينا هو عنده اذ دخل بنو عبد الملك عليه فقال : من هؤلاء الفتية يا أمير المؤمنين ، قال ولد أمير المؤمنين ، قال . بارك الله لك فيهم كما بارك لابيهم فيك و بارك لهم فيك كما بارك لك فى أبيك ، قال فشحن فاددرا ،، قال وقال عمارة بن حمزة لابى العباس وقد أمر له بجوهر نفيس وصلك الله يا أمير المؤمنين و برك فوالله لئن أردنا شكرك على انعامك ليقصرن شكرنا عن نعمتك كما قصر الله بنا عن منزلتك ،، قيل ودخل اسحاق بن ابراهيم الموصلى على الرشيد فقال مالك قال

سَوَامِى سَوَامُ المُكْثِرِينَ تَجَمُّلاً * ومالى كما قد تعلمينَ قليلُ
وَامْرَأَةٍ بالبُخْلِ قالتْ لها اقْصِرِى * فذلكِ شىءٌ ما إليه سَبيلُ
وكيفَ أخافُ الفَقْرَ أوْ أحْرِمُ الغِنا * ورأىُ أميرِ المؤمنينَ جميلُ
أرَى الناسَ خِلاًّ للجَوادِ ولا أرَى * بَخيلاً له فى العالمينَ خليلُ

فقال الرشيد : هذا والله الشعر الذى صحت معانيه وقويت أركانه ومبانيه ولذ على أفواه القائلين واسماع السامعين يا غلام احمل اليه خمسين ألف درهم ، قال اسحق . يا أمير المؤمنين كيف أقبل صلتك وقد مدحت شعرى بأكثر مما مدحتك به ، قال الاصمعى . فعلمت انه أصيد للدراهم منى ،، قال ودخل المأمون ذات يوم الديوان فنظر الى غلام جميل على أذنه قلم فقال من أنت ، قال . أنا الناشىء فى دولتك المتقلب فى نعمتك المؤمل لخدمتك الحسن بن رجاء ، فقال المأمون . بالاحسان فى البديهة تتفاضل العقول برفع عن مرتبة الديوان الى مراتب الخاصة و يعطى مائة ألف درهم تقويه له ،، قال . ووصف يحيى بن خالد الفضل بن سهل وهو غلام على المجوسية للرشيد وذكر أدبه وحسن معرفته فعمل على ضمه الى المأمون فقال ليحيى يوماً . أدخل الى هذا الغلام المجوسى حتى أنظر اليه فاوصله فلما مثل بين يديه ووقف تحير فأراد الكلام فارتج عليه فادركته كبوة فنظر الرشيد الى يحيى نظرة منكرة لما كان تقدم من تقريظه اياه فانبعث الفضل بن سهل فقال . فقال يا أمير المؤمنين ان من أبين الدلائل على فراهة المملوك شدة افراط هيبته لسيده ، فقال له الرشيد . أحسنت والله لئن كان سكوتك لتتول هذا انه لحسن ولئن كان شيئاً أدركك عند انقطاعك انه لاحسن وأحسن ثم جعل لا يسأله عن شىء الا رآه فيه مقدما فضمه الى المأمون ،، قال وقال الفضل بن سهل للمأمون وقد سأله حاجة لبعض أهل بيوتات دهاقين سمرقند كان وعده تعجيل انفاذها فتأخر ذلك . هب لوعدك مذكراً من نفسك وهنىء سائلك حلاوة نعمتك واجعل ميلك الى ذلك فى الكرم حثاً على اصطناع شكر الطالبين تشهد لك القلوب بحقائق الكرم والالسن بنهاية الجود ، فقال . قد جعلت اليك اجابة سؤالى عنى بما ترى فيهم وآخذك فى التقصير فيما يلزم لهم من غير استئمار أو معاودة فى اخراج الصكاك من أحضر الاموال متناولا قال اذ الا تجدى معرفتى بما يجب لامير المؤمنين الهناء به بما يديم له منهم حسن الثناء و يستمد بدعائهم طول البقاء ،، وقال الفضل بن سهل للمأمون .. يا أمير المؤمنين اجعل نعمتك صائنة لوجوه خدمك عن اراقة مائها فى غضاضة السؤال فقال والله لا كان ذلك الا كذلك ،، قال ودخل العتابى على المأمون فقال .. خبرت بوفاتك فغممتنى ثم جاءنى وفادتك فسرتنى فقال يا أمير المؤمنين كيف أمدحك أم بماذا أصفك ولا دين الا بك ولا دنيا الا معك قال سلنى ما بدا لك قال يداك بالعطية أطلق من لسانى بالمسألة ،، قال وقدم السعدى أبو وجزة على المهلب بن أبى صفرة . فقال اصلح الله الامير انى قد قطعت اليك الدهناء وضربت اليك آباط الابل من يثرب قال فهل اتيتنا بوسيلة أو عشرة أو قرابة قال لا ولكنى رأيتك لحاجتى اهلا فان قمت بها فاهل ذلك وان يحل دونها حائل لم أذمم يومك ولم اياس من غدك فقال المهلب يعطى ما فى

بيت المال فوجد مائة الف درهم فدفعت اليه فاخذها . وقال .

يامن على الجودِ صاغَ اللهُ راحتهُ * فليس يُحسنُ غيرَ البذلِ والجودِ
عمَّت عطاياك مَن بالشرقِ قاطبةً * فأنتَ والجودُ منحوتان من عودِ

وقد يجب على العاقل الراغب فى الادب ان يحفظ هذه المخاطبات و يدمن قراءتها .. وقد قال الاصمعى

أما لو أعى كلَّ ما أسمعُ * وأحفظُ مِنْ ذاكَ ما أجمعُ
ولم أستفدْ غيرَ ماقدْ جمعْتُ * لقيلَ أنا العالمُ المقنعُ
ولكنَّ نفسى إلى كلِّ شىءٍ * مِنَ العلمِ تسمعُهُ تنزعُ
فلا أنا أحفظُ ماقدْ جمعْتُ * ولا أنا مِنْ جمعِهِ أشبعُ
وأقعدُ للجهلِ فى مجلسٍ * وعلمى فى الكُتبِ مستودَعُ
ومَنْ يكُ فى علمِهِ هكذا * يكنْ دهرَهُ القهقرَى يرجعُ
يضيعُ مِنَ المالِ ماقدْ جمعْت * وعلمُكَ فى الكُتبِ مستودَعُ
إذا لمْ تكُنْ حافظاً واعياً * فجمعُكَ للكُتبِ ماينفعُ

وقال بعضهم .. الحفظ مع الاقلال امكن وهو مع الاكثار ابعد وتغير الطبائع زمن رطوبة الغصن اقبل .. وفيها قال الشاعر

أتانى هواها قبلَ أنْ أعرفَ الهوى * فصادفَ قلباً خالياً فتمكنا

وقيل ،، العلم فى الصغر كالنقش فى الحجر والعلم فى الكبر كالعلامة على المدر .. فسمع ذلك الاحنف فقال الكبير أكثر عقلا ولكنه أكثر شغلا .. كما قال

وإنَّ مَنْ أدَّبتَهُ فى الصِّبى * كالعُودِ يُسقَى الماءَ فى غَرْسِهِ
حتى تَرَاهُ مُورِقاً ناضِراً * بعدَ الذى أبصرْتَ مِنْ يُبْسِهِ

والصبى عن الصبى افهم وهو له آلف واليه انزع .. وكذلك العالم عن العالم والجاهل عن الجاهل .. وقال الله تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) لان الانسان عن الانسان أفهم وطباعه بطباعه آنس

﴿ ضده ﴾

قال ،، دخل أبو علقمة النحوى على أعين الطبيب فقال .. انى أكلت من لحوم الجوازى

وطسئت طساة فاصابنى وجع بين الوابلة الى دأية العنق فلم يزل يربو ويفوحتى خالط الشراسيف فهل عندك دواء . . قال نعم خذ خوفقا وسربقا وورقرقا فاغسله واشربه بماء فقال لا أدرى ماتقول قال ولا انا دريت ماقلت . . قال وقال يوما آخر انى أجد معمعة فى قلبى وقرة فى صدرى فقال له أما المعمعة فلا أعرفها وأما القرقرة فهى ضراط غير نضيج . . قال وأتى رجل الهيثم بن العريان بغريم له قد مطله حقه فقال أصلح الله الامير إن لى على هذا حقا قد غلبنى عليه فقال له الآخر أصلحك الله ان هذا ابا عنى عنجد اواستنسأته حولا وشرطت عليه أن أعطيه مياومة فهو لا يلقانى فى لقم الا اقتضانى ذهبا فقال له الهيثم امن بنى أمية أنت قال لا قال افمن بنى هاشم أنت قال لا قال أفمن اكفائهم من العرب قال لا قال و يلى عليك انزعوا ثيابه فلما أرادوا أن ينزعوا ثيابه قال اصلحك الله أن إزارى مرعبل قال دعوه فلو ترك الغريب فى موضع لتركه فى هذا الموضع . . قال ومر أبو عاتمة ببعض الطرق فهاجت به مرة فوثب عليه قوم فجعلوا يعصرون ابهامه ثم يؤذنون فى أذنه فافلت من أيديهم فقال مالكم تتكاكأون على تكاكؤكم على ذى جنة افرنقعوا عنى فقال رجل منهم ندعوه فان شيطانه يتكلم بالهندية . . قال وقال لحجام نجمه اشدد قصب الملازم وارهف ظبة المشارط وخفف الوضع وعجل النزع وليكن شرطك وخزا ومصك نهزا ولا تكرهن ابيا ولا تردن اتيا فوضع الحجام محاجمه فى جونته وانصرف

﴿محاسن المكاتبات﴾

قال كعب العبسى لعروة بن الزبير . . قد أذنبت ذنبا الى الوليد بن عبد الملك وليس يزيل غضبه شىء فاكتب لى اليه فكتب اليه . . لو لم يكن لكعب من قديم حرمته ما يغفر له عظيم جريرته لوجب أن لا تحرمه التفيؤ بظل عفوك الذى تأمله القلوب ولا تعلق به الذنوب وقد استشفع بى اليك فوثقت له منك بعفو لا يخالطه سخط فحقق أمله وصدق ثقتى بك تجد الشكر وافيا بالنعمة فكتب اليه الوليد . . قد شكرت رغبته اليك وعفوت عنه لعوله عليك وله عندى ما يحب فلا تقطع كتبك عنى فى أمثاله وفى سائر أمورك . . وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الى بعض اخوانه . . أما بعد فقد عاقنى الشك عن عزيمة الرأى ابتدأتنى بلطف من غير خبرة ثم أعقبتنى جفاء من غير ذنب فاطمعنى اولك فى إحسانك وأيأسنى آخرك من وفائك فلا انا فى غير الرجاء مجمع لك إطراحا ولا فى غد انتظره منك على ثقة فسبحان من لو شاء كشف إيضاح الرأى فيك فاقمنا على ائتلاف أو افترقنا على اختلاف . . قال وسخط مسلمة بن عبد الملك على العريان بن الهيثم فعزله عن شرطة الكوفة فشكا ذلك الى عمر بن عبد العزيز فكتب اليه . . ان من حفظ أنعم الله رعاية ذوى الاسنان ومن إظهار شكر الموهوب صفح القادر عن الذنب ومن تمام

السودد حفظ الودائع واستتمام الصنائع وقد كنت أودعت العريان نعمة من أنعمك فسلبتها عجلة سخطك وما انصفته غضبته على أن وليته ثم عزلته وخليته وانا شفيعه فأحب أن تجعل له من قلبك نصيبه ولا تخرجه من حسن رأيك فتضيع ما أودعته وتنوى (١) ما أفدته . . فعفى عنه ورده الى عمله . . قال وغضب سليمان بن عبد الملك على ابن عبيد مولاه فشكا الى سعيد بن المسيب ذلك فكتب اليه . . أما بعد فان أمير المؤمنين فى الموضع الذى يرتفع قدره عما تقتضيه رعيته وفى عفو أمير المؤمنين سعة للمسيئين . . فرضى عنه . . قال وطلب العتابى من رجل حاجة فقضى له بعضها ومطله ببعض فكتب اليه . . أما بعد فقد تركتنى منتظراً لوعدك متنجزا لرفدك وصاحب الحاجة محتاج الى نعم هنيئة أو لا مريحة والعذر الجميل أحسن من المطل الطويل . . وقد قلت بيتى شعر

بَسَطتَ لِسانى ثمَّ أوْنَفتَ بَعْضَهُ * فنِصْفُ لِسانى بامْتِدَاحِكَ مُطلَقُ

فانْ أنْتَ لمْ تُنجِزْ عِدَاتى تَرَكتَنى * وبَاقِى لِسانَ الشكرِ بالبَأسِ مُوثَقُ

قال . . وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون فى رجل من بنى ضبة يستشفع له بالزيادة فى منزلته وجعل كتابه تعريضاً . . أما بعد فقد استشفع بى فلان يا أمير المؤمنين لتطوّلك على فى إلحاقه بنظرائه من الخاصة فيما يترقون به وأعلمته ان امير المؤمنين لم يجعلنى فى مراتب المستشفعين وفى ابتدائه بذلك تعدى طاعته والسلام . . فكتب اليه المأمون قد عرفنا تصريحك له وتعريضك لنفسك واجبناك اليهما ووقفناك عليهما . قال وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون كتابا يستعطفه على الجند . كتابى الى أمير المؤمنين ومن قبلى من أجناده وقواده فى الطاعة والانقياد على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلّت أحوالهم . فقال المأمون والله لاقضين حق هذا الكلام وأمر باعطائهم لثمانية أشهر . قال وقدم رجل من أبناء دهاقين قريش على المأمون لعدد سلفت منه فطال على الرجل انتظار خروج أمر المأمون فقال لعمرو بن مسعدة توصل فى رقعة منى الى أمير المؤمنين تكون أنت الذى تكتبها تكون لك على نعمتان فكتب . . ان رأى أمير المؤمنين أن يفك أسر عبده من ربقة المطل بقضاء حاجته و يأذن له فى الانصراف الى بلده فعل ان شاء الله . فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمرا فجعل يعجبه من حسن لفظها وايجاز المراد فقال عمرو فما نتيجتها يا أمير المؤمنين قال الكتاب له فى هذا الوقت تاوعدناه لئلا يتأخر فضل استحسانا كلامه و بجائزة ألف درهم صلة على دناءة المطل وسماجة الاغفال ففعل ذلك له . وحدثنا اسماعيل بن شاكر قال لما أصاب أهل مكة السيل

(١) التواء الهلاك

الذى شارف الحجر ومات تحته خلق كثير كتب عبيد الله بن الحسن العلوى وهو والى الحرمين الى المأمون . . ان أهل حرم الله وجيران بيته والآ ف مسجده وعمرة بلاده قد استجاروا بعز معروفك من سيل تراكمت أخر يانه فى هدم البنيان وقتل الرجال والنسوان واجتياح الاصول وجرف الابقال حتى ماترك طارفا ولا تالدا للراجع اليهما فى مطعم ولا ملبس فقد شغلهم طلب الغذاء عن الاستراحة الى البكاء على الامهات والاولاد والاباء والاجداد فاجرهم يا أمير المؤمنين بعطفك عليهم واحسانك اليهم تجد الله مكافئك عنهم ومثيبك عز الشكر منهم . قال فوجه اليهم المأمون بالاموال الكثيرة . . وكتب الى عبيد الله أما بعد فقد وصلت شكيتك لاهل حرم الله أمير المؤمنين فبكاهم بقلب رحمته وأنجدهم بسيب نعمته وهو متبع ما أسلف اليهم بما يخلفه عليهم عاجلا وآجلا ان أذن الله فى تثبيت عزمه على نجعة نيته . . قال فصار كتابه هذا آنس لاهل مكة من الاموال التى أنفذها اليهم . . قال وكتب جعفر بن محمد بن الاشعث الى يحيى بن خالد يستعفيه من العمل . شكرى لك على ما أريد الخروج منه شكر من سأل الدخول فيه قال وكتب على بن هشام الى اسحق بن ابراهيم الموصلى . . ما أدرى كيف أصنع أغيب فاشتاق والتقى ولا أشتفى ثم يحدث لى اللقاء الذى طلبت منه الشفاء نوعا من الحرقة للوعة الفرقة . . قال وكتب معتمل الى أبى دلف فلان جميل الحال عند الكرام فان أنت لم ترتبطه بفضلك عليه فعل غيرك . . وكتب ابو هاشم الحربى الى بعض الامراء غرضى من الامير معوز والصبر على الحرمان معجز وكتب آخر الى صديق له أما بعد فقد أصبح لنا من فضل الله ما لا نحصيه مع كثرة ما نعصيه وما ندرى ما نشكر أجميل ما نشر أم كثير ما ستر أم عظيم ما أبلى ام كثير ما عفى غير انه يلزمنا فى كل الامور شكره ويجب علينا حمده فاستزد الله فى حسن بلائه كشكرك على حسن آلائه

﴿ ضده ﴾

(قال الجاحظ) كتب بن المراكبى الى بعض ملوك بغداد جعلت فداك رحمته قال وقرأت على عنوان كتاب لابى الحسن الشهرى . للموت لناقبلة . وقرأت ايضاً على عنوان كتاب الى الذى كتب الىّ

﴿ محاسن الجواب ﴾

قال دخل رجل على كسرى ابروبز ، فشكى اليه عاملا غصبه على ضيعة له . فقال له كسرى منذ كم هى فى يدك قال منذ أربعين سنة قال فانت تاكلها اربعين سنة ما عليك أن يا كل عامل منها سنة واحدة فقال وما كان على الملك أن يا كل بهرام جور الملك سنة واحدة فقال ادفعوا فى قفاه فاخرجوه فلما خرج أمكنته التفاتة فقال دخلت بظلمة وخرجت بثنتين فقال كسرى ردوه وامر

بردضبعته وصيره فى خاصته . ويقال ان سعيد بن مرة الكندى حين أتى معاوية . قال له أنت سعيد قال أمير المؤمنين سعيد وأنا ابن مرة . قال ودخل السيد بن أنس الازدى على المأمون . فقال أنت السيد فقال أنت السيد يا أمير المؤمنين وأنا ابن أنس . قال وقيل للعباس بن عبد المطلب أنت اكبر ام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو عليه الصلاة والسلام أكبر منى وأنا ولدت قبله ، قال وقال الحجاج للمهلب أنا أطول أم أنت قال الامير أطول وأنا أبسط قامة منه ، قيل ووقف المهدى على امرأة من بنى نُعل فقال لها من العجوز قالت من طىء قال ما منع طيأ أن يكون فيها آخر مثل حاتم قالت الذى منع العرب أن يكون فيها آخر مثلك فأعجب بقولها ووصلها ، قيل ولما استوثق أمر العراق لعبد الله بن الزبير وجه مصعب اليه وفدا فلما قدموا عليه قال لهم وددت أن لى بكل خمسة منكم رجلا من أهل الشام فقال رجل من أهل العراق يا أمير المؤمنين علقناك وعلقت باهل الشام وعلق أهل الشام بال مروان فما أعرف لنا مثلا إلا قول الاعشى

عَلَّقْتُها عَرَضاً وَعَلَّقَتْ رَجُلاً * غَيْرِى وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَها الرَّجُلُ

فما وجدنا جوابا أحسن من هذا ،، قال وقال مسلمة بن عبد الملك ،، ما شىء يؤتى العبد بعد الايمان بالله تعالى أحب الىّ من جواب حاضر فان الجواب اذا انعقب لم يكن شيئاً

﴿ ضده ﴾

قال اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم فذكر عمرو الزبرقان قال ،، بابى أنت وأمى يارسول الله انه لمطاء جواد الكف مطاع فى أدانيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره ،، فقال الزبرقان بابى أنت وأمى يارسول الله انه ليعرف منى اكثر من هذا ولكنه يحسدنى ،، فقال عمرو والله يا نبى الله ان هذا لزمر المروءة ضيق العطن لئيم العم أحمق الخال فرأى الكراهية فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال يا رسول الله ما كذبت فى الاولى ولقد صدقت فى الاخرى ولكنى رضيت فقلت أحسن ما علمت وسخطت فقلت أسوأ ما اعلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا وان من الشعر لحكما ،، وذكروا ان الوليد بن عقبة قال لعقيل بن أبى طالب ،، غلبك علىّ على الثروة والعدد .. قال وسبقنى وايالك الى الجنة ،، قال الوليد اما والله ان شدقيك لمتضمخان من دم عثمان ،، قال عقيل مالك ولقريش وانما أنت فيهم كمنيح المبسر ،، فقال الوليد والله انى لارى لو أن أهل الارض اشتركوا فى قتله لوردوا صعودا ،، فقال له عقيل كلا أما ترغب عن محة أبيك .. قال وقال رجل من قريش لخالد بن صفوان ما اسمك قال خالد بن صفوان بن الاهتم ،، قال ان اسمك لكذب ما أنت بخالد وان اباك لصفوان وهو حجر وان

جدك لاهم والصحيح خير من الاهم ،، قال له خالد من أى قريش انت ،، قال من عبد الدار ابن قصى بن كلاب ،، قال لقد هشمتك هاشم وامتك أمية وجمحت بك جمح وخزمتك مخزوم واقصتك قصى فجعلتك عبد دارها تفتح اذا دخلو وتغلق اذا خرجو . . قيل ومر الفرزدق فرأى خليفة الشاعر فقال له ،، يا أبا فراس من القائل

هُوَ القَيْنُ وابنُ القَيْنِ لا قَيْنَ مِثْلُهُ * لِقَطْعِ المَساحِي أوْ لِجَدْلِ الادَاهِمِ

قال الفرزدق الذى يقول .

هُوَ اللصُّ وابنُ اللصِّ لا لِصَّ مِثْلُهُ * لِثَقْبِ جِدَارٍ أوْ لِطَرِّ الدَّرَاهِمِ

﴿ محاسن حفظ اللسان ﴾

قال اكثم بن صيفى ،، مقتل الرجل بين فكيه - يعنى لسانه - وقال ،، رب قول اشد من صول وقال ،، لكل ساقطة لاقطة . . وقال المهاب لبنيه ،، انه وازلة اللسان فانى وجدت الرجل تعثر قدمه فيقوم من عثرته و يزل لسانه فيكون فيه هلاكه . . قال يونس بن عبيد ،، ليست خلة من خلال الخير تكون فى الرجل هى أحرى أن تكون جامعة لانواع الخير كلها من حفظ اللسان . وقال قسامة بن زهير ، يامعشر الناس ان كلامكم أكثر من صمتكم فاستعينوا على الكلام بالصمت وعلى الصواب بالفكر . وكان يقال ينبغى للعاقل أن يحفظ لسانه كما يحفظ موضع قدمه ومن لم يحفظ لسانه فقد سلطه على هلاكه ، وقال الشاعر

عَلَيكَ حِفْظَ اللِّسانِ مُجْتَهِدًا * فإنَّ جُلَّ الهَلاكِ فى زَلَلِهِ

غيره

وجُرْحُ السَّيْفِ تأسُوهُ فَيَبْرَأُ * وجُرْحُ الدَّهْرِ مَاجَرَحَ اللِّسانُ
جراحاتِ الطعانِ لها التئامٌ * ولا يَلتامُ ما جَرَحَ اللسانُ

غيره

إحْفَظْ لِسانَكَ لاتَقُولُ فَتُبتلى * إنَّ البَلاءَ مُوَكَّلٌ بالمنطقِ

غيره

لَعَمْرُكَ ماشىءٌ عَلِمْتَ مكانَهُ * أحَقُّ بِسِجْنٍ مِنْ لِسانٍ مُذَلَّلِ
على فِيكَ مما لبس يَعنيكَ قولُهُ * بُقْفلٍ شَديدٍ حيثُ ما كنتَ فاقْفِلِ

قيل . تكلم أربعة من الملوك باربع كلمات كانما رميت عن قوس واحد قال كسرى . أنا

على ردما لم أقل أقدرمنى على ردماقلت ، وقال ملك الهند . اذا تكلمت بكلمة ملكتنى وان كنت أملكها ، وقال قيصر ، لا أندم على ما لم اقل وقد ندمت على ماقلت ، وقال ملك الصين عاقبة ماقد جرى به القول أشد من الندم على ترك القول ، وقال بعضهم ، من مصافة الانسان أن يكون الاستماع أحب اليه من النطق اذا وجد من يكفيه فانه لن يُعدم الصمت والاستماع سلامة و زيادة فى العلم ، وقال بعض الحكماء ، من قدر على أن يقول فيحسن فانه قادر على أن يصمت فيحسن ، وقال بعضهم ، كان ابن عبيدة الريحانى المتكلم الفصيح صاحب التصانيف يقول. الصمت أمان من تحريف اللفظ وعصمة من زيغ المنطق وسلامة من فضول القول وقال أبو عبيد الله كاتب المهدى ، كن على الياس الحظ بالسكوت أحرص منك على الناس بالكلام ، وكان يقال ، من سكت فسلم كان كمن قال فغنم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ان الله تعالى يكره الابعاق فى الكلام يرحم الله امرأ أوجز فى كلامه واقتصر على حاجته قيل وكلم رجل سقراط عند قتله بكلام أطاله فقال ، أنسانى أول كلامك طول عهده فارق آخره فهمى لتفاوته ، ولما قدم ليقتل بكت امرأته فقال ، لها ما يبكيك فالت تقتل ظلماً قال وكنت تحبين أن أقتل حقا أو أقتل ظالما ، وشتم رجل المهلب فلم يجبه فقيل له حلمت عنه فقال ما أعرف مساويه وكرهت أن أبهته بما ليس فيه ، وقال سلمة بن القاسم عن الزبير قال ، حُملت الى المتوكل وأدخلت عليه فقال يا أباعبد الله الزم أباعبد الله — يعنى المعتز — حتى تعلمه من فقه المدنيين فادخلت حجرة فاذا أنا بالمعتز قد أتى فى رجله نعل من ذهب وقد عثر به فسال دمه فجعل يغسل الدم ويقول

يُصابُ الفتى من عثرةٍ بلسانه * وليس يُصابُ المرءُ من عثرة الرّجلِ
فعثرتُهُ من فيه ترمى برأسه * وعثرتُهُ بالرّجلِ تبرا على مَهلِ

فقلت فى نفسى ضممت الى من أريد أن أتعلم منه

﴿ ضده ﴾

سئل بعض الحكماء عن المنطق فقال . انك تمدح الصمت بالمنطق ولا تمدح المنطق بالصمت وما عُبر به عن شىء فهو أفضل منه ، وسئل آخر عنهما فقال أخزى الله المساكتة ما أفسدها للسان وأجلبها للعى و والله للمماراة فى استخراج حق أهدم للعى من النار فى يابس العرفج فقيل له قد عرفت ما فى المماراة من الذم فقال ما فيها أقل ضررا من السكتة التى تورث عللا وتولد داء أيسره العى ، وقال بعض الحكماء ، اللسان عضو فان مرنته مرن وان تركته حرُن ، وممن أفرط فى قوله فاستقيل بالحلم ، ما حكى عن شهرام المرزى فانه جرى بينه و بين أبى مسلم صاحب الدولة كلام فما زال أبو مسلم يحاوره الى ان قال له شهرام يا لقطة فصمت أبو مسلم وندم شهرام على

ماسبق به لسانه واقبل معتذراً خاضعاً ومتنصلا فلما رأى ذلك أبو مسلم قال لسان سبق ووهم اخطأ وانما الغضب شيطان والذنب لى لانى جرأتك على نفسى بطول احتمالى منك فان كنت معتمداً للذنب فقد شركتك فيه وان كنت مغلوباً فالعذر يسعك وقد غفرنا لك على كل حال قال شهرام أيها الملك عفوك مثلك لا يكون غروراً قال أجل قال وان عظيم ذنبى لن يدع قلبى يسكن ولج فى الاعتذار فقال أبو مسلم ياعجباً كنت تسيء وانا أحسن فاذا أحسنت أسأت

﴿ محاسن كتمان السر ﴾

قال كان المنصور يقول . الملك يحتمل كل شىء من أصحابه إلا ثلاثاً افشاء السر والتعرض للحرم والقدح فى الملك ، وكان يقول سرك من دمك فانظر من تملكه ، وكان يقول سرك لا تطلع عليه غيرك وان من انفذ البصائر كتمان السر حتى يرم المرموم ، وقيل لابى مسلم باى شىء أدركت هذا الامر قال . ارتديت بالكتمان وائتزرت بالحزم وحالفت الصبر وساعدت المقادير فادركت طلبتى وحزت بغيتى . وانشد فى ذلك

أدركتُ بالحزمِ والكِتمانِ ما عجزتْ * عنهُ ملوكُ بنى مَرْوانَ إذْ حشدُوا
مازالتُ أسعى عليهمْ فى ديارِهِمِ * والقومُ فى مُلكِهِمْ بالشام قدْ رَقدُوا
حتَّى ضربْتُهمُ بالسَّيفِ فانتبهُوا * منْ نومةٍ لمْ يَنَمْها قبلَهُمْ أحدُ
ومنْ رَعى غنماً فى أرضِ مَسْبعةٍ * ونامَ عنها تولى رَعْيَها الأَسَدُ

قال ،، وقال عبد الملك بن مروان للشعبى لما دخل عليه ،، جنبنى خصالا أربعاً لا تطربنى فى وجهى ولا تجرين على كذبة ولا تغتابن عندى أحداً ولا تفشين لى سرا .. وقال النبى صلى الله عليه وسلم ، استعينوا على إنجاح حوائجكم بكتمان السر فان كل ذى نعمة محسود .. وأنشد اليزيدى فى ذلك

النَّجْمُ أقربُ منْ سِرٍّ إذا اشتملتْ * منِّى على السِّرِّ أضلاعٌ وأحشاءُ

غيره

ونفسكَ فاحفظها ولا تُفشِ للعدَى * منَ السِّرِّ ما يطوِى عليهِ ضميرُها
فما يحفظُ المكتومَ منْ سِرِّ أهلِهِ * إذَا عُقِدَ الأَسْرَارُ ضاعَ كثيرُها
منَ القومِ إلاَّ ذُو عَفافٍ يُعينُهُ * على ذاكَ منهُ صِدْقُ نفسٍ وخيرُها

قال معاوية ابن أبى سفيان ،، أعنت على على بن أبى طالب بأربع خصال كان رجلا ظهرة عبلة لا يكتم سراً وكنت كتوما للسرى وكان لا يسعى حتى يفاجئه الامر مفاجأة وكنت

أبادر الى ذلك وكان فى أخبث جند وأشدهم خلافا وكنت فى أطوع جند وأقلهم خلافا وكنت أحب الى قريش منه فقلت ماشئت فلله من جامع الى ومفرق عنه .. وكان يقال ،، لكاتم سره من كتمانه احدى فضيلتين الظفر بحاجته والسلام من شره فمن أحسن فليحمد الله وله المنة عليه ومن أساء فليستغفر الله ، وقال بعضهم : كتمانك سرك يعقبك السلامة وافشاؤك سرك يعقبك الندامة والصبر على كتمان السر أيسر من الندم على افشائه ، وقال بعضهم ما قبح بالانسان ان يخاف على ما فى يده من اللصوص فيخفيه ويمكن عدوه من نفسه باظهار ما فى قلبه من سر نفسه وسر أخيه ومن عجز عن تقويم أمر دفلا يلومن الا نفسه ان لم يستقم له . وقال معاوية ما أفشيت سرى الى أحد الا أعقبنى طول الندم وشدة الاسف ولا أودعته جوانح صدرى فحكمته بين اضلاعى الا كسبنى بحداوذ كر اوسناء ورفعة فقيل ولا ابن العاص قال ولا ابن العاص . وكان يقول ، ما كتمت كاتمه من عدوك فلا تظهر عليه صديقك ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتم سره كانت الخيرة فى يده ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن وضع أخيك على أحسنه ولا تظنن بكلمة خرجت منه سوءا ما كنت واجدا لها فى الخير مذهبا وما كافأت من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله جل اسمه فيه وعليك باخوان الصدق فانهم زينة عند الرخاء وعصمة عند البلاء ، وحدث ابراهيم بن عيسى قال ،، ذاكرت المنصور ذات يوم فى أبى مسلم وصونه السر وكتمه حتى فعل ما فعل ، فأنشد

تَقَسَّمَنى أَمْرَانِ لَمْ أَفْتَحِمْهُما * بِحَزْمٍ وَلَمْ تَمْرُكْهُما لِى الكَرَائِكُ
وما سَاوَرَ الأَحْشَاءَ مِثْلُ دَفِينَةٍ * مِنَ الهَمِّ رَدَّتْهَا اليكَ المَعَاذِرُ
وقَدْ عَلِمَتْ أَفْنَاءُ عَدْنَانَ أَنَّنِى * على مِثْلِهَا مِقْدَامَةٌ مُتَجَاسِرُ

وقال آخر

صُنِ السِّرَّ بالكِتْمَانِ يُرْضِيكَ غِبُّهُ * فقدْ يَظْهَرُ السِّرُّ المُضِيعُ فيندَمُ
ولا تُفْشِيَنْ سِرًّا إلى غَيْرِ أهلِهِ * فَيظهرُ خَرْقُ الشَّرِّ من حيثُ يكْتَمُ
وما زِلتُ فى الكِتْمَانِ حتى كأَنَّنِى * بِرَجْعِ جَوَابِ السَّائِلِى عنهُ أعجمُ
لِتَسْلَمَ منْ قَوْلِ الوُشَاةِ وتَسْلَمِى * سَلِمْتِ وهلْ حَيٌّ على الدَّهْرِ يَسْلَمُ

وقال آخر

أَمِنى تَخَافُ انْتِشَارَ الحَدِيثِ * وحَظِّىَ فى سَتْرِهِ أَوْفَرُ .
ولَوْ لَمْ أَصُنْهُ لِبَقْيا عليكَ * نَظَرْتُ لِنفسى كما تَنْظُرُ

وقال أبو نواس

لا تُفشِ أسرارَك للنّاسِ * وداوِ أحزانَك بالكاسِ
فإنّ إبليسَ على مابِهِ * أرأفُ بالنّاسِ منَ النّاس

وقال المبرد .. أحسن ماسمعت فى حفظ اللسان والسر ماروى لامير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه

لَعَمْرُكَ إنّ وشاةَ الرّجا * لِ لا يَتْرُكونَ أديماً صحيحا
فلا تُبْدِ سِرَّكَ إلا إليكَ * فإنّ لكلّ نصيحٍ نصيحا

وقال العتبى

ولى صاحبٌ سِرى المكتّمُ عِندَهُ * تحارِبُ نيرانِ بليلٍ تُحرَّقُ
غَدَوْتُ على أسرارِهِ فكسَوْتُها * ثياباً منَ الكِتمانِ ما تتخرّقُ
فمنْ كانتِ الاسرارُ تطفُو بصدرِه * فأسرارُ صدرى بالاحاديث تُغرَقُ
فلا تُودعَنّ الدّهرَ سِرَّكَ أحمقاً * فإنكَ إنْ أودَعْتَهُ منهُ أحمَقُ
وحسبُكَ فى سَتْرِ الاحاديثِ واعظاً * من القولِ ما قالَ الاديبُ الموفّقُ
إذا ضاقَ صدرُ المرءِ عن سِرِّ نفسِهِ * فصدرُ الذى يُستودَعُ السّرَّ أضيقُ

وقال آخر

لا يكتمُ السرَّ إلا كلُّ ذى خطرٍ * والسرُّ عندَ كرامِ الناسِ مكتومُ
والسرُّ عِندى فى بيتٍ له غَلَقٌ * قد ضاعَ مِفتاحُهُ والبابُ مرْدومُ

قيل .. دخل أبو العتاهية على المهدى وقد ذاع شعره فى عُتبة فقال ما أحسنت فى حبك ولا أجملت فى إذاعة سرك .. فقال

مَن كانَ يَزعمُ أنْ سيكتُمُ حُبّهُ * أوْ يستطيعُ السّترَ فهوَ كذوبُ
الحُبُّ أغلَبُ للرّجالِ بقهرِهِ * مِن أنْ يُرَى للسرّ فيه نصيبُ
وإذا بدَا سرُّ اللبيبِ فإنهُ * لم يَبدُ إلا والفتى مَغلوبُ
إنى لأحسُدُ ذا هوىً مستحفِظاً * لمْ تتّهِمهُ أعينٌ وقلوبُ

فاستحسن المهدى شعره وقال .. قد عذرناك على إذاعة سرك و وصلناك على حسن شعرك ان كتمان السر أحسن من اذاعته .. وقال زياد لكل مستشير ثقة وان الناس قد ابتدعت

بهم خصلتان اذاعة السر وترك النصيحة وليس للسر موضع الى أحد رجلين إما آخرى يرجو ثواب الله أودنيا وى له شرف فى نفسه وعقل يصون به حسبه وهما معدومان فى هذا الدهر . وقال المهلب . . ماضاقت صدور الرجال عن شىء كما تضيق عن السر . . كما قال الشاعر

ولربما كتم الوقور فصرحت * حركاته للناس عن كتمانه
ولربما رزق الفتى بسكونه * ولربما حرم الفتى ببيانه

وقال آخر

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها * فسرك عند الناس أفشى وأضيع

وقال آخر

لسانى كتوم لاسراركم * ودمعى نموم لسرى مذيع
فلولا الدموع كتمت الهوى * ولولا الهوى لم تكن لى دموع

﴿ محاسن المشورة ﴾

يقال . اذا استخار الرجل ربه واستشار نصيحه واجتهد فقد قضى ما عليه ويقضى الله فى أمره مايحب . . وقال آخر حسن المشورة من المشير قضاء حق النعمة . . وقيل اذا استشرت فانصح واذا قدرت فاصفح . . وقيل من وعظ أخاه سرا زانه ومن وعظه جهرا شانه . . وقال آخر الاعتصام بالمشورة نجاة . وقال آخر نصف عقلك مع أخيك فاستشره . وقال آخر اذا أراد الله لعبد هلاكا أهلكه برأيه . وقال آخر المشورة تقوم اعوجاج الرأى . وقال آخر إياك ومشورة النساء فان رأيهن الى أفن وعزمهن الى وهن

﴿ ضده ﴾

قال بعض أهل العلم ، لو لم يكن فى المشورة الا استضعاف صاحبك لك وظهورفقرك اليه لوجب اطراح ماتفيده المشورة والقاء ما يكسبه الامتنان وما استشرت أحداً الا كنت عند نفسى ضعيفاً وكان عندى قويا وتصاغرت له ودخلته العزة فاياك والمشورة وان ضاقت بك المذاهب واختلفت عليك المسالك وأدّاك الاستبهام الى الخطأ الفادح فان صاحبها أبداً مستذل مستضعف وعليك بالاستبداد فان صاحبه أبداً جليل فى العيون مهيب فى الصدور ولن تزال كذلك مااستغنيت عن ذوى العقول فاذا افتقرت اليها حقرتك العيون ورجفت بك أركانك وتضعضع بنيانك وفسد تدبيرك واستحقرك الصغير واستخف بك الكبير وعرفت بالحاجة

البهم . وقيل نعم المستشار العلم ونعم الوزير العقل . وممن اقتصر على دون المشورة الشعبي فانه خرج مع ابن الاشعث فقدم به على الحجاج فلقيه يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج فقال له أشر على فقال لا أدري بما أشير ولكن اعتذر بما قدرت عليه وأشار بذلك عليه كافة أصحابه ، قال الشعبي فلما دخلت خالفت مشورتهم ورأيت والله غير الذي قالوا فسلمت عليه بالامرة ثم قلت أيد الله الامير ان الناس قد أمروني ان أعتذر بغير ما يعلم الله انه الحق ولك الله أن لا أقول في مقامي هذا الا الحق قد جهدنا وحرضنا فاكنا بالاقوياء الفجرة ولا الاتقياء البررة ولقد نصرك الله علينا وأظهرك بنا فان سطوت فبذنوبنا وان عفوت فبحلمك والحجة لك علينا . فقال الحجاج أنت والله أحب الينا قولا ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا ويقول والله ما فعلت ولا شهدت أنت آمن يا شعبي فقلت أيها الامير كحلت والله بعدك السهر واستحلست الخوف وقطعت صلح الاخوان ولم أجد من الامير خلفا . قال صدقت وانصرفت

﴿ محاسن الشكر ﴾

قال بعض الحكماء . صن شكرك عمن لا يستحقه واسترماء وجهك بالقناعة . وقال الفضل ابن سهل من أحب الازدياد من النعم فليشكر ومن أحب المنزلة فليكف ومن أحب بقاء عزه فليسقط دالته ومكره . ومن ذلك قول رجل لرجل شكره في معروف

لقد ثبتت في القلب منك مودة * كما ثبتت في الراحتين الاصابع

قال . واصطنع رجل رجلا فسأله يوما أتحبني يا فلان قال نعم أحبك حبا لو كان فوقك لاظلك أو كان تحتك لاقلك . وقال كسرى أنوشروان المنعم أفضل من الشاكر لانه جعل له السبيل الى الشكر . واختصر حبيب بن أوس هذا في مصراع واحد فقال

لهان علينا أن نقول ونفعلا

الباهلي عن أبي فروة قال ،، مكتوب في التوراة اشكر من انعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا زوال للنعم اذا شكرت ولا اقامة لها اذا كفرت والشكر زيادة في النعم وامان من الغير وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . . خمس تعاجل صاحبهن بالعقوبة البغي والغدر وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم ومعروف لا يشكر ،، وانشد الحطيئة عمر وكعب الاحبار عنده

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

فقال كعب ، يا أمير المؤمنين من هذا الذي قال هذا فانه مكتوب في التوراة فقال عمر . كيف ذلك قال في التوراة مكتوب . . من يصنع الخير لا يضيع عندي لا يذهب العرف بيني

و بين عبدى .. وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا الاجتهاد فقال .. أفلا أكون عبداً شكورا .. وفى الحديث ان رجلا قال فى الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم .. اللهم ربنا لك الحمد حمداً مباركا طيباً زكياً فلما انصرف صلى الله عليه وسلم قال ايكم صاحب الكلمة قال أحدهم انا يارسول الله فقال لقد رأيت سبعة وثلاثين ملكا يبتدرون أيهم يكتبها أولا .. وقيل نسيان النعمة أول درجات الكفر ،، وقال أمير المؤمنين على رضى الله عنه المعروف يكفر من كفره لانه يشكرك عليه أشكر الشاكرين وقد قيل فى ذلك

يدُ المعروفِ غُنمٌ حيث كانتْ * تحمَّلها كفورٌ أمْ شَكُورُ
فعندَ الشاكرين لها جزاءٌ * وعندَ اللهِ ما كفرَ الكفُورُ

وقال بعض الحكماء ما أنعم الله على عبد نعمة فشكر عليها إلا ترك حسابه عليها . وقال بعض الحكماء عند التراخى عن شكر النعم تحل عظائم النقم .. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يقول لعائشة ما فعل بيتك فتنشده

يَجزيكَ أوْ يُثنى عليكَ وإنَّ مَنْ * أثنى عليكَ بما فعلتَ كمنْ جَزَى

فيقول صلى الله عليه وسلم صدق القائل ياعائشة ان الله اذا أجرى على يد رجل خيراً فلم يشكره فليس لله بشاكر .. وقيل لذى الرمة لم خصصت بلال بن أبى بردة بمدحك قال .. لانه وطأ مضجعى وأكرم مجلسى وأحسن صلتى فحق لكثير معروفه عندى أن يستولى على شكرى .. ومنهم من يُقدِّم ترك مطالبة الشكر وينسبه الى مكارم الاخلاق .. من ذلك ما قاله بزرجمهر من انتظر بمعروفه شكرك عاجل المكافأة . وقال بعض الحكماء ان الكفر يقطع مادة الانعام فكذلك الاستطالة بالصنيعة تمحق الاجر ، وقال على بن عبيدة من المكارم الظاهرة وسنن النفس الشريفة ترك طلب الشكر على الاحسان ورفع الهمة عن طلب المكافأة واستكثار القليل من الشكر واستقلال الكثير مما يبذل من نفسه . وفى فصل من كتاب ولست أقابل أياديك ولا أستديم احسانك الا بالشكر الذى جعله الله للنعم حارساً وللحق مؤديا وللمزيد سبباً

﴿ ضده ﴾

قال بعض الحكماء ، المعروف الى الكرام يعقب خيراً والى اللئام يعقب شراً ومثل ذلك مثل المطر يشرب منه الصدف فيعقب لؤلؤا وتشرب منه الافاعى فيعقب سُما . وقال سفيان

وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام وقال اثار جماعة من الاعراب ضبعاً فدخلت خباء شيخ منهم فقالوا أخرجها فقال ما كنت لافعل وقد استجارت بي فانصرفوا وقد كانت هزيلا فاحضرلها لقاحا وجعل يسقيها حتى عاشت فنام الشيخ ذات يوم فوثبت عليه فقتلته فقال شاعرهم في ذلك

ومن يصنع المعروف مع غير أهله * يُلاقِ الذي لاقى مُجيرُ أمِّ عامرِ
أقامَ لها لما أناخت ببابهِ * لتَسْمَنَ ألبانَ اللقاحِ الدَّزائرِ
فأسمنها حتى إذا ما تمكنتْ * فرَتهُ بأنيابٍ لها وأظافر
فقل لذوي المعروفِ هذا جزاءُ مَنْ * يجودُ باحسان الى غير شاكرِ

قيل .. وأصاب اعرابي جرو ذئب فاحتمله الى خبائه وقرّب له شاة فلم يزل يمتص من لبنها حتى سمن وكبر ثم شد على الشاة فقتلها فقال الاعرابي يذكر ذلك

غذتكَ شُوَيْهَتي ونشأتَ عندي * فمَنْ أدراك أنَّ أباكَ ذيبُ
فجئتَ نسيَّةً وصغارَ قومٍ * بشاتِهِمُ وأنت لها رَبيبُ
اذا كان الطباعُ طِباعَ سَوْءٍ * فليس بنافعٍ أدبُ الاديبُ

وفي المثل سَمِّنْ كلبك يأكلك .. وأنشد

همُ سمَّنوا كلباً ليأكلَ بعضَهُمْ * ولوْ عمِلوا بالحزم ماسمَّنوا كلباً

وقال اخر

وإني وقيسا كالمُسَمِّنِ كلبَهُ * فخدَّشَهُ أنيابُهُ وأظافرُه

ويضرب المثل بسِنمار، وكان بنى للنعمان بن المنذر الخورنق فاعجبه وكره أن يبنى لغيره مثله فرمى به من أعلاه فمات فقيل فيه

جزَينا بني سَعدٍ بحسنِ بَلائِهم * جزاءَ سِنِمّارٍ وما كان ذا ذنبِ

وقال بشار[1]

أثنى عليكَ ولي حالٌ تكذّبني * فيما أقولُ فأستحيي منَ الناسِ
قد قلتُ إن أباحفص لا كرمَ منْ * يمشي فخاصمني في ذاك إفلاسي
حتى اذا قيل ما أعطاك منْ صفدٍ * وطأطأتُ من سوءِ حالي عندَها راسي

(١) المشهور ان الابيات لابي العتاهية .. وأولها

يا ابن الملاعبِ يا ابن اقرعَ مرداسي * اني أتيتك في صحبي وجلاسي

ولابى الهول

كانى إذ مدحتك يانَ معنٍ * رآنى الناسُ فى رمضانَ أزنى
فإنْ أكُ رُحتُ عنك بغيرشىء * فلا تفرحْ كذلك كان ظنى

وقال آخر

لَحَى اللهُ قومٌ أعجبتهم مدائحى * فقالوا مقالاً فى مَسلام وفى عَتْبِ
أبا حازم تَدْحْ فقلتُ مُعَذِّرًا * هَبونى امرأ جَرَّبتُ سيفى فى كلبِ

وقال آخر

عُثمان يعلمُ أن الحمدَ ذو ثمن * لكنهُ يَشتهى حمداً بمجّانِ
والناسُ أكيسُ من أن يمدحوا رجلا * حتى يَرَوْا عندَهُ آثارَ إحسان

وقال آخر

يُحبُّ المديحَ أبو خالدٍ * ويغضَبُ من صلةِ المادحِ
كبكرٍ يحبُّ لذيذَ النكاح * وتجزعُ من صولةِ الناكحِ

وقال آخر

ولو كان يَستغنى عن الشكر سيدٌ * لعزّةِ مُلك أوعُلوِّ مكانِ
لَمَا أمرَ اللهُ العبادَ بشكرِهِ * فقال اشكرونى أيُّها الثقلان

﴿ محاسن الصدق ﴾

قال بعض الحكماء . عليك بالصدق فى السيف القاطع فى كف الرجل الشجاع باعز من الصدق والصدق عز وان كان فيه ما تكره والكذب ذل وان كان فيه ما تحب ومن عرف بالكذب اتهم فى الصدق . وقيل الصدق ميزان الله الذى يدور عليه العدل والكذب مكيال الشيطان الذى يدور عليه الجور . وقال ابن السماك ما أحسبنى أوجر على ترك الكذب لانى أتركه انفة . وقال آخر لو لم يترك العاقل الكذب الا مروءة لكان بذلك حقيقاً فكيف وفيه المأثم والعار . وقال الشعبى عليك بالصدق حيث ترى انه يضرك فانه ينفعك واجتنب الكذب حيث ترى انه ينفعك فانه يضرك . وقال بعضهم الصدق عز والكذب خضوع ومُدح قوم بالصدق منهم أبوذر رضى الله عنه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ولا طلعت الشمس على ذى لهجة أصدق من أبى ذر ، ومنهم العباس

ابن عبد المطلب رضى الله عنه فانه روى انه اطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل فقال له جبريل هذا عمك العباس قال نعم قال ان الله تعالى يأمرك أن تقرأ عليه السلام وتعلمه ان اسمه عند الله الصادق وان له شفاعة يوم القيامة فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فتبسم فقال ان شئت أخبرتك مما به تبسمت وان شئت أن تقول فقل فقال بل تعلمنى يارسول الله فقال . لانك لم تحلف بيمين فى جاهلية ولا اسلام بر ولا فاجرة ولم تقل لسائل لا ،، قال والذى بعثك بالحق نبياً ما تبسمت الا لذلك . ويروى أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ، انى استسر بخلال الزنا والسرقة وشرب الخمر والكذب فأيهن أحببت تركته ، قال دع الكذب فمضى الرجل فهم بالزنا فقال يسألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان جحدت نقضت ما جعلته له وان أقررت حددت فلم يزن فهم بالسرقة وشرب الخمر ففكر فى ذلك فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قد تركتهن أجمع . فأما من رخص له فى الكذب فيروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ، لا يصلح الكذب الا فى ثلاث كذب الرجل لاهله ليرضيها وكذب فى اصلاح ما بين الناس وكذب فى حرب . وروى عن المغيرة بن ابراهيم انه قال لم يرخص لاحد فى الكذب الا للحجاج ابن علاط فانه لما فتحت خيبر قال يارسول الله ان لى عند امرأة من قريش وديعة فاذن لى يارسول الله أن أكذب عليك كذبة لعلى أستل وديعتى فرخص له فى ذلك فقدم مكة فأخبرهم أنه ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيرا فى أيديهم يأتمرون فيه فقائل يقول يقتل وقائل يقول لا بل يبعث به الى قومه فتكون منة فجعل المشركون يتباشرون بذلك ويسيئون العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس يريهم التجمل وأخذ الرجل وديعته فاستقبله العباس وقال ويحك ما الذى أخبرت به فاعلمه السبب ثم أخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر ونكح صفية بنت حيى بن أخطب وقتل زوجها وأباها ،، ثم قال اكتم على اليوم وغدا حتى أمضى فتعمل ذلك فلما مضى يومان أخبرهم العباس بالذى أخبره فقالوا ومن أخبرك بهذا قال من أخبركم بضده

﴿ ضده ﴾

قيل . وجد فى بعض كتب الهند ليس لكذوب مروءة ولا لضجور رياسة ولا لملول وفاء ولا لبخيل صديق . وقال قتيبة بن مسلم لا تطلبن الحوائج من كذوب فانه يقربها وان كانت بعيدة ويبعدها وان كانت قريبة ولا الى رجل قد جعل المسألة ماكلة فانه يقدم حاجته قبلها ويجعل حاجتك وقاية لها ولا الى أحمق فانه يريد نفعك فيضرك . وقيل أمران لا ينفكان من كذوب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار . وقيل كفاك موبخا على الكذب علمك بانك كاذب

وقال رجل لابى حنيفة ما كذبت قط قال أما هذه فواحدة . وفى المثل هو أكذب من أخيذ السند ، وذلك انه يؤخذ الحسيس منهم فيزعم انه ابن الملك . وكذلك يقال أكذب من سيّاح خراسان ، لانهم يجتازون فى كل بلد ويكذبون للسؤال والمسألة ويقال هو أكذب من الشيخ الغريب ، وذلك انه يتزوج فى الغربة وهو ابن سبعين سنة فيزعم انه ابن أربعين . ويقال هو أكذب من مسيلمة وبه يضرب المثل * ومما قيل فى ذلك من الشعر

حَسْبُ الكذوبِ من البليّـــةِ بعضُ ما يحكى عليهِ
ما إنْ سَمِعْتُ بكِذْبَةٍ * من غيرهِ نُسِبتْ اليهِ

وقال آخر

لقدْ أخلفتنى وحلفتَ حتى * إخالكَ قدْ كذبتَ وإنْ صدقتا
ألا لاتحلفنَّ على كلامٍ * فأكذبُ ماتكونُ إذا حلفتا

وقال آخر

قدْ كنتُ أنجزُ دهراً ماوعدتُ إلى * أنْ ألتفَ الوعدُ ماجمعتُ من نَشبِ
فإنْ أكنْ صرتُ فى وعدى أخا كذبٍ * فنُصْرةُ الصدقِ أفضتْ بى الى الكذبِ

قال الاصمعى — قال الخليل بن سهل ، يا أبا سعيد أعلمت أن طول رمح رستم كان سبعين ذراعا من حديد مصمتَ فى غلظ الراقود فقلت هاهنا اعرابى له معرفة فاذهب بنا اليه فخدثه بهذا فذهبت به الى الاعرابى فحدثه فقال الاعرابى ، قد سمعت بذلك وبلغنا أن رستم هذا كان هو واسفنديار آتيا لقمان بن عاد بالبادية فوجداه نائما ورأسه فى حجر أمه فقالت لهما ماشأنكما فقالا بلغنا شدة هذا الرجل فاتيناه فانتبه فزعا من كلامهما فنفخهما فألقاهما الى أصبهان فقبرهما اليوم بها ، فقال الخليل قبحك الله ما أكذبك قال يا ابن أخى ما بينا شيئاً الا وهو دون الراقود . قيل وقدم بعض العمال من عمل فدعا قوما الى طعامه وجعل يحدثهم بالكذب فقال بعضهم ، نحن كما قال الله عز وجل (سَمّاعونَ للكذبِ أكّالونَ للسُحتِ) * قيل وكان رجال من أهل المدينة من بين فقيه وراوية وشاعر يأتون بغداد فيرجعون بحظوة وحال حسنة فاجتمع عدة منهم فقالوا لصديق لهم لم يكن عنده شىء من الادب . لو أتيت العراق فلعلك أن تصيب شيئاً قال أتم أصحاب آداب تلتمسون بها فقالوا نحن نحتال لك فأخرجوه فلما قدم بغداد طلب الاتصال بعلى ابن يقطين وشكا اليه الحاجة فقال ما عندك من الادب فقال ليس عندى من الادب شىء غير انى أكذب الكذبة وأخيل الى من يسمعها انى صادق وكان ظريفا مليحا اذا عجب به وعرض

عليه مالا فابى أن يقبله وقال ما أريد منك الا أن تسهل أذنى وتدنى مجلسى قال ذاك لك وكان من أقرب الناس اليه مجلساً حتى عرف بذلك ، وكان المهدى قد غضب على رجل من القواد واستصفى ماله وكان يختلف الى علىّ بن يقطين رجاء أن يكلم له المهدى وكان برى قرب المدينى ومكانه من علىّ فاتى المدينى القائد عشيا فقال ما البشرى قال لك البشرى وحكمك قال أرسلنى علىّ بن يقطين اليك وهو يقرؤك السلام ويقول قد كلمت أمير المؤمنين فى أمرك ورضى عنك وأمر برد مالك وضياعك ويأمرك بالغدو اليه لتغدو امعه الى أمير المؤمنين متشكراً فدعا له الرجل بالف دينار وكسوة وحُملان وغدا على علىّ مع جماعة من وجوه العسكر متشكراً فقال له على وما ذاك قال أخبرنى أبو فلان - وهو الى جنبه - كلامك أمير المؤمنين فى أمرى ورضاه عنى فالتفت الى المدينى وقال ما هذا فقال أصلحك الله هذا بعض ذلك المتاع نشرناه فضحك علىّ وقال علىّ بدابتى وركب الى المهدى وحدثه الحديث فضحك المهدى . وقال إنا قد رضينا عن الرجل وردنا عليه ماله . وأجرى على المدينى رزقا واسعا واستوصى به خيرا ثم وصله . . وكان يُعرف بكذاب أمير المؤمنين

﴿ محاسن العفو ﴾

قيل . أسر مصعب بن الزبير رجلا من أصحاب المختار فامر بضرب عنقه . فقال أيها الامير ما أقبح بك ان أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة فاتعلق باطرافك وأقول رب سل مصعباً فيم قتلنى فقال أطلقوه فقال . أيها الامير اجعل لى ما وهبت لى من عمرى فى خفض عيش فقال اعطوه مائة ألف درهم قال . بابى أنت وأمى أشهدك أن لابن قيس الرقيات منها خمسين ألفا قال لم قال لقوله فيك

إنما مُصعبٌ شهابٌ من اللـ ـه تجلّت عن وجهه الظلماء
مُلكُهُ مُلكُ رافةٍ ليس فيه * جبروتٌ ولا له كبرياء

فضحك مصعب وقال . لقد تلطفت وان فيك لموضعا للصنيعة وأمر له بالمائة ألف ولابن قيس الرقيات بخمسين ألف درهم قيل وأمر الرشيد يحيى بن خالد بحبس رجل جنى جناية فحبسه ثم سال عنه الرشيد فقيل هو كثير الصلاة والدعاء فقال للموكل به عرّض له بان تكلمنى وتسألنى اطلاقه فقال له الموكل ذلك فقال قل لامير المؤمنين ان كل يوم يمضى من نعمتك ينقص من محنتى والامر قريب والموعد الصراط والحاكم الله فخرّ الرشيد مغشيا عليه ثم أفاق وأمر باطلاقه . . وقيل ظفر المأمون برجل كان يطلبه فلما دخل عليه قال يا عدو الله أنت الذى تفسد

فى الارض بغير الحق ياغلام خذه اليك فاسقه كاس المنية فقال ياأمير المؤمنين ان رأيت أن تبقينى حتى أؤدبك بمال قال لا سبيل الى ذلك فقال ياأمير المؤمنين فدعنى أنشدك أبياتا قال هات فانشده

زعموا بأنّ الباز عاقَ مرّةً * عُصفورُ بَرّ ساقهُ المقدورُ
فتكمّم العُصفور تحت جناحهِ * والبازُ مُنتفض عليهِ بطيرُ
مابى لما يُغنى لمثلك شُبعةً * ولئن أكلتُ فانّنى لحقيرُ
فتبسّم البازُ المدلُّ بنفسهِ * كرماً وأطلقَ ذلك العُصفورُ

فقال له المأمون أحسنت ماجرى ذلك على لسانك الا لبقية بقيت من عمرك فاطلقه وخلع عليه ووصله * وعن بعضهم ان واليا أتى برجل جنى جناية فأمر بضربه فلما مدّ قال . بحق رأس أمك الا ماعفوت عنى قال أوجع فقال بحق خديها ونحرها قال أضرب قال بحق ثديها قال أضرب قال بحق سرتها قال ويلكم دعوه لا ينحدر قليلا * وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال إن الرجل اذا ظُلم فلم ينتصر ولم يجد من ينصره فرفع طرفه الى السماء ودعا قال الله لبيك عبدى أنصرك عاجلا وآجلا * وقال صلى الله عليه وسلم فى قولهم انصر أخاك ظالما أومظلوما . . وقد سئل عن ذلك فقيل . . أنصره مظلوما . فكيف أنصره ظالما فقال تمنعه من الظلم فذلك نصرك اياه * وقال . . فُضيل بن عياض بكى أبى فقلت مايبكيك فقال أبكى على ظالمى ومن أخذ مالى أرحمه غدا اذا وقف بين يدى الله عزوجل وسأله فلا تكون له حجة . . وقال الحسن البصرى أيها المتصدق على السائل يرحمه ارحم أولا من ظلمت وروى عن عبدالله بن سلام قال قرأت فى بعض الكتب قال الله عزوجل اذا عصانى من يعرفنى سلطت عليه من لا يعرفنى قال . . خالد بن صفوان اياكم ومجانيق الضعفاء ـ يعنى الدعاء ـ

﴿ ضده ﴾

قيل لما قالت التغلبية للحجّاف بن حكيم السلمى فى وقعته . بالبشر قوض الله عمادك وأطال سهادك وأقل رقادك والله ان قتلت الا نساء أسافلهن دُمىّ وأعاليهن ندّى فقال لمن حوله لولا أن تلد مثلها لخليت سبيلها فبلغ ذلك الحسن البصرى فقال . . أما الحجّاف فجذوة من نار جهنم قال ولما بنى زياد بناء البصرة أمر أصحابه ان يسمعوا من أفواه الناس فأتى برجل تلا آية ﴿ أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ﴾ قال ومادعاك الى هذا قال آية من كتاب الله عزوجل خطرت على بالى فتلوتها قال والله لا عملن فيك بالآية الثانية ﴿ واذا بطشتم بطشتم جبارين ﴾ ثم أمر به فبنى عليه ركن من أركان القصر * قال وبعث زياد الى رجل من بنى تميم

فقال اخبروني بصلحاء كل ناحية فأخبروه فاختار منهم رجالا فضمنهم الطريق. وقال لو ضاع بيني و بين خراسان حبل لعلمت من لقطه. وكان يدفن الناس أحياء و ينزع اضلاع اللصوص. قال وقال عبد الملك للحجاج كيف تسير في الناس ،، قال انظر الى عجوز أدركت زياداً فاسئلها عن سيرته فاعمل بها، فاخذوا الله بسنته حتى ماترك منها شيئاً. وذكروا ان الحجاج لما أتى المدينة أرسل الى الحسن بن الحسن رضي الله عنه فقال هات سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه قال لا أفعل قال فجاء الحجاج بالسيف والسوط فقال والله لاضربنك بهذا السوط حتى اقطعه ثم لاضربنك بهذا السيف حتى تبرد أو تأتيني بهما فقال الناس يا أبا محمد لا تعرض لهذا الجبار قال فجاء الحسن بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه فوضعهما بين يدي الحجاج فأرسل الحجاج الى رجل من بني أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له هل تعرف سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال فخلطه بين أسيافه ثم قال اخرجه ثم جاء بالدرع فنظر اليها ثم قال هنالك علامة كانت على الفضل بن العباس يوم اليرموك فطعن بخربة فخرقت الدرع فعرفناها فوجد الدرع على ما قال فقال الحجاج أما والله لو لم تجئني به وجئت بغيره لضربت به رأسك.. وذكروا ان الحجاج قال ذات ليلة لحاجبه ،، أعسس بنفسك فمن وجدته فجئني به فلما أصبح أتاه بثلاثة فقال، أصلح الله الامير ما وجدت الا هؤلاء الثلاثة، فقال الحجاج لواحد منهم ما كان سبب خروجك بالليل وقد نادى المنادي ان لا يخرج أحد بالليل قال، أصلح الله الامير كنت سكران فغلبني السكر فخرجت ولا أعقل، ففكر ساعة ثم قال، سكران غلبه سكره خلوا عنه لا تعودن، ثم قال للآخر فانت ما سبب خروجك قال.. أصلح الله الامير كنت مع قوم في مجلس يشربون فوقعت بينهم عربدة فخفت على نفسي فخرجت. ففكر الحجاج ساعة فقال. رجل أحب المسالمة خلوا عنه. ثم قال للآخر ما كان سبب خروجك فقال لي والدة عجوز وأنا رجل حمال فرجعت الى بيتي فقالت والدتي ماذقت الى هذا الوقت طعاما ولا ذواقا فخرجت التمس لها ذلك فاخذني العسس. ففكر ساعة ثم قال. ياغلام اضرب عنقه فاذا رأسه بين رجليه

﴿ محاسن الصبر على الحبس ﴾

قال الكسروي.. وقع كسرى بن هرمز الى بعض المحبسين من صبر على النازلة كان كمن لم تنزل به ومن طول في الحبل كان فيه عطبة ومن أكل بلا مقدار تلفت نفسه.. قيل ودخل ابن الزيات على الافشين وهو محبوس.. فقال يخاطبه

إصبرْ لها صبرَ أقوامٍ نفوسُهُمُ * لا تستريحُ الى عقلٍ ولا قودِ

فقال الافشين . من صحب الزمان لم ينج من خيره أو شرّه و وجد الكرامة والهوان . ثم قال

لم ينجُ من خيرِها أو شرّها أحدٌ * فاذكرْ شوائبَها إن كنتَ من أحدِ

خاضتْ بكَ المُنيةُ الحمقاءُ غمرتَها * فتلكَ أمواجُها ترميكَ بالزَّبدِ

ولعليّ بن الجهم لما حبسه المتوكل

قالتْ حُبستَ فقلتُ ليس بضائري * حبسي وأيُّ مهنّدٍ لا يُغمَدُ

أو ما رأيتِ الليثَ يألفُ غيلَهُ * كِبرًا وأوباشُ السباعِ تردّدُ

والنارُ في أحجارِها مخبوءةٌ * لا تصطلى إن لم تُثِرْها الازندُ

والبدرُ يُدركُهُ الظلامُ فتنجلي * أيّامَهُ وكأنّهُ متجدّدُ

والزاعبيّةُ لا يُقيمُ كعوبَها * إلا اثّقافُ وجذوةٌ تتوقّدُ

غيرُ الليالي بادئاتٌ عَوَّدٌ * والمالُ عاريةٌ يُفادُ ويُنفَدُ

لا يُؤيسنّكَ من تفرّجِ كربةٍ * خطبٌ أتاكَ به الزمانُ الا نكدُ

فلكلّ حالٍ مُعقِبٌ ولربما * أجلى لكَ المكروهُ عمّا تحمَدُ

كم من عليلٍ قد تخطّاهُ الرَّدى * فنجا ومات طبيبُهُ والعوّدُ

صبرًا فانّ اليومَ يعقبُهُ غدٌ * ويدُ الخلافةِ لا تطاولُها يدُ

والحبسُ مالم تغشهُ لدنيّةٍ * شنعاءَ نِعمَ المنزلُ المتورَّدُ

لو لم يكنْ في الحبسِ إلا أنهُ * لا يستذِلّكَ بالحجابِ الاعبُدُ

بيتٌ يُجدّدُ للكريمِ كرامةً * ويُزارُ فيه ولا يَزورُ ويُحمَدُ

أبلغْ أميرَ المؤمنين ودونهُ * خوفُ العِدى ومخاوفٌ لا تنفَدُ

أنتمْ بنو عمّ النبيّ محمدٍ * أولى بما شرعَ النبيُّ محمدُ

ما كان من حسنٍ فانتمْ أهلُهُ * كرُمتْ مغارسُكمْ وطابَ المَحتِدُ

أمِنَ السَّويّةَ يا ابنَ عمِّ محمدٍ * خصمٌ تقرّبُهُ وآخرُ يبعَدُ

يا أحمدَ بنَ أبي دؤادٍ إنما * تُدعى لكلّ كريهةٍ يا أحمدُ

إن الذين سعَوا اليكَ بباطلٍ * أعداءُ نعمتِكَ التي لا تُجحَدُ

شهدوا وغبنا عنهمُ فتحكّموا * فينا وليس كغائبٍ مَن يَشهد
لو يجمعُ الخُصَماءُ عندك مَنزلٌ * يوماً لَبان لك الطريقُ الارشدُ
والشمسُ لولا أنها محجوبةٌ * عن ناظريك لما أضاءَ الفرقدُ

﴿ ضده ﴾

أنشدنا عاصم بن محمد الكاتب لنفسه لما حبسه احمد بن عبد العزيز بن أبي دلف. قوله

قالتْ حُبستَ فقلتُ خَطبٌ أنكدُ * أنحى عليَّ به الزمانُ المُرصَدُ
لو كنتُ حرًّا كان سَربي مطلقاً * ما كنتُ أُحبَسُ عَنوةً وأُقيَّدُ
لو كنتُ كالسيفِ المهنَّدِ لم يكنْ * وقتَ الكريهةِ والشدائدِ يُغمَدُ
لو كنتُ كالليثِ الهصورِ لَمارعتْ * فيَّ الذئابُ وجَدْوني تتوقَّدُ
مَن قال إنَّ الحبسَ بيتُ كرامةٍ * فمكابِرٌ في قولِهِ متجلِّدُ
ما الحبسُ الا بيتُ كلِّ مَهانةٍ * ومَذلةٍ ومكارهٍ لا تَنفدُ
إن زارني فيهِ العدُوُّ فشامتٌ * يُبدي التوجُّعَ تارةً ويُفنِّدُ
أو زارني فيهِ الحبُّ فموجَعٌ * يُذري الدموعَ بزَفرةٍ تتردَّدُ
يَكفيكَ أنَّ الحبسَ بيتٌ لا يُرَى * أحدٌ عليه من الخلائقِ يُحسَدُ
تمضي الليالي لا أذوقُ لرقدةٍ * طَعماً وكيف يذوقُ من لا يَرقُدُ
في مُطبقٍ فيه النهارُ مشاكِلٌ * لِلَيلِ والظُلماتُ فيه سرمَدُ
فالى مَتى هذا الشقاءُ مؤكَّدٌ * وإلى متى هذا البلاءُ مُجدَّدُ
مالي مُجيرٌ غيرُ سيدي الذي * مازال يكفلُني فنعمَ السيدُ
غذيتْ حُشاشةُ مُهجتي بنوافلٍ * من سَيبهِ وصنائعٍ لا تُجحَدُ
عشرينَ حولاً عشتُ تحتَ جناحهِ * عَيشَ المُلوكِ وحالتي تتزيَّدُ
خلا العدُوُّ بموضعي من قلبهِ * فحشاهُ جمرًا نارُهُ تتوقَّدُ
فاغفرْ لعبدِكَ ذنبَهُ متطوِّلاً * فالعفوُ منكَ سَجيةٌ لا تُعهَدُ
واذكرْ خصائصَ خدمتي ومَقاومي * أيَّامَ كنتَ جميعَ أمري تَحمَدُ

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها * فلسنا من الاموات فيها ولا الاحيا
إذا دخل السجان يوما لحاجة * عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا فجل حديثنا * إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فان حسنت كانت بطيئا مجيئها * وإن قبحت لم تنتظر وأتت سعيا

وقال آخر

ألا أحد يدعو لاهل محلة * مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا
كأنهم لم يعرفوا غير دارهم * ولم يعرفوا غير الشدائد والبلوى

وقال ابن المعتز

تعلمت في السجن نسج الحيك * وكنت أمر أقبل حبسي ملك
وقيدت بعد ركوب الجياد * وماذاك الا بدور الفلك
ألم تبصر الطير في جوها * تكاد تلاصق ذات الحبك
إذا أبصرته خطوب الزمان * أوقعنه في جبال الشرك
فهذاك من حالق قد يصاد * ومن قعر بحر يصاد السمك

ووجد في البيت الذي قتل فيه مكتوب بخطه على الارض

ياقلب صبراً لعل الخير عقباك * خانتك بعد طوال الامن دنياك
مرت بناسحر أطير فقلت لها * طوباك يالتني إياك طوباك

وقال اعرابي

ولما دخلت السجن كبر أهله * وقالوا أبو ليلى الغداة حزين
وفي الباب مكتوب على صفحاته * بانك تزور ثم سوف تلين

وفي الحديث المرفوع ان يوسف عليه السلام شكى الى الله تعالى طول الحبس فأوحى اليه أنت حبست نفسك حين قلت (رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه) ولو قلت العافية أحب الي لعوفيت قال وكتب يوسف عليه السلام على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء

محاسن المودة

قال بعض الحكماء ليس للانسان بنعم الا بمودات الاخوان * وقال آخر الازدياد من

الاخوان زيادة فى الاجال وتوفير لحسن الحال وقيل عاشروا الناس معاشرة ان عشتم حنوا اليكم وان متم بكوا عليكم وقال

قد يمكث الناس حيناً ليس بينهم * ود فيزرعه التسليم واللطف
يسلى الشقيقين طول الناى بينهما * وتلتقى شعب شتى فتأتلف

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه لابنه الحسين «ابذل لصديقك كل المودة ولا تطمئن اليه كل الطمأنينة واعطه كل المواساة ولا تفش اليه كل الاسرار وقال العباس بن جرير «المودة تعاطف القلوب وائتلاف الارواح وانس النفوس ووحشة الاشخاص عند تنائى اللقاء وظهور السرور بكثرة الزاور وعلى حسب مشاكلة الجواهر يكون الاتفاق فى الخصال. وقال بعضهم من لم يواخ من الاخوان الا من لا عيب فيه قل صديقه ومن لم يرض من صديقه الا بايثاره إياه على نفسه دام سخطه ومن عاتب على غير ذنب كثر عدوه. وكان يقال أعجز الناس من فرط فى طلب الاخوان. وقال الشاعر فى مثله

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة * ولكن إخوان الثقات الذخائر

— ضده —

قال المأمون «الاخوان ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه وطبقة كالدواء يحتاج اليه أحيانا وطبقة كالداء الذى لا يحتاج اليه. وكتب بعض الكتاب ان فلانا أولانى جميلا من البشر مقرونا بلطيف من الخطاب فى بسط وجه ولين كنف فلما كشفه الامتحان بيسير الحاجة كان كالتابوت المطلى عليه بالذهب المملوء بالعذرة أعجبك حسنه مادام مطبقا فلما فتح آذاك نتنه فلا أبعد الله غيره .. ومما قيل فى ذلك

والله لو كرهت كفى مناداتى * لثلمت للكف بينى إذ كرهتينى

وقال آخر

ولو أنى تخالفنى شمالى * لما أتبعتها أبداً يمينى
إذاً لقطعتها ولقلت بينى * كذلك أجتوى من يجتوينى

وقال آخر

من لم يردك فلا تردنه * ليكن كمن لم تستفده
باعد أخاك ببعده * فإذا نأى شبراً فزده

وقال آخر

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزعمُ أنَّني * أوَدُّكَ إنَّ الرأيَ منكَ لعازبُ
وليس أخي من وَدَّني رأيَ عينهِ * ولكنَّ أخي من وَدَّني وهو غائبُ

وقال آخر

إنَّ اختيارَكَ لا عن خِبرةٍ سَلفتْ * إلاَّ الرَّجاءُ وما يخطئُ النظرُ
كالمستغيثُ ببطنِ السيلِ يحسبهُ * حِرزاً يُبادرُهُ إذ بلَّهُ المطرُ

وقال آخر

وصاحبٍ كان لي وكنتُ لهُ * أشفقَ من والدٍ على ولدِ
وكان لي مؤنِساً وكنتُ لهُ * ليستْ بنا وحشةٌ إلى أحدِ
كُنا كساقٍ مشتْ بها قدمٌ * أو كذراعٍ نيطتْ إلى عَضُدِ
حتى إذا أمكنَ الحوادثُ مِنْ * حظّي وحلَّ الزمانُ من عقدي
إزوَرَّ عنّي وكانَ ينظرُ منْ * عيني ويرمي بساعدي ويدي
حتى إذا استرفدتْ يدي يدَه * كنتُ كمستَرفِدٍ يدَ الأسدِ

وقال آخر

فيا عجباً لمنْ رَبَّيتُ طفلاً * ألقَمُهُ بأطرافِ البنانِ
أعلّمهُ الرِّمايةَ كلَّ يومٍ * فلما اشتدَّ ساعِدُه رماني
أعلمهُ الفتوَّةَ كلَّ حينٍ * فلما طرَّ شاربُهُ جفاني
أعلمهُ الرِّوايةَ كلَّ وقتٍ * فلما صارَ شاعرَها هجاني

﴿ محاسن الولايات ﴾

سئل عمار بن ياسر رضي الله عنه عن الولاية فقال ،، هي حلوة الرضاع مرة الفطام وذكروا انه كان سبب عزل الحجاج بن يوسف عن المدينة وقد وفد من أهل المدينة منهم عيسى بن طلحة بن عبيد الله على عبد الملك بن مروان فاثنوا على الحجاج وعيسى ساكت فلما قاموا ثبت عيسى حتى خلا له وجه عبد الملك فقام فجلس بين يديه فقال . يا أمير المؤمنين من أنا قال . عيسى بن طلحة بن عبيد الله قال فمن أنت قال عبد الملك بن مروان قال أجهلتنا أو تغيرت بعدنا قال وماذاك قال وليت علينا الحجاج بن يوسف يسير بالباطل و يحملنا على ان نثني عليه بغير الحق والله لئن أعدته علينا لنعصينك وان قاتلتنا وغلبتنا وأسأت الينا قطعت أرحامنا ولئن قوينا عليك لنغصبنك ملكك

فقال له عبد الملك انصرف والزم بيتك ولا تذكرن من هذا شيأ قال فقام الى منزله وأصبح الحجاج غاديا الى عيسى بن طلحة فقال جزاك الله عن خلوتك بأمير المؤمنين خيرا فقد أبدلني بكم خيرا وأبدلكم بي غيري وولاني العراق ،، وعن معمر بن وهيب قال . . كان عبد الملك عند ما استعفى أهل العراق من الحجاج قال لهم اختاروا أي هذين شئتم - يعني أخاه محمد بن مروان وابنه عبد الله ابن عبد الملك - مكان الحجاج فكتب اليه الحجاج ،، يا أمير المؤمنين ان أهل العراق استعفوا عثمان بن عفان من سعيد بن العاص فاعفاهم منه فساروا اليه من قابل وقتلوه . . فقال صدق ورب الكعبة وكتب الى محمد وعبد الله بالسمع والطاعة له

﴿ ضده ﴾

كتب . عبد الصمد بن المعذل الى صديق له ولى النفاطات فأظهر تيها

لَعَمْرِي لقد أظهرتَ تيهاً كأنما * تَوَلَّيتَ للفضل بن مَرْوانَ عُكْبَرا
دَعِ الكِبرَ واستبقِ التواضعَ إنه * قبيحٌ بوالي النفطِ أن يتغيرا
لحفظِ عُيونِ النفطِ أحدثتَ نخوةً * فكيف به لو كان مِسكاً وعَنبرا

وقال ابن المعتز

كم نائلٍ بولايةٍ * وبعزلِهِ يَعدُو البريدُ
سُكْرُ الولايةِ طيِّبٌ * وخُمارُهُ صَعْبٌ شديدُ

وقال لبيد

لا تفرحنَّ فكلُّ والٍ يُعزَلُ * وكما عُزِلتَ فمن قريبٍ تُعتَلُ
وكذا الزمانُ بما يَسرُّكَ تارةً * وبما يَسوءُكَ تارةً يتنقَّلُ

﴿ محاسن الصحبة ﴾

قيل . قال علقمة بن ليث لابنه يا بني ان نازعتك نفسك الى الرجال يوما لحاجتك اليهم فاصحب من إن صحبته زانك وان تخففت له صانك وان نزلت بك مؤنة مانك وان قلت صدق قولك وان صلت شد صولك اصحب من اذا مددت اليه يدك تفضل مدها وان رأى منك حسنة عدها وان بدت منك ثلمة سدها واصحب من لا تأتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق ،، وقال آخر اصحب من خولك نفسه وملكك خدمته وتخيرك لزمانه فقد وجب عليك حمده وذمامه . . وكان يقال من قبل صلتك فقد باعك مروءته وأذل لقدرك عزه وقال

بعضهم لصاحبه أنا أطوع لك من اليد وأذل من النعل . وقال بعضهم اذا رأيت كلباً ترك صاحبه وتبعك فارجمه فانه تاركك كما ترك صاحبه . . وقال ابن أبي داود لرجل انقطع الى محمد بن عبد الملك الزيات . ماخبرك مع صاحبك فقال . لا يقصر في الاحسان الى فقال : ياهذا ان لسان حالك يكذب لسان مقالك

﴿ ضده ﴾

قيل كان يوسف بن عمر الثقفي يتولى العراقين لهشام بن عبد الملك وكان مذموماً في عمله فخبرني المدائني قال ،، وزن يوسف بن عمر درهما فنقص حبة فكتب الى دور الضرب بالعراق يضرب أهلها مائة . قيل وخطب في مسجد الكوفة فقال انكم انسان مجنون فقال ،، ياأهل الكوفة ألم أنهكم ان تدخلوا مساجدكم المجانين اضربوا عنقه فضربت عنقه . قال وقال لهمام بن يحيى وكان عاملاً له ،، يافاسق خربت مهرجانقذق قال اني لم أكن عليها انما كنت على ماه دينار وعمرت البلاد فأعاد ذلك عليه مراراً فقال همام قد أخبرتك اني كنت على ماه دينار وتقول خربت مهرجانقذق فلم يزل يعذبه حتى مات . . قال وقال لكاتبه وقد احتبس عن ديوانه يوماً ،، ما حبسك قال اشتكيت ضرسي قال تشتكي ضرسك وتقعد عن الديوان ودعا الحجام وأمره ان يقلع ضرسين من أضراسه ،، وعن المدائني قال . . حدثني رضيع كان ليوسف بن عمر من بني عبس قال كنت لا أحجب عنه وعن خدمته فدعا ذات يوم بحوار له ثلاث ودعا بخصي له يقال له حديج فقرب اليه واحدة فقال لها اني أريد الشخوص أفأخلفك أو أشخصك معي فقالت صحبة الامير أحب الي ولكني أحسب ان مقامي وتخلفي اعفى وأخف على قلبه فقال أحييت التخلف للفجور ياحديج أضرب فضربها حتى أوجعها ثم أمر دان يأتيه بالثانية وقد رأت ما لقيت صاحبتها فقال لها اني أريد الشخوص أفأخلفك أم أخرجك فقالت ما أعدل بصحبة الامير شيئاً بل تخرجني قال أحببت الجماع ماتريد بن ان يفوتك ليلة ياحديج أضرب فضربها حتى أوجعها ثم أمر دان يأتيه بالثالثة وقد رأت ما لقيت المتقدمتان فقال لها اني أريد الشخوص أفأخلفك أم أخرجك قالت الامير أعلم لينظر أخف الامرين عليه فليفعله قال اختاري لنفسك قالت ما عندي اختيار فليختر الامير قال قد فرغت من كل عمل فلم يبق لي الا ان اختار لك أوجعها ياحديج فضربها حتى أوجعها قال الرجل فكانما أوجعني من شدة غيظي عليه فتولت الجارية فتبعها الخادم فلما بعدت قالت الخيرة والله في فراقك ما تقر عين احد بصحبتك فلم يفهم يوسف كلامها فقال ما تقول ياحديج قال قالت كذا وكذا فقال يا ابن الخبيثة من امرك ان تعلمني ياغلام خذ السوط من يده فاوجع رأسه فما زال يضربه حتى اشتفى فتعرف من الغلام الآخر كم ضربت قال لا أدري قال ياعدو الله

انخرج حاصلي من بيت مالي من غير حساب اقتلوه فقتلوه (١)

﴿ محاسن التطير ﴾

عن عكرمة قال ، كنا جلوساً عند ابن العباس وابن عمر فطار غرابٌ بصيح فقال رجل من القوم خير خير فقال ابن العباس لا خير ولا شر . والذي حضرنا من الشعر في مثله لابي الشيص

ما فرّق الاحبابَ بعدَ اللهِ إلا الإبلُ
والناسُ يلحونَ غُرا * بَ البين لما جهلوا
وما على ظهرِ غرا * بِ البين تُطوى الرحلُ
ولا إذا صاح غُرا * بٌ في الديارِ ارتحلوا
وما غُرابُ البينِ إ * لاّ ناقةٌ أو جملُ

وقال آخر

أترحلُ عمّن أنتَ صَبٌّ بمثلهِ * وتلحى غُرابَ البين إنكَ تظلمُ
أقِمْ فغُرابُ البينِ غيرُ مفرّقٍ * ولا يأتلي إلاّ على الفعلِ يحكمُ

وقال آخر

غلطَ الذين رأيتهمْ بجهالةٍ * يلحونَ كلُّهمُ غُراباً ينعقُ
ماالذنبُ إلاّ للجمالِ فإنها * مما يُشتّتُ شملهمْ ويُفرّقُ
إن الغرابَ بيُمنهِ يُدْنى النوى * ويُشتّتُ الشملَ الجميعَ الأنيقُ

وقال آخر

لا يعلمُ المرءُ ليلاً ما يُصبّحُهُ * إلاّ كواذبُ مما يُخبرُ الفالُ
والفالُ والزّجرُ والكهّانُ كلُّهمُ * مُضلّلونَ ودونَ الغيبِ أقفالُ

(ضده)

حُكي عن النعمان بن المنذر ، انه خرج متصيّداً ومعه عبدي بن زيد العبادي فرأى رام وهي القبور ـ فقال عدي ، أبيت اللعن أندري ما تقول هذه الآرام قال لا قال أنها تقول

أيُّها الرّكبُ المخفّو * نَ على الارضِ تمرُّونَ
لكما كنتمْ فكنا * وكما كنا تكونون

(١) هكذا في الاصل مسندا الى يوسف بن عمر : ولعلها من اخبار الحجاج كما في غير هذا الكتاب

فقال أعدفأعادها فترك صيده ورجع كئيباً . وخرج معه مرة أخرى فوقف على آرام بظهر الحيرة فقال عدى ، ابيت اللعن أتدرى ما تقول هذه الآرام قال لا قال انها تقول .

رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَناخُوا عِندَنا * يَشْرَبُونَ الخَمْرَ بالماءِ الزُّلالْ

ثُمَّ أَضْحَوْا عَصَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ * وَكَذاكَ الدَّهْرُ حالاً بعدَ حالْ

فانصرف وترك صيده . قال ولما خرج خالد بن الوليد الى أهل الردة انتهى الى حى من بنى تغلب فاغار عليهم وقتلهم ، وكان رجل منهم جالساً على شراب له وهو يغنى بهذا البيت

أَلا عَلِّلانِي قَبلَ جَيشِ أَبِي بَكرِ * لَعَلَّ مَنايانا قَرِيبٌ وما نَدْرِي

فوقف عليه رجل من أصحاب خالد فضرب عنقه فاذا رأسه فى الجفنة التى كان يشرب منها . وهذا كقولهم

﴿ إِنَّ البَلاءَ مُوَكَّلٌ بالمَنطِقِ ﴾

﴿ محاسن الوفاء ﴾

قيل فى المثل ، أوفى من فُكيهة ، وهى امرأة من بنى قيس بن ثعلبة كان من وفائها ان السليك بن سلكة غزا بكر بن وائل فلم يجد غفلة يلتمسها فخرج جماعة من بكر فوجدوا أثر قدم على الماء فقالوا . ان هذا الاثر لاثر قدم ورد الماء فقعدوا له فلما وافاهم حملوا عليه فعداحتى ولج قبة فُكيهة فاستجار بها فادخلته تحت درعها فانتزعوا خمارها فنادت اخوتها فجاؤا عشرة فمنعوهم منها . قال وكان سليك يقول . كانى أجد خشونة شعر استها على ظهرى حين أدخلتنى تحت درعها . وقال

لَعَمْرُ أَبِيكَ والانباءُ تَنمى * لَنِعْمَ الجارُ أُختُ بنى عُوارا

مِنَ الخفراتِ لم تَفضَحْ أَخاها * ولم تَرْفَعْ لوالِدِها شَنارا

عَنَيتُ بِهِ فُكَيْهَةَ حينَ قامَتْ * لنَصْلِ السَّيفِ فانتَزَعوا الخِمارا

ويقال أيضاً ، هو أوفى من أم جميل ، وهى من رهط ابن أبى بردة من دوس وكان من وفائها ان هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومى قتل رجلا من الازد فبلغ ذلك قومه بالسراة فوثبوا على ضرار بن الخطاب الفهرى ليقتلوه فعداحتى دخل بيت أم جميل وعاذ بها فقامت فى وجوههم ودعت قومها فمنعوه لها فلما ولى عمر بن الخطاب ظنت أنه أخوه فأتته بالمدينة فلما انتسبت له عرف القصة فقال انى لست بأخيه الا فى الاسلام وهو غاز وقد عرفنا منّتك عليه وأعطاها على أنها ابنة سبيل . ويقال أوفى من السموءل بن عادياء ، وكان من وفائه أن امرأ القيس بن حجر لما أراد الخروج الى قيصر استودع السموءل درعه فلما مات امرؤ القيس غزاه ملك من ملوك الشام

فتحرز منه السموءل فاخذ الملك ابنا له خارج الحصن وصاح به يا سموءل هذا ابنك فى يدى وقد علمت ان امرأ القيس ابن عمى وأنا أحق بميراثه فان دفعت الى الدروع والا ذبحت ابنك فقال . أجلنى فأجله فجمع أهل بيته فشاورهم فكلهم أشار وابدفع الدروع وان يستنقذ ابنه فلما اصبح أشرف عليه . وقال ليس لى الى دفع الدروع سبيل فاصنع ما أنت صانع فذبح الملك ابنه وهو ينظر اليه وكان يهوديا وانصرف الملك ووافى السموءل بالدروع الموسم فدفعها الى ورثة امرئ القيس . وقال فى ذلك

وفيتُ بأذرُعِ الكِندىّ إنى * إذا ماخانَ أقوامٌ وفيتُ
وقالوا عندهُ كنزٌ رَغيبٌ * فلا وأبيك أغدرُ ما مَشيت
بَنى لى عادياً حِصنا حَصيناً * وبئرا كلما شِئتُ استقيتُ

وفى ذلك يقول الاعشى

كنْ كالسَّمَوْأل إذْ طافَ الهمامُ به * فى جَحْفَلٍ كسوادِ الليلِ جرَّارِ
بالأبلقِ الفردِ من تَيماءَ منزلُهُ * حِصنٌ حَصينٌ وجارٌ غيرُ غدَّارِ
خيَّرهُ خطتىْ خَسْفٍ فقال لهُ * مهما تقولنْ فإنى سامعٌ حارِ
فقال ثُكْلٌ وغدرٌ أنت بينهما * فاخترْ فما فيهما حظٌ لمختارِ
فشكَّ غيرَ طويلٍ ثمَّ قال لهُ * اقتُلْ أسيرَكَ إنى مانعٌ جارى

ويقال . . أوفى من الحارث بن عباد ، وكان من وفائه انه أسر عدىّ بن ربيعة ولم يعرفه فقال له دلنى : على عدى بن ربيعة ولك الامان فقال . أنا آمن ان دللتك عليه . قال نعم . قال . فانا عدىّ بن ربيعة فخلاّه . وفى ذلك يقول الشاعر

لهفَ نفسى علىّ عَدِىٍّ وقد شا * رَفهُ الموتُ واحتوَتهُ المنونُ

ويقال . هو أوفى من عوف بن محلّم ،، وكان من وفائه ان مروان القرظ غزا بكر بن وائل ففضوا جيشه وأسروا رجل منهم وهو لا يعرفه فأتى به أمه فقالت . انك تختال باسيرك كانك جئت بمروان القرظ فقال . مروان وما مروان قالت . عظم فدائه قال . وكم مروان من فدائه قالت . مائة بعير قال . لك ذلك على ان تردّينى الى جماعة بنت عوف بن محلم قالت . ومن لى بالمائة فاخذ عودا من الارض وقال هذا لك فمضت به الى بيت عوف فاستجار بجماعة ابنته فبعثت به الى عوف ثم ان عمرو بن هند بعث الى عوف أن يأتيه بمروان وكان واجداً عليه فى شئ فقال عوف لرسوله . ان جماعة ابنتى قد أجارته ،، فقال ان الملك

قد آلى أن يعفو عنه أو يضع كفه فى كفه ،، فقال عوف ، يفعل ذلك على أن تكون كفى بين أيديهما ، فاجابه عمرو الى ذلك فجاء عوف بمروان فادخله عليه فوضع يده فى يده و وضع يده بين أيديهما فعفى عنه ،، ومنهم الطائى صاحب النعمان بن المنذر ، وكان من وفائه ان النعمان ركب فى يوم بؤسه وكان له يومان يوم بؤس و يوم نعيم لم يلقه أحد فى يوم بؤسه إلا قتله ولا فى يوم نعيمه الا أحياه وحباه وأعطاه فاستقبله فى يوم بؤسه اعرابى من طيء فقال ، حيا الله الملك ان لى صبية صغارا لم أوص بهم أحدا . فان رأى الملك ان يأذن لى فى اتيانهم وأعطيه عهد الله ان ارجع اليه اذا أوصيت بهم حتى أضع يدى فى يده فرق له النعمان ، وقال له لا . . إلا أن يضمنك رجل ممن معنا فان لم تأت قتلناه ، وكان مع النعمان شريك بن عمرو بن شراحيل فنظر اليه الطائى وقال

ياشريكَ بنَ عمرٍو * حلْ من الموتِ محالهْ
ياأخا كلِّ مُضافٍ * ياأخا مَنْ لا أخالهْ
ياأخا النعمانِ فُكَّ اليـ * ـومَ عن شيخٍ غلالهْ
ابنُ شيبانَ قبيلٌ * أصلحَ اللهُ فَعالهْ

فقال شريك . هو على أصلح الله الملك قضى الطائى وأجل له أجلا يأتى فيه فلما كان ذلك اليوم أحضر النعمان شريكا وجعل يقول له . ان صدر هذا اليوم قد ولى وشريك يقول . ليس لك على سبيل حتى نمسى ، فلما أمسوا أقبل شخص والنعمان ينظر الى شريك . فقال شريك ليس لك على سبيل حتى يدنو الشخص فلعله صاحبى فبينما هما كذلك اذ أقبل الطائى فقال النعمان . والله ما رأيت أكرم منكما وما أدرى أيكما أكرم أهذا الذى ضمنك وهو الموت أم أنت وقد رجعت الى القتل والله لا أكون ألأم الثلاثة فاطلقه وأمر برفع يوم بؤسه ، وأنشد الطائى

ولقد دعتنى للخلافِ عشيرتى * فأبيتُ عندَ تجهُّمِ الاقوالِ
إنى امرؤٌ منى الوفاء خليقةٌ * وفعالُ كلِّ مهذَّبٍ بذَّالِ

فقال النعمان . ماحملك على الوفاء قال . دينى . قال . وما دينك قال . النصرانية قال أعرضها على فعرضها عليه فتنصر النعمان

﴿ ضده ﴾

قيل . كتب صاحب بريد همذان الى المأمون وهو بخراسان يعلمه ان كاتب صاحب البريد المعزول اخبره ان صاحبه وصاحب الخراج كانا تواطئا على اخراج مائتى ألف درهم من بيت المال واقتسماها بينهما . فوقع المأمون إنا نرى قبول السعاية شرا من السعاية لان السعاية

دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء كمن قبله وأجازه فأنف الساعي عند ذلك وقال . يا أمير المؤمنين رضي الله عنك المعذرة فان الساعي وان كان في سعايته صادقا لقد كان في صدقه لئيما لم يحفظ الحرمة ولم يف لصاحبه ، قال . ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين عندي نصيحة قال . وما نصيحتك هذه ، قال . فلان كان عاملا ليزيد بن معاوية وعبد الملك والوليد فخانهم فيما تولاه ثم اقتطع أموالا كثيرة جليلة فر باستخراجها منه ، قال أنت شر منه واخون حيث اطلعت على أمره وأظهرته ولولا اني انفر النصاح لعاقبتك ولكن اخترمني خصلة من ثلاث ، قال . اعرضهن يا أمير المؤمنين ، قال . ان شئت فتشنا عما ذكرت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان استقلت أقلناك ، فاستقاله الرجل

﴿ محاسن السخاء ﴾

روى عن نافع قال ، لقي يحيى بن زكريا عليه السلام ابليس لعنه الله فقال . أخبرني بأحب الناس اليك وأبغضهم اليك . قال ، أحبهم الي كل مؤمن بخيل وأبغضهم الي كل منافق سخي . قال . ولم ذلك . قال . لان السخاء خلق الله الاعظم فاخشى ان يطلع عليه في بعض سخائه فيغفر له . وقال النبي صلى الله عليه وسلم . السخي قريب من الله قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخي أحب الى الله عز وجل من عابد بخيل وأدوأ الداء البخل . وقال صلى الله عليه وسلم . ما أشرقت شمس الا ومعها ملكان ينادیان يسمعان الخلائق غير الجن والانس وهما الثقلان اللهم عجل لمنفق خلفاً ولممسك تلفاً وملكان ينادیان أيها الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى . وعن الشعبي قال ، قالت أم البنين ابنة عبد العزيز أخت عمر بن عبد العزيز وكانت تحت الوليد ابن عبد الملك . لو كان البخل قميصا ما لبسته أو ثوبا ما سلكتها وكانت تعتق في كل يوم رقبة وتحمل على فرس في سبيل الله وكانت تقول ، البخل كل البخل من بخل على نفسه بالجنة . وقيل أعتقت هند بنت عبد المطلب في يوم واحد أربعين رقبة . وقال بعض الحكماء ثواب الجود خلف ومحبة ومكافأة وثواب البخل حرمان واتلاف ومذمة : وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه . يا علي كن شجاعا فان الله يحب الشجاع وكن سخيا فان الله يحب السخي وكن غيورا فان الله يحب الغيور يا علي وان انسانا سألك حاجة ليس لها باهل فكن أنت أهلا لها وقال النبي صلى الله عليه وسلم . السخاء شجرة في الجنة من أخذ منها بغصن مدبه الى الجنة ، وقال عبد العزيز بن مروان لولم يدخل على البخلاء في لؤمهم الا سوء ظنهم بالله عز وجل

لكان عظيما ، وقال صلى الله عليه وسلم . تجافوا عن ذنب السخى فان الله آخذ بيده كلما عثر ، وقال بهرام جور . من أحب أن يعرف فضل الجود على سائر الاشياء فلينظر الى ما جاد الله به على الخلق من المواهب الجليلة والرغائب النفيسة والنسيم والريح كما وعدهم الله فى الجنان فانه لولا رضاه الجود لم يصطفه لنفسه . وقال الموبذان لابرويز . أكنتم تمنون أنتم وآباؤكم بالمعروف وتترصدون عليه المكافأة ، قال . لاولا نستحسن ذلك لخولنا وعبيدنا فكيف نرى ذلك وفى كتاب ديننا من فعل معروفا خفياً وأظهره ليتطول به على المنعم عليه فقد نبذ الدين وراء ظهره واستوجب أن لا نعده من الابرار ولا نذكره فى الاتقياء والصالحين . قيل وسئل الاسكندر ما أكبر ما شيدت به ملكك ، قال ابتدارى الى اصطناع الرجال والاحسان اليهم * قال وكتب ارسطاطاليس فى رسالته الى الاسكندر . واعلم ان الايام تأتى على كل شىء فتخلقه وتخلق آثاره وتميت الافعال الا ما رسخ فى قلوب الناس فاودع قلوبهم محبة أبدة تبقى بها حسن ذكرك وكريم فعالك وشرف آثارك . قال ولما قدم بزرجمهر الى القتل قيل له . انك فى آخر وقت من أوقات الدنيا وأول وقت من أوقات الآخرة فتكلم بكلام تذكر به . فقال . أى شىء أقول الكلام كثير ولكن ان أمكنك أن تكون حديثا حسنا فافعل . قيل . وتنازع رجلان أحدهما من أبناء العجم والآخر اعرابى فى الضيافة فقال الاعرابى . نحن أقرى للضيف . قال وكيف ذلك . قال . لان أحدنا ربما لا يملك الا بعيراً فاذا حل به ضيف نحره له فقال له الاعجمى فنحن أحسن مذهبا فى القرى منكم ، قال . وماذاك . قال نحن نسمى الضيف مهمان ومعناه انه أكبر من فى المنزل وأملكنا به ، وقال بعض الحكماء . بلغ الجود من قام بالمجهود . وقيل . الجواد من لم يضن بالموجود . وقال المأمون . الجود بذل الموجود والبخل سوء الظن بالمعبود . قيل . وشكا رجل الى إياس بن معاوية كثرة مايهب ويصل الناس وينفق . قال ان النفقة داعية الرزق وكان جالسا على باب فقال للرجل اغلق هذا الباب فاغلقه فقال . هل تدخل فيه الريح قال . لا . قال فافتحه ففتحه فجعلت الريح تخترق فى البيت فقال . هكذا الرزق اغلقت فلم تدخل الريح فكذلك اذا أمسكت لم يأتك الرزق . قيل ووصل المأمون محمد بن عباد المهلبى بمائة ألف دينار فنثرها على اخوانه فبلغ ذلك المأمون فقال . ياأبا عبد الله ان بيوت الاموال لا تقوم بهذا . فقال ياأمير المؤمنين البخل بالموجود سوء الظن بالمعبود ، وعن أمية بن يزيد الاموى قال كنا عند عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية فجاءه رجل من أهل بيته فسأله المعونة على تزويج فقال له قولا ضعيفا فيه وعد وقلة اطماع ، فلما قام من عنده ومضى دعا صاحب خزانته فقال اعطه أربعمائة دينار . فاستكثرناها وقلنا . كنت رددت عليه رداً ظننا أنك تعطيه شيئاً قليلا فاذاً

أنت أعطيته أكثر مما أمل . فقال . انى أحب أن يكون فعلى أحسن من قولى ، و بحاتم يضرب المثل فى السخاء . حُدثنا عن بعض حالات حاتم قيل . كان حاتم جواداً شاعراً وكان حيثما نزل عرف منزله وكان ظفرا اذا قاتل غلب واذا غنم نهب واذا سئل وهب واذا ضرب بالقداح سبق واذا أسر أطلق ، وكان أقسم أن لا يقتل واحد أمه ، قيل : ولما بلغ حاتما قول المتلمس الضبعى

قليلُ المالِ تصلُحهُ فيبقى * ولا يبقى الكثيرُ على الفسادِ
وحفظُ المالِ أيسرُ من بغاهُ * وضربٌ فى البلاد بغير زاد

فقال . ماله قطع الله لسانه يحرض الناس على البخل أفلا قال

فلا الجودُ يُفنى المالَ قبل فنائهِ * ولا البُخلُ فى مال الشحيح يَزيدُ
فلا تلتمسْ رزقا بعيش مُقتّرٍ * لكلّ غدٍ رزقٌ يعودُ جديدُ
ألمْ ترَ أن الرّزقَ غادٍ ورائحٌ * وأن الذى أعطاكَ سوفَ يُعيدُ

قيل . ونزل على حاتم ضيف ولم يحضره القرى فنحر ناقة الضيف وعشاه وغداه وقال . إنك قد أقرضتنى ناقتك فاحتكم علىّ . قال . راحلتين . قال . لك عشرون أرضيت ؟ قال نعم وفوق الرضى . قال . لك أربعون . ثم قال لمن يحضرنه من قومه من أتانا بناقة فله ناقتان بعد الغارة فاتوه بار بعين فدفعها الى الضيف ، وحكوا عن حاتم انه خرج فى الشهر الحرام يطلب حاجة فلما كان بارض غزة أداه أسيرفهم . يا أباسفانة قد أكلنى الاسار والقمل . قال . والله ما أنا فى بلادى ولا معى شىء وقد أسأت إلى ان توهت باسعى فذهب الى المنزيين فساومهم فيه واشتراه منهم وقال . خلوا عنه وأنا أقيم مكانه فى قيده حتى أؤدى فداه ، فقبلوا فاتاهم بفداء . قيل ولما . مات حاتم خرج رجل من بنى أسد يعرف بابى الخيرى فى نفر من قومه وذلك قبل ان يعلم كثير من العرب بموته فاناخوا بقبره فقال . والله لا حلفن للعرب انى نزلت بحاتم وسألته القرى فلم يفعل وجعل يضرب القبر برجله ويقول

عجّلْ أبا سفانةٍ قِراكا * فسوفَ آتيكَ سائلى نَشاكا

فقال بعضهم . مالك تنادى رمة وبانوا مكانهم فقام صاحب القول من نومه مذعوراً فقال . ياقوم عليكم مطاياكم فان حاتماً أتانى فانشدنى

أبا الخَيْبَرِىّ وأنت امرؤٌ * ظلومُ العشيرةِ شتامُها
فماذا أردتَ إلى رِمّةٍ * بدَوِيّةٍ صَخِبَتْ هامُها
تُبغّى أذاها وإعسارَها * وحولَكَ طىّ وأنعامُها
وإنا لَنُنعِمُ أضيافَنا * من الكومِ بالسّيفِ نِعتامُها

وقيل فى المثل . هو اجود من كعب بن مامة وكان من اياد و بلغ من جوده انه خرج فى ركب فيهم رجل من بنى النمر بن قاسط فى شهر ناجر واجأهم العطش فضلوا فتصافنوا ماءهم فجعل النمرى يشرب نصيبه فاذا اراد كعب ان يشرب نصيبه قال . آثراخاك النمرى فيؤثره حتى اضر به العطش فلما رأى ذلك استحث ناقته و بادر حتى رفعت له اعلام الماء وقيل له رد كعب فانك ورّاد فمات قبل ان يرد ونجا رفيقه . ومن قول ابى تمام

هو البحر من أى النواحى أتيته * فلجته المعروف والجود ساحله
كريم إذا ماجئت للعرف طالبا * حباك بما تحوى عليه أنامله
فلو لم يكن فى كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

وللبحترى

لو أن كفك لم تجد لمؤمل * لكفاه عاجل وجهك المتهلل
ولو أن مجدك لم يكن متنادما * أغناك آخر سودد عن أول

ولبكر بن النطاح

بطل بصدر حسامه وسنانه * أجلان من صدر ومن إبراد
ورث المكارم واباد اقاسم * بصفائح وأسنة وجياد
ياعصمة العرب التى لو لم تكن * حيا إذا كانت بغير عماد
إن العيون إذا رأتك حداؤها * رجعت من الاجلال غير حداد
و إذا رميت الثغر منك بعزمة * تحت منه مواضع الاسداد
وكأن رمحك منتع فى عصفر * وكأن سيفك سل من فرصاد
لو صال من عضب أبو دلف على * بيض السيوف لذبن فى الاغماد
أورى ونور للعداوة والهوى * نارين نار دم ونار زناد

قال أبو هفان . انشدت هذه الابيات عبد العزيز بن أبى دلف بسر من راى . فقال هل سمعت بمثل هذه الابيات . قلت . لا . قال . ولغيره فى ابى دلف

ولو يجوز لقال الناس كلهم * لولا أبو دلف ما أورق الشجر

قال ابن يحيى النديم . دعانى المتوكل ذات يوم وهو مخمور فقال . انشدنى قول عمارة فى اهل بغداد . فانشدته

من يشترى منى ملوك محرم * أبيع حسنا وابنى هشام بدرهم
وأعطى رجاء بعد ذاك زيادة * وأمنح دينارا بغير تندم

فان طلبوا منى الزيادة زدتهم * أبا دلف والمستطيل بن أكثم

فقال المتوكل . ويلى على ابن البواب على عتبيه بجوشقيق دولة العباس قال فهل عندك من المدح فى أبى دلف القاسم بن عيسى شىء . قلت نعم يا أمير المؤمنين قول الاعرابى الذى يقول فيه

أبا دلف إن السماحة لم تزل * معلقة تشكو إلى الله غلها
فبشرها ربى بميلاد قاسم * فأرسل جبريلا إليها فحلها

وقال غيره

حر إذا جئته يوما لتسأله * أعطاك ما ملكت كفاه واعتذرا
يخفى صنائعه والله يظهرها * إن الجميل إذا أخفيته ظهرا

وقال آخر

فتى عاهد الرحمن فى بذل ماله * فليس يراه الدهر إلا على العهد
فتى قصرت آماله عن فعاله * وليس على الحر الكريم سوى الجهد

وقال آخر

إذا ما أتاه السائلون توقدت * عليه مصابيح الطلاقة والبشر
له فى ذرى المعروف نعمى كأنها * مواقع ماء المزن فى البلد القفر

وقال آخر

عاد السرور إليك فى الاعياد * وسعدت من دنياك بالإسعاد
رفقا بعبد جل ما أوليته * رفقا فقد أثقلته بأيادى
ملأ النفوس مهابة ومحبة * بدر بدا متعمما بسواد
ما إن أرى لك مشبها فيمن أرى * إن الكرام قليلة الانداد

وقال فى ابن أبى دواد

بدا حين أثرى بإخوانه * فقلل عنهم شباة العدم
وحذرة الحزم صرف الزمان * فبادر قبل انتقال النعم
فليس وإن بخل الباخلو * ن يفزع سنانه من ندم
ولا ينكت الارض عند السؤال * ليمنع سؤاله عن نعم
ولكن يرى مشرقا وجهه * ليرغم فى ماله من رغم

ويروى فى الحديث انه لا يجتمع الشح والايمان فى قلب عبد صالح أبدا . ويقولون .

الشحيح أغدر من الظالم اقسم الله بعزته لا يسا كنه بخيل فى جنته وقال النبى صلى الله عليه وسلم من فتح له باب من الخير فلينتهزه فانه لا يدرى متى يغلق عنه . وقال الشاعر فى ذلك

ليس فى كلّ ساعةٍ وأوانٍ * تَتَهيّا صنائعُ الإحسان
فاذا أمكنتْ تقدّمتُ فيها * حذراً منْ تعذّرِ الإمكان

وذكر عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه أن امير المؤمنين علياً صلوات الله عليه بعثه الى حكيم بن حزام بن خويلد يسأله مالا فانطلق به الى منزله فوجد فى الطريق صوفا فاخذه ومر بقطعة كساء فاخذها فلما صار الى المنزل أعطاه طرف الصوف فجعل يغتله حتى صيره خيطاً ثم دعا بغرارة مخرقة فرقعها بالكساء وخيطها بالخيط وصر فيها ثلاثين الف درهم فحملت معه قال وأتى قوم قيس بن سعد بن عبادة الانصارى رحمه الله يسألونه فى حمالة فصادفوه فى حائط له يتتبع ما يسقط من التمر فيعزل جيده ورديئه على حدة فهموا بان يرجعوا عنه وقالوا . ما نظن عنده خيراً ثم كلموه فاعطاهم فقال رجل من القوم . لقد رأيناك تصنع شيئاً لا يشبه فعالك فقال وماذاك فاخبروه فقال . ان الذى رأيتم يؤول الى اجتماع ما ينفع وينمو . ومنها قيل . الذود الى الذود إبل . وانشد

رُبَّ كبيرٍ هاجهُ صغيرُ * وفى البحُورِ تُغرَقُ البحورِ

وقال آخر

قد يلحقُ الصّغيرُ بالجليلِ * وإنما القَرْمُ من الافيلِ
وسحقُ النخلِ من الفسيلِ

قال ورأى رجل طلحة بن عبيد الله فسأله حمالة فرآه يهنأ بعيراً له فقال يا غلام اخرج اليه بدرة فقبضها وقال أردت ان انصرف حين رأيتك تهنأ البعير فقال انا لا نضيع الصغير ولا يتعاظمنا الكبير

﴿ مساوى البخل ﴾

المثل السائر فى البخل . هو ابخل من مادر . وهو رجل من بنى هلال بن عامر بلغ من بخله انه كان يسقى ابله فبقى فى اسفل الحوض ماء قليل فسلح فيه ومدر الحوض به فسمى مادراً . وذكروا ان بنى هلال و بنى فزارة تنافروا الى انس بن مدرك وتراضوا به . فقالت بنو هلال يا بنى فزارة أكلتم ايرا الحمار فقالت بنو فزارة . لم نعرفه . وكان سبب ذلك ان ثلاثة اصطحبوا فزارى وثعلبى وكلابى فصادفوا حمار وحش ومضى الفزارى فى بعض حوائجه فطبخوا كلا وخبأ للفزارى ايرا الحمار فلما رجع قالا . قد خبأنا لك حتك فكل . فأقبل يأكل ولا يسيغه فجعلا

يضحكان فقطن وأخذ السيف وقام اليهما وقال : لتأكلن منه أولاقتلنكما فامتنعا فضرب أحدهما فقتله وتناوله الآخر فاكل منه ، فقال فيهم الشاعر

نشدتُكَ يافزارَ وأنت شيخٌ * إذا خُيِّرتَ تُخطئُ فى الخيارِ
أصيحانيةٌ أُدمتَ بسمنٍ * أحبُّ اليك أمْ ابرُ الحمارِ
بلى ابرُ الحمارِ وخصيتاهُ * أحبُّ إلى فَزارةَ من فزارى

فقالت بنو فزارة : منكم يابنى هلال من سرق ابله فلمار ويت سلح فى الحوض ومدره بخلا فنفرهم أنس بن مدرك على الهلاليين فاخذ الفزاريون منهم مائة بعير وكانوا تراهنوا عليها ، وفى بنى هلال يقول الشاعر

لقد جلّلتَ خزيًا يا هلالُ بنُ عامرٍ * بنى عامرٍ طُرًّا بسلحةِ مادرِ
فأفٍّ لكم لاتذكروا الفخرَ بعدها * بنى عامرٍ أنتم شرارُ العشائرِ

وفى المثل ، هو أبخل من أبى حُباحب . وهو رجل فى الجاهلية بلغ من بخله انه كان يسرج السراج فاذا أراد أحد أن يأخذ منه أطفاه ، فضرب به المثل ، ومنه صاحب نحيح بن سلكة اليربوعى فانه ذكر : ان نحيحا اليربوعى خرج يوما يتصيد فعرض له حمار وحش فاتبعه حتى دفع الى أكمة فاذا هو برجل أعمى اسود قاعد فى اطمار بين يديه ذهب وفضة ودر وياقوت فدنا منه فتناول بعضها ولم يستطع أن يحرك يده حتى القاه فقال : ياهذا ماهذا الذى بين يديك وكيف يستطاع أخذه وهل هو لك أم لغيرك فانى أعجب مما ارى اجواد انت فنجود لنا أم بخيل فاعذرك فقال الاعمى : اطلب رجلا فقد منذ سنين وهو سعد بن خشرم بن شماس فأتنى به نعطك ماتشاء . فانطلق نحيح مسرعا قد استُطيرَ فؤاده حتى وصل الى قومه ودخل خباءه ووضع رأسه فنام فاتاه من الغم لايدرى من سعد بن خشرم فاتاه آت فى منامه فقال له . يانحيح ان سعد بن خشرم فى حى بنى محلم من ولد ذهل بن شيبان . فسأل عن بنى محلم ثم سأل عن خشرم بن شماس فاذا هو بشيخ قاعد على باب خبائه فجاء نحيح فرد عليه السلام ، فقال له نحيح من أنت ؟ قال أنا خشرم بن شماس قال له فاين ولدك سعد قال خرج فى طلب نحيح اليربوعى وذلك ان آتيا أتاه فى منامه فخدثه ان مالاله فى نواحى بنى يربوع لايعلم به الا نحيح اليربوعى فضرب نحيح فرسه ومضى وهو يقول

أيطلبُنى من قد عنانى طِلابُه * فياليتنى ألقاكَ سعدَ بنَ خَشرَمِ
أتيتُ بنى يربوعَ تبغى لقاءنا * وجئتُ لكى ألقاك حىَّ مُحَلِّمِ

فلما دنا من محلته استقبله سعد فقال له نحيح . أيها الراكب هل لقيت سعدا فى بنى يربوع قال أنا سعد فهل تدل على نحيح . قال ، أنا نحيح وحدثه بالحديث ، فقال ، الدال على الخير كفاعله

وهو أول من قالها — فانطلقا حتى أتيا ذلك المكان فتوارى الرجل الاعمى عنهما وترك المال فاخذه سعد كله فقال نجيح يا سعد قاسمنى . فقال له ، أطو عنى وعن مالى كشحا . وأبى أن يعطيه شيئاً فانتضى نجيح سيفه فجعل يضربه حتى برد فلما وقع قتيلا تحول الرجل الحافظ للمال سعلاة فاسرع فى أكل سعد وعاد المال الى مكانه فلما رأى نجيح ذلك ولى هاربا الى قومه . قيل وكان أبو عبس بخيلا وكان اذا وقع الدرهم فى يده نقره باصبعه ثم يقول . كم من مدينة قد دخلتها ويد قد وقعت فيها فالآن استقر بك القرار واطمأنت بك الدار ثم يرمى به فى صندوقه فيكون آخر العهد به . قيل ، ونظر سليمان بن مزاحم الى درهم فقال فى شق ، لا اله الا الله ، وفى شق ، محمد رسول الله ما ينبغى أن تكون الا معاذة وقذفه فى صندوقه . وذكروا انه كان بالرى عامل على الخراج يقال له المسيب فاتاه شاعر يمتدحه فلم يعطه شيئا ثم سعل سعلة فضرط ، فقال الشاعر

أتيتُ المُسيَّبَ فى حاجةٍ * فمازال يَسْعَلُ حتى ضَرَطْ

فقال غلطنا حساب الخراج * فقلتُ من الضرْطِ جاء الغلطْ

فما زالوا يقولون ذلك حتى هرب منها من غير عزل . قال ، وكتب ارسطاطاليس الى رجل بشىء فلم يفعل فكتب اليه ، ان كنت أردت فلم تقدر فمعذور وان كنت قدرت ولم ترد فسيأتيك يوم تريد فيه فلا تقدر ، قال . وسمع أبو الاسود الدؤلى رجلا يقول من يعشى الجائع ، فعشاه ثم قام الرجل ليخرج فقال . هيهات تخرج فتؤذى الناس كما آذيتنى ، ووضع رجله فى الادهم حتى أصبح ، قال وكان رجل يأتى ابن المقفع فيلح عليه وسأله أن يتغدى عنده ويقول لعلك تظن انى أتكلف لك شيئا والله لا أقدم لك الا ما عندى فلما أتاه لم يجد فى بيته الا كسراً يابسة وملح جريش ، وجاء سائل الى الباب فقال له ، وسع الله عليك ، فلم يذهب فقال ، والله لئن خرجت اليك لادقن رأسك . فقال ابن المقفع للسائل . ويحك لو عرفت من صدق وعده ما أعرف من صدق وعده لم تزد كلمة ولم تقم طرفة عين ، قال ، وكتب ابراهيم بن سيابة الى صديق له كثير المال يستسلفه . فكتب اليه ، العيال كثير والدخل قليل والمال مكذوب عليه فكتب اليه ، ان كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وان كنت صادقا فجعلك الله معذورا . وكتب آخر الى آخر يصف رجلا ، أما بعد فانك كتبت تسال عن فلان كانك همت به أو حدثتك نفسك بالقدوم اليه فلا تفعل فان حسن الظن به لا يقع فى الوهم الا بخذلان الله والطمع فيما عنده لا يخطر على القلب الا بسوء التوكل على الله والرجاء فيما فى يده لا ينبغى الا بعد اليأس من رحمة الله انه يرى الايثار الذى يرضى به التبذير الذى يعاقب عليه والاقتصاد الذى أمر به الاسراف الذى يعاقب عليه وان بنى اسرائيل لم يستبدلوا العدس والبصل بالمن والسلوى الا لفضل أخلاقهم

وقديم علمهم وان الصنيعة مرفوعة والصلة موضوعة والهبة مكروهة والصدقة منحوسة والتوسع ضلالة والجود فسوق والسخاء من همزات الشياطين وان مواساة الرجال من الذنوب الموبقة والافضال عليهم من احدى الكبائر وأيم الله انه يقول ان الله لا يغفر أن يؤثر المرء في خصاصة على نفسه و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن آثر على نفسه فقد ضل ضلالا بعيدا كانه لم يسمع بالمعروف الا في الجاهلية الذين قطع الله أدبارهم ونهى المسلمين عن اتباع آثارهم وان الرجفة لم تأخذ أهل مدين الا لسخاء كان فيهم ولا أهلكت الريح عادا الا لتوسع كان منهم فهو يخشى العقاب على الانفاق و يرجو الثواب على الاقتار و يعد نفسه خاسرا و يعدها الفقر و يامرها بالبخل خيفة أن تمر به قوارع الدهر وأن يصيبه ما أصاب القرون الاولى فاقرر حمك الله مكانك واصطبر على عسرك عسى الله أن يبدلنا وايانا خيرا منه زكاة وأقرب رحما . ولبعض الكتاب أما بعد فان كثير المواعيد من غير نجح عار على المطلوب اليه وقلنها مع نجح الحاجة مكرمة من صاحبها وقد رددتنا في حاجتنا هذه في كثرة مواعيدك من غير نجح لها حتى كانا قد رضينا بالتعلل لها دون النجاح ، كقول القائل :

لا تجعلنا كمُنى بمزرعةٍ * إنّ فانهُ المالُ أزوَنهُ المواعيدُ

وكتب آخر ، ما رأيت مثل طيب قولك أمرٌ دسوء فعلك ولا مثل بسط وجهك خالفه طول تنكيدك ولا مثل قرب عدتك باعدها افراط مطلك ولا مثل أنس مذاهبك أوحش منه اختبار عواقبك حتى كان الدهر أوعدك لطيف الحيلة بالمكر باهل الخلة وكانه زبنك فيهم بالخديعة لتدرك منهم فرصة الهلكة . وقد قيل : وعد الكريم نقد وتعجيل و وعد اللئيم مطل وتأجيل . وقال بعضهم : وعدتنا مواعيد عرقوب ومطلتنا مطل نعاس الكلب وغررتنا غرور السراب ومنيتنا أماني الكون . ولبعضهم أما بعد فلا تدعني معلقا بوعدك فالعذر الجميل أحسن من المطل الطويل فان كنت تريد الانعام فانجح وان تعذرت الحاجة فاوضح واعلمني ذلك لاصرف وجه الطلب الى غيرك . وذكروا ان فتى من مراد كان يختلف الى عمرو بن العاص فقال له ذات يوم : ألك امرأة . قال ، لا . قال ، فتزوج وعلي المهر . فرجع الى أمه فاخبرها الخبر فقالت :

إذا حدّثتكِ النفسُ إنك قادرٌ * على ماحوت أيدى الرجال فكذّبِ

فتزوج وأتى عمرو بن العاص فاعتل عليه ولم ينجز وعده فشكى ذلك الى أمه فقالت

لا تغضبنّ على امرئٍ في مالهِ * وعلى كرائم حرّ مالكَ فاغضبِ

ووصف اعرابي رجلا فقال ، له بشر مطمع ومطل مؤيس وكنت منه أبدا بين الطمع واليأس لا بذل سريع ولا مطل مريح ، وقال اعرابي ، أنا من فلان في أماني تهبط العصم وخلف

يذكر العدم ولست بالحريص الذى اذا وعده الكذوب علق نفسه لذبه وأتعب راحلته اليه،، وذكر اعرابى رجلا فقال ، له مواعيد عواقبها المطل وثمارها الخلف ومحصولها اليأس ، ويقال سرعة اليأس أحد النجحين ، وقال بعضهم مواعيد فلان مواعيد عرقوب ولمع الآل وبرق الخُلَّب وأمانى الكمون ونار الجاحب وصلف تحت الراعدة ، ومما قيل فى ذلك

أَرُوحُ وأَغدُو وانحوكم فى حوائجى * فأُصبِحُ فيها غدوةً كالذى أُمسى
وقد كنتُ أرجو للصديقِ شفاعتى * فقد صرتُ أرضى أن أشفّعَ فى نفسى

ولابى نواس

وعدتنى وعدك حتى إذا * أطمعتنى فى كنزِ قارونِ
جئتَ من الليل بغسّالةٍ * تغسلُ ما قلتَ بصابون

ولابى تمام

يحتاجُ من يرتجى نوالكم * إلى ثلاثٍ من غيرِ تكذيبِ
كنوزِ قارونَ أن تكونَ له * وعمرِ نوحٍ وصبرِ أيوبِ

وقال آخر

إنى رأيتُ من المكارمِ حسبكم * أن تلبسوا خزّ الثيابِ وتشبعوا

وقال حسان بن ثابت

إنى لاعجبُ من قولٍ غررتَ به * حُلوٍ يُمدُّ اليه السمعُ والبصرُ
لو تسمعُ الغُصمُ من صُمّ الجبالِ به * ظلّتْ من الراسياتِ الغُصمُ تنحدرُ
كالخمرِ والشهدِ يجرى فوق ظاهره * وما لباطنه طعمٌ ولا خبرُ
وكالسرابِ شبيهاً بالغديرِ وإن * تبغِ السرابَ فلا عينٌ ولا أثرُ
لا ينبتُ العُشبُ عن بُرقٍ وراعدةٍ * غرّاءَ ليس لها سيلٌ ولا مطرُ

وقال آخر

رأيتُ أبا عثمانَ يبذلُ عرضهُ * وخبزُ أبى عثمانَ فى أحرزِ الحرزِ
يحنُّ الى جارانهِ بعدَ شبعهِ * وجاراتُهُ غرثى تحنُّ الى الخبزِ

وقال آخر

ما كنتُ أحسبُ أن الخبزَ فاكهةٌ * حتى نزلتُ على أوفى بنِ منصور
الحابسُ الرَّوْثَ فى أعفاجِ بغلتهِ * خوفاً على الحبِّ من لقطِ العصافيرِ

وقال آخر

نوالك دونه خرط القتاد * وخبزك كالثريا فى البعاد
ترى الإصلاح صومك لا لنسك * وكسر الخبز من عمل الفساد
أرى عمر الرغيف يطول جدا * لديك كأنه من قوم عاد

وقال آخر

اللؤم منك على الطعام طباع * فعيال بيتك ما حييت جياع
وإذا يمر ببابِ دارك سائل * حملت عليه نوابح وسباع
وعلى رغيفك حية سمومة * وعلى خوانك عقرب وشجاع

وقال آخر

يا تارك البيت على الضيف * وهاربا عنه من الخوف
ضيفك قد جاء بخبز له * فارجع وكن ضيفا على الضيف
إذا اشتهى الضيف طبيخ الشتا * أتاه بالشهوة فى الصيف
وإن دنا المسكين من بابه * شد على المسكين بالسيف

وقال آخر

أرى ضيفك بالدار * وكرب الجوع يخشاه
على خبزك مكتوب * سيكفيكهم الله

وقال آخر

لابى نوح رغيف * أبدا فى حجر دايه
أبدا يمسحه الدهـ * ـر بكم ووقايه
وله كاتب سر * خط فيه بعنايه
فسيكفيكهم اللـ * ـه إلى آخر الآيه

وقال آخر

الخبز يبطى حين يدعو به * كأنه يقدم من قاف
ويمدح الملح لاصحابه * يقول هذا ملح سيراف
سيان أكل الخبز فى داره * وقلع عينيه بخطاف

وقال آخر

فتًى لا يَغارُ على عِرْسه * ولكنْ يَغارُ على خبزه
فمنهُ يدُ الجودِ مقبوضةٌ * وكفُّ السَّماحةِ في عجزه

وقال آخر

يصُونون أثوابَهُمْ في التُّخُوتِ * وأزْواجَهُمْ بَذْلةٌ في السِّكك
يُنحُّونَ مَنْ رامَ رُغفانَهُمْ * ويَدْنونَ مَنْ رامَ حلَّ التِّكك

وقال آخر

أمّا الرَّغيفُ على الخُوا * نِ فمنْ حماماتِ الحرَمْ
ما إنْ يُجَسُّ ولا يُمَـــسُّ ولا يُذاقُ ولا يُشَمْ
فـتراهُ أخضرَ يابساً * بالى النُّقُوشِ من الهرَمْ

وقال آخر

أتينا أبا طاهرٍ مفطرين * إلى داره فرجعنا صياما
وجاءَ بخبزٍ لهُ حامِضٌ * فقمنا دعوهُ وموتُوا كِراما

وقال آخر

يَخِلُّ بالماءِ ولوْ أنهُ * مُنغمِسٌ في وسطِ النيلِ
شُحّاً فلا تطمعْ في خبزِهِ * ولوْ تشفَّعْتَ بجبريل

وعن حذيفة بن محمد الطائي قال . قال الرشيد ما لاحد من المولدين ما لابي نواس في الهجاء

ومارَوَّحتنا لتذُبَّ عنا * ولكن خِفْتَ مَرْزِئةَ الذُّباب
شرابُك كالسرابِ إذا التقينا * وخُبزُك عندَ مُنقطعِ التراب

وقال آخر

خانَ عهدي عمرٌو وما خُنتُ عهدَهُ * وجَفاني وما تغيَّرتُ بعدَهْ
ليس لي ما حييتُ ذنبٌ اليهِ * غيرَ أني يوماً تغديتُ عندهْ

وقال الخليل بن احمد العروضي الازدي

فكفّاهُ لم تُخلَقا للندى * ولم يكُ يُخلُهما بدْعهْ
فكفٌّ على الخبزِ مقبوضةٌ * كما نَصَّتْ مائةٌ تسْعهْ
وكفٌّ ثلاثةُ آلافِها * وتسعُ مئيها لها شرْعهْ(١)

(١) قلت في هامش الاصل ما نصه وذكر جعفر بن محمد التميمي في كتابه الجامع في اللغة الشرعة المثل يقال هذا شرعة ذاك أي مثله وعلى هذا تأولوا قول الخليل رحمه الله فكف وذكر الابيات الثلاثة ثم قال يريد مثلها أي مثل

وقال ابن أبي البغل

وكلُّ منْ أجتديه فى بلدٍ * أرُومُ مما لديه فى صفدِ
يعقدُ لى باليسارِ أربعةً * منقوصةً تسعةً الى العددِ

وقال آخر

أتيتُ أبا عمرو أُرجّى نوالَهُ * فزادأبوعمرو على حزنى حُزنا
فكنتُ كباغى القرنِ أسلمَ أذنهُ * فآبَ بلا أُذن ولم يستفدْ قرنا

ـ محاسن الشجاعه ـ

قيل ، كان باليمامة رجل من بنى حنيفة يقال له جحدر بن مالك وكان لسنا فاتكا شجاعا شاعرا وكان قد أبر على أهل هجرو ناحيتها فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكتب الى عامل اليمامة يوبخه بتلاعب جحدر به و يأمره بالتجرد فى طلبه حتى يظفر به فبعث العامل الى فتية من بنى يربوع بن حنظلة فجعل لهم جعلا عظيما ان هم قتلوا جحدرا أو أتوه به أسيرا و وعدهم ان يوفدهم الى الحجاج و يسنى فرائضهم فخرج الفتية فى طلبه حتى اذا كانوا قريبا منه بعثوا اليه رجلا منهم يريبه انهم يريدون الانقطاع اليه والتحرم به فوثق بهم واطمأن اليهم فبينما هم على ذلك اذ شدوه وثاقا وقدموا به الى العامل فبعث به معهم الى الحجاج وكتب يثنى على الفتية فلما قدموا على الحجاج قال له أنت جحدر . قال ، نعم : قال . ما حملك على ما بلغنى عنك ، قال ، جراءة الجنان و جفوة السلطان وكلب الزمان ، قال ، وما الذى بلغ من أمرك فيجترىء جنانك و يصلك سلطانك ولا يكلب زمانك ، قال لو بلانى الامير لوجدنى من صالحى الاعوان و بُهم الفرسان وممن أوفى على أهل الزمان قال : الحجاج اناقاذفوك فى قبة فيها أسد فان قتلك كفانا مؤنتك وان قتلته خليناك و وصلناك ، قال: قد أعطيت أصلحك الله الامنية وأعظمت المنة وقربة المحنة . فامر به فاستوثق منه بالحديد وألقى فى السجن وكتب الى عامله بكسكر يأمر دان يصيد له أسدا ضاريا فلم يلبث العامل ان بعث اليه باسود ضاريات قد ابرّت على أهل تلك الناحية ومنعت عامة مراعيهم ومسارحدوابهم فجعل منها واحدا فى تابوت يجر على عجلة فلما قدموا به على الحجاج أمر فالقى فى حبز واجيع ثلاثا ، ثم بعث الى جحدر فاخرج وأعطى سيفا ودلى عليه فمشى الى الاسد ،، وأنشأ يقول

ليثٌ وليثٌ فى مكانٍ ضنكِ * كلاهما ذو أنفٍ ومحكِ
وصولةٍ فى بطشةٍ وفتكِ * إنْ يكشفِ اللهُ قناعَ الشكّ

الاولى وأنا أرى أن تكون شرعة هاهنا دينا وسنة قال هذا الهادينا

وظفرًا بجوجؤ وبزكه * فهو أحقُّ منزل بزكه

الذئب يهوى والغرابُ يبكى

حتى اذا كان منه على قدر رمح تخطى الاسد وزأر وحمل عليه فتلقاه جحدر بالسيف فضرب هامته فقلقها وسقط الاسد كانه خيمة قوضتها الريح فاثنى جحدر وقد تلطخ بدمه لشدة حملة الاسد عليه فكبر الناس ، فقال: الحجاج ياجحدر ان احببت ان ألحقك ببلادك وأحسن صحبتك وجائزتك فعلت بك وأن أحببت أن تقيم عندنا أقمت فاسنينا فرضتك . قال: اختار صحبة الامير ففرض له ولجماعة أهل بيته: وأنشأ جحدر يقول

ياجملُ إنكِ لو رأيتِ بسالتى * فى يوم هَيْجِ مُرْدِفٍ وعجاجِ
وتقدُّمى لليثِ أرْسُفُ نحوَهُ * حتى أكابدَهُ على الإحراجِ
جَهْمٌ كأنّ جبينَهُ لما بدا * طَبَقُ الرَّحا متفجِّرُ الأنباجِ
يَرْنُوا بناظرتين تحسبُ فيهما * مَنْ ظنَّ خالَهُما شعاعُ سراجِ
شَثْنٌ بَراسِنُهُ كأنّ نُيُوبَهُ * زُرْقُ المعاولِ أوْشذاة زجاجِ
وكأنما خِيطتْ عليهِ عباءةٌ * بَرْقاءُ أوْخلقٌ مِنَ الدّيباجِ
قِرْنانِ مُحتضِرانِ قدْ رَبَّبْتُهما * أمُّ المنيةِ غيرُ ذاتِ نِتاجِ
وعلمتُ أنى إنْ أبيتُ نِزالَهُ * أنى منَ الحجّاجِ لستُ بناجِ
فمشيتُ أرْسُفُ فى الحديدِ مكبَّلا * بالموتِ تهمى عندَ ذاكَ أناجى
والناسُ منهمْ شامتٌ وعصابةٌ * عَبَراتُهُمْ لى بالخلوقِ شَواجى
فقلقتُ هامتَهُ بخرّ كأنهُ * أُطُمٌ تقوّضَ مائلَ الابراجِ
ثمّ انثنيتُ وفى قميصى شاهدٌ * مما جرَى من شاخبِ الأوْداجِ
أيهنتُ أنى ذو حِفاظٍ ماجدٌ * مِنْ نسلِ أملاكٍ ذوى أتْواجِ
فلئنْ قذفتُ إلى المنيةِ عامدًا * إنى لخيرِكِ بعدَ ذلكَ راجى
عَلِمَ النساءُ بانّنى لأأثنى [1] * إذ لايشِقْنَ بغيرةِ الأزواجِ

وحكى عن الطفيل بن عامر العمرى قال . خرجت ذات يوم أريد الغارة وكنت رجلا أحب الوحدة فبينا أنا أسير اذ ضللت الطريق الذى أردته فسرت أياما لا أدرى أين أتوجه حتى قدزادى فجعلت آكل الحشيش وورق الشجر حتى أشرفت على الهلاك و يئست من الحياة

١ المشهور فى رواية البيت من يثار على النساء فحيظة البيت الخ

فبينا أنا أسير اذ أبصرت قطيع غنم فى ناحية من الطريق فملت اليها واذا شاب حسن الوجه فصيح اللسان قال لى . يا ابن العم أين تريد . فقلت . أردت حاجة لى فى بعض المدن وما أظننى الا قد ضللت الطريق . فقال . أجل ان بينك و بين الطريق مسيرة أيام فانزل حتى تستريح وتطمئن وتريح فرسك فنزلت فرمى لفرسى حشيشاً و جاءنى بثريد كثير ولبن ثم قام الى كبش فذبحه وأجج ناراً و جعل يكبب لى و يطعمنى حتى اكتفيت فلما جننا الليل قام وفرش لى وقال . قم فارم بنفسك فان النوم أذهب لتعبك وأرجع لنفسك فقمت و وضعت رأسى فبينا أنا نائم اذ أقبلت جارية لم ترعيناى مثلها قط حسنا و جمالا فقعدت الى الفتى و جعل كل واحد منهما يشكو الى صاحبه ما يلقى من الوجد به فامتنع على النوم لحسن حديثهما فلما كان فى وقت السحر قامت الى منزلها فلما أصبحنا دنوت منه فقلت له . ممن الرجل . قال أنا فلان بن فلان . فانتسب لى فعرفته فقلت له . و يحك ان أباك لسيد قومه فما حملك على وضعك نفسك فى هذا المكان . فقال ، أنا والله أخبرك كنت عاشقاً لابنة عمى هذه التى رأيتها وكانت هى أيضاً لى وامقة فشاع خبرنا فى الناس فأتيت عمى فسألته أن يزوجنيها فقال . يا بنى والله ما سألت شططاً وما هى بأثرة عندى منك ولكن الناس قد تحدثوا بشىء وعمك يكره المقالة القبيحة ولكن أنظر غيرها فى قومك حتى يقوم عمك بالواجب لك . فقلت . لا حاجة لى فيها ذكرت وتحملت عليه بجماعة من قومى فردهم و زوجها رجلا من ثقيف له رئاسة وقدر فحملها الى ههنا ـ وأشار بيده الى خيم كثيرة بالقرب منا ـ فضاقت على الدنيا برحبها وخرجت فى أثرها فلما رأتنى فرحت فرحا شديداً فقلت لها . لا تخبرى أحداً أنى منك بسبيل ثم أتيت زوجها وقلت . أنا رجل من الازد أصبت دماً وأنا خائف وقد قصدتك لما أعرف من رغبتك فى اصطناع المعروف ولى بصر بالغنم ان رأيت ان تعطينى من غنمك شيئاً فأكون فى جوارك وكنفك فافعل . قال . نعم وكرامة فاعطانى مائة شاة وقال لى . لا تبعد بها من الحى وكانت ابنة عمى تخرج الى كل ليلة فى الوقت الذى رأيت وتنصرف فلما رأى حسن حال الغنم أعطانى هذه فرضيت من الدنيا بما ترى . قال ، فأقمت عنده أياما فبينا أنا نائم اذ نبهنى وقال ، يا أخا بنى عامر ، قلت له ، ما شأنك ، قال ، ان ابنة عمى قد ابطأت ولم تكن هذه عادتها و والله ما اظن ذلك الا لامر حادث فحدثنى . فجعلت احدثه ، فأنشا يقول

مابالُ مَيَّةَ لا تأتى كعادتِها * هل هاجها طربٌ أوصدَّها شغلُ
لكنَّ قلبىَ لا يعنيه غيرُكمُ * حتى الممات ولا لى غيرَكمْ أملُ
لو تعلمين الذى بى منْ فراقكمُ * لما اعتذرتِ ولا طابت لكِ العِلَلُ

نفسي فداؤك قد أخلت بي حرقاً * تكاد من حرها الاحشاء تنفصل
لو كان عادية منه على جبل * لزل وانهد من أركانه الجبل

فوالله ما اكتحل بغمض حتى انفجر عمود الصبح وقام ومر نحو الحي فابطأ عني ساعة ثم أقبل ومعه شيء وجعل يبكي عليه . فقلت له ، ماهذا ، قال هذه ابنة عمي افترسها السبع فاكل بعضها ووضعها بالقرب مني فاوجع والله قلبي ثم تناول سيفه ومر نحو الحي فابطأ هنيهة ثم أقبل الي وعلى عاتقه ليث كانه حمار فقلت له . ماهذا . قال . صاحبي . قلت . وكيف علمته . قال . اني قصدت الموضع الذي أصابها فيه وعلمت انه سيعود الى ما فضل منها فجاء قاصداً الى ذلك الموضع فعلمت انه هو فحملت عليه فقتلته ثم قام فحفر في الارض فامعن واخرج ثوباً جديداً وقال . ياأخا بني عامر اذا انا مت فادرجني معها في هذا الثوب ثم ضعنا في هذه الحفرة وهل التراب واكتب هذين البيتين على قبرنا وعليك السلام

كنا على ظهرها والعيش في مهل * والدهر يجمعنا والدار والوطن
فخاننا الدهر في تفريق الفتنا * واليوم يجمعنا في بطنها الكفن

ثم التفت الى الاسد وقال

ألا أيها الليث المدل بنفسه * هبلت لقد جرت يداك لنا حزنا
وغادرتني فرداً وقد كنت آلفاً * وصيرت آفاق البلاد لنا سجنا
أصاحب دهراً خانني بفراقها * معاذ إلهي أن أكون له خدنا

ثم قال . ياأخا بني عامر اذا فرغت من شأننا فصح في أدبار هذه الغنم فردها الى صاحبها ثم قام الى شجرة فاختنق حتى مات فقمت فادرجتهما في ذلك الثوب ووضعتهما في تلك الحفرة وكتبت البيتين على قبرهما ورددت الغنم الى صاحبها وسألني القوم فاخبرتهم الخبر فخرج جماعة منهم فقالوا والله لننحرن عليه تعظيماً له فخرجوا واخرجوا مائة ناقة وتسامع الناس فاجتمعوا الينا فنحرت ثلاثمائة ناقة ثم انصرفنا . وقيل لما كان من أمر عبد الرحمن بن الاشعث الكندي ما كان قال الحجاج اطلبوا لي شهاب بن حرقة السعدي في الاسرى أو القتلى فطلبوه فوجدوه في الاسرى فلما ادخل على الحجاج قال له من أنت قال أنا شهاب بن حرقة قال والله لاقتلنك قال لم يكن الامير بالذي يقتلني قال ولم قال لان في خصالا يرغب فيهن الامير قال وما هن قال ضروب بالصفيحة هزوم للكتيبة أحمي الجار وأذب عن الذمار وأجود على العسر واليسر غير بطيء عن النصر قال الحجاج ما أحسن هذه الخصال فاخبرني باشد شيء مر عليك قال نعم أصلح الله الامير

بينا أنا أسير * ومركبي وثير * في عصبة من قومي * في ليلتي ويومي
يمضون كالاجادل * في الحرب كالبواسل * أنا المطاع فيهم * في كل ما يليهم
فسرت خمساً عوماً * وبعد خمس يوما * حتى وردت أرضا * ما ان ترام عرضا
من بلد البحرين * عند طلوع العين * فهجتهم نهارا * القس المغارا
حتى اذا كان السحر * من بعد ما غاب القمر * اذا أنا بعير * يقودها خفير
موقرة متاعا * مقبلة سراعا * فصلت بالسنان * مع سادة فتيان
فسقتها جميعا * احثها سريعا * أريد رمل عالج * امعج بالعناجيج
أسير في الليالي * خرقاً بعيداً خالي * وقد لقينا تعباً * وبعد ذاك نصبا
حتى اذا هبطنا * من بعد ما صعدنا * عنت لنا بيدانه * قد كان فيها عانه
رميتها بقوسي * في مهمه كالترس * حتى اذا ما أمعنت * بالقفر ثم درمت
وردت قصراً منهلا * في جوفه طام حلا * وعنده خيمه * في جوفها نعيمه
عزيزة كالشمس * فاقت جميع الانس * فعجت مهري عندها * حتى وقفت معها
حييت ثم ردت * في لطف وحيت * فقلت يا عروب * والطفلة العروب
هل عندكم قراء * اذ نحن بالعراء * قال نعم برحب * في لطف وقرب
أربع هنا عتيدا * ولا تكن بعيداً * حتى يجئك عامر * مثل الهلال زاهر
فعجت عن قريب * في باطن الكثيب * حتى رأيت عامراً * يحمل لبنا خادرا
على عتيق سابح * كمثل طود اللامح

قال . وكان الحجاج متكئا فاستوى جالسا ثم قال . ويحك دعنا من السجع والرجز وخذ في الحديث . قال . نعم أيها الامير ثم نزل فربط فرسه وجمع حجارة وأوقد عليها نارا وشق عن بطن الاسد والقى مراقه في النار فجعلت أصلح الله الامير اسمع للحم الاسد لشيشاً فقالت له نعيمة قد جاءنا ضيف وانت في الصيد . قال . فافعل ، قالت . هاهو ذاك بظهر الكثيب والخيمة فأومأت الى فاتيتها فاذا أنا بغلام أمرد كان وجهه دارة القمر فربط فرسي الى جنب فرسه ودعاني الى طعامه فلم امتنع من أكل لحم الاسد لشدة الجوع فأكلت أنا ونعيمة منه بعضه وأتى الغلام على آخره ثم مال الى رق فيه خمر فشرب ثم سقاني فشربت ثم شرب الغلام حتى أتى على آخره فبينا نحن كذلك اذ سمعت وقع حوافر خيل أصحابي فقمت وركبت فرسي وتناولت رمحي وصرت معهم ثم قلت ياغلام خل عن الجارية ولك ماسواها ، فقال ، ويلك احفظ المماحلة ، قلت لا بد من الجارية

فالتفت اليها وقال لها قفى ثم قال يافتيان هل لكم فى العافية والا فارس وفارس فبرز اليه رجل من أصحابى فقال له الغلام ، من أنت فلست أقاتل من لا أعرفه ولا أقاتل الا كفؤا أعرفه فقال أنا عاصم بن كلبة السعدى فشد عليه . وأنشأ يقول

إنكَ ياعاصمُ بنَ كلبةَ جاهلْ * إذ رُمْتَ أمراً أنت عنهُ نا كلْ
إنى كَمِيٌّ فى الحروبِ باسلْ * ليثٌ إذا اصطكَّ الليوثُ بازلْ
ضَرَّابُ هاماتِ العدى مُنازلُ * قتَّالُ أقرانِ الوَغا مُقاتِلْ

ثم طعنه فقتله وقال يافتيان هل لكم فى العافية والا فارس وفارس فتقدم اليه آخر من أصحابى فقال له الغلام . من أنت فقال أنا صابر بن حرقة فشد عليه وأنشأ يقول

إنك والإلهِ لستَ صابراً * على سِنانٍ يجلُبُ المقادرا
ومُنصُلٍ مثلَ الشهابِ باترا * فى كفِّ قَرْمٍ يمنعُ الحرائرَ
إنى إذا رُمْتُ امرأً فاسراً * يكونُ قِرْنى فى الحروبِ بائرا

ثم طعنه فقتله وقال . يافتيان هل لكم فى العافية والا فارس لفارس فلما رأيت ذلك هالنى أمره وأشفقت على أصحابى فقلت . احملوا عليه حملة رجل واحد فلما رأى ذلك أنشأ يقول

الآنَ طابَ الموتُ ثم طابا * إذ تطلبون رَخصةً كعابا
ولا نُريد بعدها عِتابا

فركبت نعيمة فرسها وأخذت رمحها فما زال يجالدنا ونعيمة حتى قتل منا عشرين رجلا فأشفقت على أصحابى فقلت . ياغلام قد قبلنا العافية والسلامة . فقال . ما كان أحسن هذا لو كان أولا ونزلنا وسالمنا ثم قلت ياغلام بحق المصالحة من أنت قال أنا عامر بن حرقة الطائى وهذه ابنة عمى ونحن فى هذه البرية منذ زمان ودهر مامر بنا أنس غيركم فقلت من أين طعامكم قال حشرات الطير والوحش والسباع قلت فمن أين شرابكم قال الحمر أجلبها من بلاد البحرين كل عام مرة أو مرتين قلت ان معى مائة من الابل موقرة متاعا فخذ منها حاجتك فقال لا أرب لى فيها ولو أردت ذلك لكنت أقدر عليه فارتحلنا عنه منصرفين . فقال الحجاج الآن ياعدو الله طاب قتلك لغدرك بالفتى قال . . كان خروجى على الامير أصلحه الله اعظم من ذلك فان عفى عنى الامير رجوت أن لا يؤاخذنى بغيره فاطلقه ووصله ورده الى بلده

﴿ ضده ﴾

قال . دخل أبو زبيد الطائى على عثمان بن عفان فى خلافته وكان نصرانيا فقال له بلغنى انك

يحيد وصف الاسد . فقال له . لقد رأيت منه منظراً وشهدت منه مخبراً لا يزال ذكره يتجدد على قلبي . قال هات ما مر على رأسك منه . قال خرجت يا أمير المؤمنين في صيابة من افناء قبائل العرب ذوي شارة حسنة ترتمي بنا المهارى باكسائها القزوانيات ومعنا البغال عليها العبيد يقودون عتاق الخيل نريد الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام فاخروّط بنا المسير في حمارة القيظ حتى اذا عصبت الافواه وذبلت الشفاه وشالت المياه واذكت الجوزاء المعزاء وذاب الصيخد وصرّ الجندب وضايق العصفور الضب في وجاره ، قال قائلنا : أيها الركب غوّروا بنا في دوح هذا الوادي فاذا واد كثير الدغل دائم الغلل شجر اؤه مغنة وأطياره مرنة فحططنا رحالنا بأصول دوحات كنهبلات فاصبناه من فضلات المزاود واتبعناها بالماء البارد فانا النصف حرّ يومنا وتماطلته ومطاولته اذ صرّ أقصى الخيل أذنيه وفحص الارض بيديه ثم مالبث أن جال فحمحم وبال فهممنا ثم فعل فعله الذي يليه واحد بعد واحد فتضعضعت الخيل وتكمكمت الابل وتقهقرت البغال فمن نافر بشكاله وناهض بعقاله فعلمنا أن قد أتينا وانه السبع لا شك فيه ففزع كل امرئ منا الى سيفه واستله من جرابانه وقفنا له رزدقا فأقبل يتظالع في مشيته كانه مجنوب أو في هجار لصدره نحيط ولبلاعيمه غطيط ولطرفه وميض ولارساغه نقيض كانما يخبط هشيما أو يطأ صريما واذا هامة كالمجنّ وخد كالمسنّ وعينان سجراوان كانهما سراجان يقدان وقصرة رابلة ولهزمة رهلة وكتد مغبط وزور مفرط وساعد مجدول وعضد مفتول وكف شثنة البراسن الى مخالب كالمحاجن ثم ضرب بذنبه فارهج وكشر فافرج عن أنياب كالمعاول مصقولة غير مفلولة وفم أشدق كالغار الاخرق ثم تمطى فاسرع بيديه وحفز وركيه برجليه حتى صار ظله مثليه ثم أقعى فاقشعرّ ثم مثل فاكفهرّ ثم تجهم فازبأرّ فلا والذي بيته في السماء ما اتقيناه باول من أخ لنا من بني فزارة كان ضخم الجزارة فوهصه ثم أقعصه ـ فتضقض متنه وبقر بطنه فجعل يلغ في دمه فذمرت أصحابي فبعد لاي ما استقدموا فكرّ مقشعر الزبرة كان به شبهما حوليا فاختلج من دوني رجلا أعجز ذا حوايا فنفضه نفضة فتزايلت أوصاله وانقطعت أوداجه ثم نهم فقرقر ثم زفر فبربر ثم زأر فجرجر ثم لحظ فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه عن شماله ويمينه فارتعشت الايدي واصطكت الارجل وأطت الاضلاع وارتجت الاسماع وحملجت العيون وانخزلت المتون ولحقت الظهور البطون ثم ساءت الظنون . . وأنشأ يقول

عَبُوسٌ شَمُوسٌ مُصْلَخِدٌّ خَنابِسٌ * جَرِيءٌ على الارواحِ لِلقَرْنِ قاهِرُ
مَنِيعٌ وَيحمي كلَّ وادٍ يَرُومُهُ * شَديدٌ أُصولِ الماضِغَينِ مُكابِرُ
بَراثِنُهُ شُثْنٌ وعيناهُ في الدُّجى * كجمرِ الغضا في وجههِ الشرُّ ظاهِرُ

يُدِلُّ بأنياب حِدادٍ كأنها * إذا قلّصَ الاشداقَ عنها خناجرُ

فقال عثمان . اكفف لا أم لك فلقد أرعبت قلوب المسلمين ولقد وصفته حتى كانى أنظر اليه يريد يواثبنى . وقيل فى المثل هو أجبن من هجرس — وهو القرد — وذلك انه لا ينام الا وفى يده حجر مخافة أن يأكله الذئب ، وحدثنا رجل بمكة قال . اذا كان الليل رأيت القرود تجتمع فى موضع واحد ثم تبيت مستطيلة واحداً فى أثر واحد فى يد كل واحد منهم حجر لئلا ترقد فيأتيها الذئب فيأكلها وان نام واحد وسقط الحجر من يده فزع فتحرك الآخر فصار قدامه فلا تزال كذلك طول الليل فتصبح وقد صارت مع الموضع الذى باتت فيه على ثلاثة أميال او اكثر جبناً ، وقيل . هو أجبن من صافر ، وهو طائر يتعلق برجليه وينكس رأسه ثم يصفر ليلته كلها خوفا من أن ينام فيؤخذ ، وقيل ايضا هو أجبن من المنزوف ضرطاً ، وكان من حديثه أن نسوة من العرب لم يكن لهن رجل فتزوجت واحدة منهن برجل كان ينام الى الضحى فاذا انتبه ضربنه وقلن له قم فاصطبح ويقول لولا عادية نبهتنى — أى خيل عادية عليكن مغيرة فادفعها عنكن فلما رأين ذلك فرحن وقلن ان صاحبنا الشجاع ثم أقبلن وقلن تعالين نجربه فاتينه كما كن يأتينه فأيقظنه فقال لولا عادية نبهتنى . فقلن له . نواصى الخيل معك ، فجعل يقول الخيل الخيل ويضرط حتى مات فضرب به المثل . وقيل لجبان انهزمت فغضب الامير عليك ، قال يغضب الامير وأنا حىّ أحب الىّ من أن يرضى وأنا ميت ، وقيل لبعض الجبان مالك لا تغزوا ، قال والله انى لا بغض الموت على فراشى فكيف أمرّ اليه ركضاً ، قال . وقال الحجاج لحميد الارقط وقد أنشده قصيدة بصف فيها الحرب يا حميد هل قاتلت قط ، قال لا أيها الامير الا فى النوم قال وكيف كانت وقعتك ، قال انتبهت وأنا منهزم ، ومما قيل فى ذلك من الشعر

ظلتْ تُشجّعنى هندٌ بتضليلِ * وللشجاعةِ خطبٌ غيرُ مجهولِ
هانى شُجاعا لغيرِ القتلِ مَصْرَعُهُ * أوْجِدْكِ ألفُ جبانٍ غيرِ مقتولِ
الحربُ توسعُ مَنْ يَصْلى بها حَرِبا * يُتْمَ العيالِ وإثكالَ المثاكيلِ
اسْمُ الوغى اشتُقّ من غوغاءِ بحرِ بها * يَعْدُونَ للموتِ كالطيرِ الابابيلِ
واللهِ لو أنّ جبريلاً تكفّلَ لى * بالنصرِ ما خاطرتْ نفسى لجبريلِ
هل غيرَ أنْ يَعذِروني أنّني فشلٌ * فكلُّ هذا نَعَمْ فاغرُوا بتعزيلى
إنْ أعتذِرْ من فِراري فى الوغى أبداً * كانَ اعتذارى رَدِيداً غيرَ مقبولِ
إسمعْ أُخبِّرْكَ عن بأسى بذى سَلَبٍ * خِلافَ بأسِ المساعيرِ البَهاليلِ

لما بدت منهم نحوى عشوزنة * شمّاء تشرع فى عرضى وفى طولى
فقلت ويحكم لا ترهبوا جلدى * رمحى كسير وسيفى غير مصقول
لما اتقينهم طوعا بذات يدٍ * وانصعت أطوى الفلا ميلاً الى ميل
الله خلصنى منهم وفلسفتى * حتى تخلصت مخضوب السراويل

وقال آخر

أضحت تشجعنى هند فقلت لها * إن الشجاعة مقرون بها العطب
لا والذى حجت الانصار كعبته * ما يشتهى الموت عندى من له أرب
للحرب قوم أضل الله سعيهم * إذا دعتهم إلى أحوالها وثبوا
ولست منهم ولا أهوى فعالهم * لا القتل يعجبنى منهم ولا السلب

وقال آخر

يقول لى الامير بغير جرم * تقدم حين حل بنا المراس
فمالى إن أطعتك فى حياة * ولا لى غير هذا الرأس راس

﴿ محاسن حب الوطن ﴾

قال عمر بن الخطاب لولا حب الوطن لخرب بلد السوء ، وكان يقال بحب الاوطان عمرت البلدان ، وقال جالينوس يتروح العليل بنسيم أرضه كما تتروح الارض الجدبة ببل المطر ، وقال بقراط يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة تنزع الى غذائها ، ومما يؤكد ذلك قول اعرابى وقد مرض بالحضر فقيل له ما تشتهى . فقال مخيضاً رويا وضباً مشويا ، وقد قيل أحق البلدان بنزاعك اليها بلد أمصك حلب رضاعه ، وقيل احفظ أرضا ارسخك رضاعها واصلحك غذاؤها وارع حمى اكتنفك فنأوه ، وقيل لا تشك بلداً فيه قبائلك ، وقيل من علامة الرشد أن تكون النفس الى أوطانها مشتاقة والى مولدها توّاقة ، وحدثنا بعض بنى هاشم قال . قلت لاعرابى من أين اقبلت قال من هذه البادية قلت وأين تسكن منها قال مساقط الحمى حمى ضرية ما إن لعمر الله أريد بها بدلا ولا ابتغى عنها حولا حفتها الفلوات فلا يملح ماؤها ولا تحمى تربتها ليس فيها أذى ولا قذى ولا وعك ولا موم ونحن بأرفه عيش وأوسع معيشة وأسبغ نعمة ، قلت مما طعامكم قال بخ بخ الهبيد والضباب واليرابيع مع القنافذ والحيات وربما والله أكلنا القد واشتوينا الجلد فلا نعلم أحداً أخصب منا عيشاً فالحمد لله على ما رزق من السعة وبسط من حسن الدعة ، وقيل

لاعرابى كيف تصنع بالبادية اذا انتصف النهار وانتعل كل شىء ظله فقال وهل العيش الا ذاك يمشى أحدنا ميلا فيرفض عرقا كانه الجمان ثم ينصب عصاه ويلقى عليها كساه وتقبل الرياح من كل جانب فكانه فى ايوان كسرى ، وقال بعض الحكماء عسرك فى بلدك خير من يسرك فى غربتك . وقيل لاعرابى ما الغبطة قال الكفاية ولزوم الاوطان والجلوس مع الاخوان ، وقيل فما الذل قال التنقل فى البلدان والتنحى عن الاوطان ، وقال بعض الادباء الغربة ذلة والذلة قلة وقال الآخر لا تنهضن عن وطنك ووكرك فتنقصك الغربة وتصمتك الوحدة ، وشبهت الحكماء الغريب باليتيم اللطيم الذى ثكل أبويه فلا أم ترأمه ولا اب يحدب عليه ، وكان يقال الغريب عن وطنه ومحل رضاعه كالغرس الذى زايل أرضه وفقد شربه فهو ذاو لا يثمر وذابل لا ينضر ، وكان يقال الجالى عن مسقط رأسه كالعير النافر عن موضعه الذى هو لكل سبع فريسة ولكل كلب قنيصة ولكل رام رمية . وأحسن من ذلك واصدق قول الله عز وجل (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) وقال تعالى (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم) فقرن جل ذكره الجلاء عن الوطن بالقتل . وقال تقدست أسماؤه (ومالنا أن لا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) فجعل القتال بازاء الجلاء وقال النبى صلى الله عليه وسلم الخروج عن الوطن عقوبة . ومما قيل فى ذلك من الشعر

إذا ما ذكرتُ الثغرَ فاضتْ مدامعى * وأضحى فؤادى نهبةً للهمائم
حنيناً إلى أرضٍ بها الخضرُ شاربى * وحُلّتْ بها عنّى عُقودُ التمائم
وألطفُ قومٍ بالقِرى أهلُ أرضه * وأرعاهمُ للمرءِ حقَّ التقادم

وقال آخر

أحِنُّ الى أرضِ الحجاز وحاجتى * قيامٌ بنجدٍ دونها الطرفُ يقصرُ
وما نظرى من نحو نجدٍ بنافعى * أجلْ لا ولكنى على ذاكَ أنظرُ
فى كلِّ يومٍ نظرةٌ ثمَّ عَبرةٌ * لعينيكَ يجرى ماؤها يتحدّرُ
متى يسترحْ قلبٌ فاما مُحاذِرٌ * حزينٌ وإما نازحٌ يتذكّرُ

وقال آخر

تَقَلْ فؤادك حيثُ شئتَ من الهوى * ما الحبُّ إلا للحبيبِ الاوّلِ
كم منزلٍ فى الارض يألفهُ الفتى * وحنينهُ أبداً لاوّل منزلِ

وقال ابن ابى السرح قرأت على حائط بيتى شعر.. وهما

إنَّ الغريبَ ولوْ يكونُ ببلدة * يجبي إليهِ خراجُها لغريبُ
وأقلُّ ما يلقى الغريبُ منَ الاذى * أنْ يستذلَّ وأنْ يُقالَ كذوبُ

قال وقرأ على حائط بعسكر مكرم

إنَّ الغريبَ إذا يُنادى موجعاً * عندَ الشدائدِ كانَ غيرَ مُجابِ
فاذا نظرتَ إلى الغريبِ فكنْ له * مُترحِّماً لتباعُدِ الاحبابِ

وقال وقرأت على حائط ببغداد

غريبُ الدارِ ليسَ لهُ صديقُ * جميعُ سُؤالهِ أينَ الطريقُ
تعلّقَ بالسُّؤالِ لكلِّ شيءٍ * كما يتعلقُ الرَّجلُ الغريقُ
لانجزَعْ فكلُّ فتىً سيأتي * على حالاتِه سَعةٌ وضيقُ

قال ووجدت على حائط باب مكتوب

عليكَ سَلامُ اللهِ ياخيرَ مَنزلِ * رَحلنا وخلّفناكَ غيرَ ذميمِ
فإنْ تكُنِ الايّامُ فرّقنَ بيننا * فما أحدٌ منْ ربِّها بسَليمِ

وقال آخر

وإنَّ اغترابَ المرءِ منْ غيرِ حاجةٍ * ولا فاقةٍ يسمو لها لعجيبُ
فحسبُ امرىءٍ ذُلا ولوْ أدركَ الغنى * ونالَ ثراهُ أنْ يُقالَ غريبُ

وقال اخر

إنَّ الغريبَ وإنْ يكنْ في غِبطةٍ * لمُعذَّبٌ وفؤادُه محزُونُ
ومتى يكونُ معَ التغرُّبِ عاشقاً * ومُفارقاً يارِبِّ كيفَ يكونُ

وقال آخر

إنَّ الغريبَ ذليلٌ أينَ ماسلكا * لوْ أنهُ مَلِكٌ كلَّ الورى مَلكا
إذا تغنى حمامُ الايكِ في غُصُنٍ * حنَّ الغريبُ إلى أوطانهِ فبكى

وقال آخر

سَلِ اللهَ الإيابَ منَ المَغيبِ * فكمْ قدْ ردَّ مثلكَ منْ غريبِ
وسَلِّ الحُزنَ منكَ بحسنِ ظنٍّ * ولا تيأسْ من الفرجِ القريبِ

وقال آخر

تصبَّرْ ولا تعجلْ وُقيتَ منَ الرَّدى * لعلَّ إيابَ الظاعنينَ قريبُ

فقلتُ وفى قلبى جوًى لفراقها * ألا لا تُصَبِّرْنى فلستُ أجيبُ

وقال آخر

أعاذِلَ حُبى للغريبِ سَجِيَّةٌ * وكلُّ غريب للغريبِ حبيبُ
لئن قلتُ لم أجزَعْ من البينِ إنْ مَضوا * لطيتهم إنى اذاً لكذوبُ
بلى عُرَّاتُ الشوقِ أضرَمْتِ الحشا * ففاضتْ لها من مقلتىّ غروبُ

وقال آخر

إذا اغترَبَ الكريمَ رأى أموراً * مُجللة يشيبُ لها الوليدُ

وقال آخر

ما كنتُ أحسبُ أن يكو * نَ كذا تفرُّقنا سريعا
تَبخلَ الزّمانُ علىّ أنْ * نبقى كما كنا جميعا
فأحلّنى فى بلدةٍ * وأحلكَ البلدَ الشسيعا
قد كنتُ أنتظرُ الوصا * لَ فصرتُ أنتظرُ الرجوعا

وقال آخر

نسيمُ الخُزامى والرّياحُ التى جرَتْ * بنجدٍ على نجدٍ تذكّرُنى نجدَا
أتانى نسيم السَّدرِ طيبا إلى الحمى * فذكّرَنى نجدًا فقطعنى وَجْدًا

وفى معناه (الدعاء للمسافر) بايمن طالع وابشر طائر . ولا كابك مركب ولا اشت بك مذهب ولا تعذر عليك مطلب . . سهل الله لك السير وأنالك القصد وطوى لك البعد بمسرة الظفر وكرامة المدخر . . على الطائر الميمون والكوكب السعد الى حيث تتقاصر أيدى الحوادث عنك وتتقاعس نوائب الايام دونك بسهولة المطلب ونجاح المنقلب . . كان الله لك فى سفرك خفيرا وفى حضرك ظهيرا يسعى نحيح واوب سريح . . بصّرك الله محلك وهداك رحلك وسرباوبتك أهلك ولا زلت آمنا مقيما وظاعنا باسعد جد وانجح مطلب واسر منقلب وأكرم بداءة وأحمد عاقبة . . شخص مصحوبا بالسلامة والكلاءة آيبا بالنجح والغبطة محوطا فيما تطالعه بالعناية والشفقة . . فى ودائع الله وكنفه وجواره وستره وأمانه وحفظه وذمامه ،، وقال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم . . انى أريد سفراً ، فقال : فى كنف الله وسترة زودك الله التقوى ووجهك الى الخير حيث ما كنت استخلف الله فيك واستخلفه منك ،، وقال الشاعر

فى كنف الله وفى ستره * من ليس يخلوا القلب من ذكره

وقال آخر

إرحل أبا بشر بأيمن طائر * وعلى السعادة والسلامة فانزل

﴿ ضده ﴾

قال بعض حكماء الفلاسفة اطلبوا الرزق فى البعد فانكم ان لم تكسبوا ما لا غنمتم عقلا كثيرا ، وقال آخر لا يألف الوطن الا ضيق العطن ، وقيل لا توحشنك الغربة اذا آنستك النعمة ، وقيل الفقير فى الاهل مصروم والغنى فى الغربة موصول ، وقال لا تستوحش من الغربة اذا أنست مصروما ، وقيل أوحش قومك ما كان فى ايحاشهم انسك واهجر وطنك ما نبت عنه نفسك ، وأنشد

لا يمنعنك خفض العيش فى دعة * نزوع نفس إلى أهل وأوطان

تلق بكل بلاد إن حللت بها * أهلا باهل وجيرانا بجيران

وقال آخر

نبت بك الدار فسر آمنا * فالفتى حيث انتهى دار

وفى معناه (الدعاء على المسافر) بالبارح الاشام والسانح الاعضب والصرد الانكد والسفر الابعد . لا اسفرت به مطيته ولا استبت به امنيته ولا راخت منيته . بنحس مستمر وعيش مر . لا قرى اذا استضاف ولا أمن اذا خاف ، ويقال ان عليا عليه السلام لما اتصل به مسير معاوية قال لا أرشد الله قائده ولا أسعد رائده ولا أصاب غيثا ولا سار الا ريثا ولا رافق الا لئيا أبعده الله واسحقه واوقد على أثره وأحرقه . لا حط الله رحله ولا كشف محله ولا بشر به أهله . لا زكى له مطلب ولا رحب له مذهب ولا يسر له مرادا الا فرج الله له . غمه ولا سرى همه . لا سقاه الله ماء ولا حل عقده ولا اورى زنده . جعله الله سفر الفراق وعصى الشقاق . وانشد

بانكد طائر وبشر فال * لابعد غاية وأخس حال

بحد السد حيث يكون منى * كما بين الجنوب إلى الشمال

غريبا تتطى قدميك دهرا * على خوف تحن الى العيال

وقال آخر

اذا استقلت بك الركاب * فحيث لا درت السحاب

وحيثُ لا تبتغي فلاحاً * وحيثُ لا يُرتجى اياب
وحيثُ ما دُرتَ فيهِ يوماً * قاتلكَ الذئبُ والغرابُ

وقال آخر —

فسرْ بالنحوسِ الى بلدةٍ * تُعَمَّرُ فيها ولا تُرزَقُ
ولا تَمرَعُ الارضُ من زهرةٍ * ولا يثمرُ الشجرُ المُورِقُ
تغيضُ البحارَ بها مرّةً * ويكدى السحاب بها المغدق

وقال آخر

أدنى خطاك الهندُ والصينُ * وكلُّ نحسٍ بك مقرونُ
بحيثُ لا يانسُ مستوحشٌ * وحيثُ لا يفرحُ محزونُ
تهوى بكَ الارضُ الى بلدةٍ * ليسَ بها ماءٌ ولا طينُ

— محاسن الدهاء والحيل —

الهيثم بن الحسن بن عمار قال، قدم شيخ من خزاعة أيام المختار فنزل على عبد الرحمن بن أبان الخزاعي فلما رأى ما تصنع سوقه المختار من الاعظام جعل يقول . ياعباد الله أبا المختار يصنع هذا والله لقد رأيته يتبع الاماء بالحجاز فبلغ ذلك المختار فدعا به وقال ماهذا الذي بلغني عنك. قال الباطل، فامر بضرب عنقه ، فقال، لا والله لا تقدر على ذلك . قال، ولم . قال. اما دون ان أنظر اليك وقد هدمت مدينة دمشق حجراً حجراً وقتلت المقاتلة وسبيت الذرية ثم تصلبني على شجرة على نهر والله اني لاعرف الشجرة الساعة وأعرف شاطىء ذلك النهر فالتفت المختار الى اصحابه فقال لهم . ان الرجل قد عرف الشجرة فحبس حتى اذا كان الليل بعث اليه فقال، ياأخا خزاعة اومزاح عند القتل . قال ، انشدك الله ان اقتل ضياعاً. قال، وما تطلب ههنا. قال، اربعة آلاف درهم اقضي بها ديني. قال، ادفعوها اليه واياك ان تصبح بالكوفة فقبضها وخرج عنه ، قال كان سراقة البارقي من ظرفاء اهل الكوفة فاسره رجل من اصحاب المختار فاتى به المختار فقال له اسرك هذا قال سراقة كذب والله ما اسرني الا رجل عليه ثياب بيض على فرس ابلق فقال المختار الا ان الرجل قد عاين الملائكة خلوا سبيله فلما افلت منه انشأ يقول

ألا أبلغ أبا إسحاقَ أنى * رأيتُ البلقَ دُهماً مُضمّتاتِ
أرى عَينىَّ مالم ترأياهُ * كلانا عالمٌ بالتُّرّهاتِ
كفَرْتُ يَوْحيكم وجَعلتُ نذراً * علىَّ قتالَكمْ حتى الممات

وعنه قال ، كان الاحوص بن جعفر المخزومى يتغدى فى دير اللج فى يوم شديد البرد ومعه حمزة بن بيض وسراقة البارقى فلما كان على ظهر الكوفة وعليه الوبر والخز وعليهما الاطمار قال حمزة لسراقة : أين يذهب بنا فى البرد ونحن فى أطمار . قال : سأكفيكه فبينما هو يسير إذ دنا منهم راكب مقبل فحرك سراقة دابته نحوه وواقفه ساعة ولحق بالاحوص فقال له ما خبرك الراكب . قال : زعم ان خوارج خرجت بالقطقطانة قال بعيد . قال ان الخوارج تسير فى ليلة ثلاثين فرسخا وأكثر وكان الاحوص أحد الجبناء فثنى رأس دابته وقال ردوا طعامنا نتغدى فى المنزل فلما حاذى منزله قال لاصحابه : ادخلوا ومضى الى خالد بن عبد الله القسرى فقال خرجت خارجة بالقطقطانة فنادى خالد فى العسكر فجمعهم ووجه خيلا تركض نحو اللج لتعرف الخبر فاعلموه انه لا أصل للخبر فقال للاحوص من أعلمك بهذا قال سراقة قال وأين هو قال فى منزلى فارسل اليه من أتاه به قال أنت أخبرته عن الخارجة قال ما فعلت أصلح الله الامير قال له الاحوص أتكذبنى بين يدى الامير قال خالد ويحك أصدقنى قال نعم أخرجنا فى هذا البرد وقد ظاهر الخز والوبر ونحن فى أطمارنا هذه فاحببت أن أرده فقال له خالد ويحك وهذا مما يتلاعب به وسراقة هذا هو القائل

قالوا سراقةُ عِنّينٌ فقلتُ لهمْ * اللهُ يعلمُ أنى غيرُ عِنّينِ
فإن ظننتم بى الشىء الذى زعموا * فقرّبونى من بنتِ ابن ياسين

وذكروا أن شبيب بن يزيد الخارجى مر بغلام مستتم فى الفرات فقال له يا غلام اخرج انى أسألك فعرفه الغلام فقال له انى أخاف أفآمن أنا اذا خرجت حتى البس ثيابى قال نعم فخرج وقال والله لا ألبسها اليوم فضحك شبيب وقال خدعتنى ورب الكعبة ووكل به رجلا من أصحابه يحفظه أن لا يصيبه أحد بمكروه قال وكان رجل من الخوارج يقول

فتًى يزيدُ والبطينُ وقعنبٌ * ومنّا أميرُ المؤمنينَ شبيبُ

فسار البيت حتى سمعه عبد الملك بن مروان فامر بطلب قائله فاتى به فلما وقف بين يديه قال . أنت القائل (ومنا أمير المؤمنين شبيب)

قال لم أقل هكذا يا أمير المؤمنين انما قلت * ومنا أمير المؤمنين شبيب *

فضحك عبد الملك وأمر بتخلية سبيله فتخلص بدهائه وفطنته لازالة الاعراب من الرفع

الى النصب،، و زعموا أن عمرو بن معدى كرب هجم فى بعض غاراته على شابة جميلة منفردة وأخذها فلما أمعن بها بكت فقال ، ما يبكيك . قالت أبكى لفراق بنات عمى هن مثلى فى الجمال وأفضل منى خرجت معهن فانقطعنا عن الحى قال وأين هن قالت خلف ذلك الجبل وودت اذ أخذتنى انك أخذتهن معى فامض الى الموضع الذى وصفته فمضى الى هنالك فاشعر بشىء حتى هجم عليه فارس شاك فى السلاح فعرض عليه المصارعة فصرعه الفارس ثم عرض عليه ضربا من المناوشة فغلبه الفارس فى كلها فسأله عمرو عن اسمه فاذا هو ربيعة بن مكدم الكنانى فاستنقذ الجارية ، وعن عطاء ان مخارق بن عفان ومعن بن زائدة تلقيا رجلا ببلاد الشرك ومعه جارية لم يريا أحسن منها شبابا وجمالا فصاحبه خل عنها ومعه قوس فرمى بها وهابا الاقدام عليه ثم عاد ليرمى فانقطع وتره وسلم الجارية وأسند فى جبل كان فر يأمنه فابتدراه وأخذا الجارية وكان فى أذنها قرط فيه درة فانتزعاه من أذنها فقالت وما قدر هذه لو رأيتما درتين معه فى قلنسوته وفى القلنسوة وترقد اعده ونسيه من الدهش فلما سمع قول المرأة ذكر الوتر فاخذه وعقده فى قوسه فوليا ليست لهما همة الا النجاة وخليا عن الجارية ،، وعن الهيثم قال كان الحجاج حسودا لا يتم له صنيعة حتى يفسدها فوجه عمارة بن تميم اللخمى الى عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فظفر به وصنع ما صنع ورجع الى الحجاج بالفتح ولم يرمنه ما أحب وكره منافرته وكان عاقلا رفيقا فجعل يرفق به ويقول أيها الامير أشرف العرب أنت من شرفته شرف ومن وضعته اتضع وما ينكر ذلك لك مع رفقك ويمنك ومشورتك ورأيك وما كان هذا كله الا بصنع الله وتدبيرك وليس أحد أشكر لبلائك منى ومن ابن اشعث وما خطرة حتى عزم الحجاج على المسير الى عبد الملك فاخرج عمارة معه وعمارة يومئذ على اهل فلسطين أمير فلم يزل يلطف بالحجاج فى مسيره ويعظمه حتى قدموا على عبد الملك فلما قامت الخطباء بين يديه واثنت على الحجاج قام عمارة فقال يا أمير المؤمنين سل الحجاج عن طاعتى ومناصحتى وبلائى قال الحجاج يا أمير المؤمنين صنع وصنع ومن باسه ونجدته وعفافه كذا وكذا وهو أيمن الناس نقيبة واعلمهم بتدبير وسياسة ولم يبق فى الثناء عليه غاية فقال عمارة قد رضيت يا امير المؤمنين قال نعم فرضى الله عنك حتى قالها ثلاثا فى كلها يقول قد رضيت قال عمارة فلا رضى الله عن الحجاج يا امير المؤمنين ولا حفظه ولا عافاه فهو والله السيىء التدبير الذى قد افسد عليك اهل العراق والبس الناس عليك وما أتيت الا من قبله ومن قلة عقله وضعف رايه وقلة بصره بالسياسة فلك والله امثالها ان لم تعزله فقال الحجاج مه يا عمارة فقال لا مه ولا كرامة كل امرأة له طالق وكل مملوك له حران سار تحت راية الحجاج ابدا قال انى اعلم انه ما خرج هذا منك الا عن معتبة ولك عندى العتبى وارسل اليه ارجع اليه فقال ما كنت اظن ان عقلك على هذا

ارجع اليه بعد الذى كان من طعنى عليه وقولى عند امير المؤمنين ماقلت فيه لا ولا كرامة

﴿ ضده ﴾

قيل فى المثل ،، هو احمق من عجل ، وهو عجل بن لجيم وذلك انه قيل له ماسميت فرسك فقال عينه وقال سميته الاعور ، فقال الشاعر فيه

رمتنى بنو عجل بداء أبيهم * وأى امرئ فى الناس أحمق من عجل
ألبسَ أبوهم عارَ عين جواده * فصارت به الامثالُ تُضرَبُ فى الجهل

وقيل ، هو احمق من هبنقة وبلغ من حمقه انه ضل له بعير فجعل ينادى من وجد بعيرى فهو له فقيل له ولم تنشده قال واين حلاوة الظفر والوجدان ، واختصمت اليه الطفاوة وبنو راسب فى رجل ادعى هؤلاء وهؤلاء فيه فقالوا قد رضينا بحكم أول طالع يطلع علينا فطلع عليهم هبنقة فلما رأوه قالوا انظروا بالله من طلع علينا فلما دنا قصوا عليه القصة فقال هبنقة الحكم فى هذا بين اذهبوا به الى نهر البصرة فالقوه فيه فان كان راسبيا رسب وان كان طفاويا طفى فقال الرجل لا أريد ان أكون من أحد هذين الحيين ولا حاجة لى فى الديوان : وقيل هو أحمق من دغة وهى مارية بنت منتج تزوجت فى بنى العنبر وهى صغيرة فلما ضربها المخاض ظنت انها تريد الخلاء فخرجت تتبرز فصاح الولد فجاءت منصرفة فصاحت ياأماه هل يفتح الجعرفاه قالت نعم ويدعو أباه فسبت بنو العنبر بذلك فقيل بنو الجعراء . وقيل هو أحمق من باقل وكان اشترى عنزا باحد عشر درهما فسئل بكم اشتريت العنز ففتح كفيه وفرق أصابعه واخرج لسانه يريد أحد عشر درهما فعيروه بذلك قال الشاعر

يلومون فى حمقه باقلا * كأنّ الحماقةَ لم تخلقِ
فلا تكثروا العذلَ فى عيّه * فللصمتُ أجملُ بالاموق
خروجُ اللسانِ وفتحِ البنانِ * أحبُّ الينا منَ المنطقِ

ومما قيل فيه أيضا من الشعر

يا بيتَ العقلِ كم عاينتَ ذا حُمُق * الرزقُ أغرىٰ به من لازم الحربِ
فإنّنى واجدٌ فى الناس واحدةً * الرزقُ أروعُ شىءٍ عن ذوى الادب
وخصلةً ليس فيها من يُخالفنى * الرزقُ والنوكُ مقرونانِ فى سببِ

وقال آخر

أرى زمناً نوكاهُ أسعدُ خلقهِ * على أنهُ يشقى به كلُّ عاقلِ

تعلا فوقه رجلاه والرأس تحته * فكعب الاعالى بارتفاع الاسافل

وقال آخر

كم من قوى قوى فى تقلبه * مهذب اللب عنه الرزق منحرف
ومن ضعيف ضعيف العقل مختلط * كأنه من خليج البحر يغترف

﴿ محاسن المفاخرة ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر . وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ينشد بيتا من شعر

إنى امرؤ حميرى حين تنسبنى * لا من ربيعة آبائى ولا مضر

فقال له ذلك ألأم لك وأبعد عن الله ورسوله . وقال بعضهم

إذا مضر الحمراء كانت أرومتى * وقام بنصرى خازم وابن خازم
عطست بأنف شامخ وتناولت * يداى الثريا قاعدا غير قائم

شيعب بن ابراهيم عن على بن زيد عن عبد الله بن الحارث عن عبد المطلب بن ربيعة قال مر العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه بنفر من قريش وهم يقولون انما محمد فى أهله مثل نخلة نبتت فى كناسة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد منه فخرج حتى قام فيهم خطيبا ثم قال أيها الناس من أنا . قالوا أنت رسول الله . قال أفأنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ان الله عز وجل خلق خلقه فجعلنى من خير خلقه ثم جعل الخلق الذى أنا منهم فريقين فجعلنى من خير الفريقين من خلقه ثم جعل الخلق الذى أنا منهم شعوبا فجعلنى فى خيرهم شعبا ثم جعلهم بيوتا فجعلنى من خيرهم بيتا فانا خيركم بيتا وخيركم والدا وانى مبادلكم قم يا عباس فقام عن يمينه ثم قال قم يا سعد فقام عن يساره فقال يقرب امرؤ منكم عما مثل هذا وخالا مثل هذا ، وحدثنا سنان بن الحسن التسترى عن اسماعيل بن مهران العسكرى عن أبان بن عثمان عن عكرمة عن ابن عباس رحمهما الله تعالى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على القبائل خرج وأنا معه وأبو بكر وكان عالما بانساب العرب فوقفنا على مجلس من مجالس العرب عليهم الوقار والسكينة فتقدم أبو بكر فسلم عليهم فردوا عليه السلام فقال ممن القوم فقالوا من ربيعه ، قال من هامتها أم لهازمها . قالوا بل من هامتها العظمى ، قال وأى هامتها قالوا ذهل ، قال ذهل الاكبر أم ذهل الاصغر قالوا بل الاكبر ، قال فمنكم عوف الذى كان يقال لاحر بوادى عوف قالوا لا ، قال أفمنكم بسطام بن قيس صاحب اللواء ومنتهى الاحياء قالوا لا

قال أفنكم جساس بن مرة حامى الذمار ومانع الجار . قالوا لا قال أفنكم المزدلف صاحب العمامة قالوا لا ، قال أفأنتم أخوال الملوك من كندة قالوا لا ، قال أفانتم أصهار الملوك من لخم قالوا لا ، قال فلستم من ذهل الاكبر اذاً أنتم من ذهل الاصغر . فقام اليه اعرابى غلام حين بقل وجهه فاخذ بزمام ناقته ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته يسمع مخاطبته فقال

لنا على سائلنا أن نسأله * والعبء لا نعرفه أو نحمله

ياهذا انك قد سألتنا أى مسألة شئت فلم نكتمك شيئاً فاخبرنا ممن أنت ، فقال ابو بكر من قريش فقال بخ بخ أهل الشرف والرئاسة فاخبرنى من أى قريش أنت . قال من بنى تيم بن مرة ، قال أفنكم قصى بن كلاب الذى جمع القبائل من فهر فكان يقال له مجمع قال أبو بكر لا قال أفنكم هاشم الذى يقول فيه الشاعر

عمرو العلى هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

قال أبو بكر لا ، قال أفنكم شيبة الحمد الذى كان وجهه يضىء فى الليلة الداجية مطعم الطير قال لا ، قال أفن المفيضين بالناس أنت ، قال لا ، قال أفن اهل الرفادة أنت قال لا ، قال أفن أهل السقاية أنت ، قال لا ، قال أفن أهل الحجابة أنت . قال لا ، قال أما والله لو شئت لاخبرتك لست من أشراف قريش . فاجتذب أبو بكر زمام ناقته منه كهيئة المغضب ، فقال الاعرابى

صادف در السيل در يدفعه * فى هضبة ترفعه وتضعه

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال على كرم الله وجهه فقلت يا أبا بكر لقد وقعت من هذا الاعرابى على باقعة قال أجل ، يا أبا الحسن ما من طامة الا وفوقها طامة وان البلاء موكل بالمنطق ، قال وأتى الحسن بن على رضى الله عنهما معاوية بن أبى سفيان وقد سبقه ابن عباس رحمه الله فامر معاوية بانزاله فبينا معاوية مع عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وزياد المدعى الى أبى سفيان يتحاورون فى قديمهم ومجدهم اذ قال معاوية قد اكثرتم الفخر ولو حضركم الحسن ابن على وعبد الله بن عباس لقصروا من أعنتكم ، فقال زياد وكيف ذاك يا أمير المؤمنين وما يقومان لمروان بن الحكم فى عزب منطقه ولا لنافى بواذخنا فابعث اليهما حتى نسمع كلامهما فقال معاوية لعمرو ما تقول فى هذا الليل فابعث اليهما فى غد فبعث معاوية بابنه يزيد اليهما فاتيا فدخلا عليه وبدأ معاوية فقال انى أجلكما وأوقع قدركما عن المسامرة بالليل ولا سيما أنت يا أبا محمد فانك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة فشكر له فلما استويا فى مجلسهما علم عمرو أن الحدة ستقع به فقال والله لابد أن أتكلم فان قهرت فسبيل ذلك وان قهرت أكون قد ابتدأت فقال يا حسن إنا قد تفاوضنا فقلنا ان رجال بنى أمية أصبر على اللقاء وأمضى فى

الوغاء وأوفى عهداً وآكرم خيماً وأمنع لما وراء ظهورهم من بنى عبد المطلب ، ثم تكلم مروان ابن الحكم فقال كيف لا يكون ذلك وقد قارعناهم فغلبناهم وحاربناهم فملكناهم فان شئنا عفونا وان شئنا بطشنا ، ثم تكلم زياد فقال ما ينبغى لهم أن ينكروا الفضل لاهله ويجحدوا الخير فى مظانه نحن الحملة فى الحروب ولنا الفضل على سائر الناس قديماً وحديثاً ، فتكلم الحسن ابن على رضى الله عنه فقال ليس من الحزم أن يصمت الرجل عند ايراد الحجة ولكن من الافك ان ينطق الرجل بالخنا ويصور الكذب فى صورة الحق يا عمرو افتخاراً بالكذب وجراءة على الافك مازلت أعرف مثالبك الخبيثة أبديها مرة بعد مرة أذكر مصانيع الدجى وأعلام الهدى وفرسان الطراد وحتوف الاقران وأبناء الطعان وربيع الضيفان ومعدن العلم ومهبط النبوة وزعمتم أنكم احمى لما وراء ظهوركم وقد تبين ذلك يوم بدر حين نكصت الابطال وتساورت الاقران واقتحمت الليوث واعتركت المنية وقامت رحاها على قطبها وفرّت عن نابها وطار شرار الحرب فقتلنا رجالكم ومنّ النبى صلى الله عليه وسلم على ذراريكم وكنتم لعمرى فى هذا اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم من بنى عبد المطلب ثم قال وأما أنت يا مروان فما أنت والاكثار فى قريش وأنت ابن طليق وأبوك طريد تتقلب فى خزاية الى سوءة وقد أوتى بك الى امير المؤمنين يوم الجمل فلما رأيت الضرغام قد ميت برائنه واشتبكت أنيابه كنت كما قال الاول

بضبضن ثم رمين بالابعار

فلما من عليك بالعفو وأرخى خناقك بعد ما ضاق عليك وغصصت بريقك لا تقعد منا مقعد اهل الشكر ولكن تساوينا وتجاريناونحن من لا يدركنا عار ولا يلحقنا خزاية ثم التفت الى زياد وقال وما أنت يا زياد وقريش ما اعرف لك فيها أديماً صحيحاً ولا فرعاً ثابتاً ولا قديماً ثابتاً ولا منبتاً كريماً كانت أمك بغياً يتداولها رجالات قريش وفجار العرب فلما ولدت لم تعرف لك العرب والداً فادعاك هذا - يعنى معاوية - فمالك والافتخار تكنفيك سمية ويكفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى سيد المؤمنين الذى لم يرتد على عقبيه وعماى حمزة سيد الشهداء وجعفر الطيار فى الجنة وأنا واخى سيدا شباب أهل الجنة ، ثم التفت الى ابن عباس فقال انشدك بالله الطير انقض عليها البازى فاراد ابن عباس أن يتكلم فاقسم عليه معاوية أن يكف فكف ثم خرجا فقال معاوية أجاد عمرو الكلام أولا ولا ان حجته دحضت وقد تكلم مروان لولا أنه نكص ثم التفت الى زياد فقال ما دعاك الى محاورته ما كنت الا كالحجل فى كف العقاب . فقال عمرو أفلا رميت من ورائنا ، قال معاوية اذاً كنت شريككم فى الجهل أفاً فاخر رجلا رسول الله صلى الله عليه وسلم جده وهو سيد من مضى ومن بقى وأمه فاطمة سيدة نساء العالمين ثم قال لهم

والله لئن سمع أهل الشام ذلك انه للسوأة السواء فقال عمرو لقد أبقى عليك ولكنه طحن مروان وزياداً طحن الرحا بثفالها ووطئهما وطئ البازل انفراد بمنسمه . فقال زياد والله لقد فعل ولكنك يامعاوية تريد الاغراء بيننا وبينهم لاجرم والله لا شهدت مجلسا يكونان فيه الا كنت معهما على من فاخرهما فخلا ابن عباس بالحسن رضى الله عنه فقبل بين عينيه وقال افديك يا ابن عمى والله مازال بحرك يزخر وأنت تصول حتى شفيتنى من أولاد البغايا ثم ان الحسن رضى الله عنه غاب اياما ثم رجع حتى دخل على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير فقال معاوية يا أبا محمد انى اظنك تعبا نصبا فأت المنزل فأرح نفسك فقام الحسن رضى الله عنه فخرج فقال معاوية لعبد الله بن الزبير لو افتخرت على الحسن فانت ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ولا بيك فى الاسلام نصيب وافر ، فقال ابن الزبير أناله ثم جعل ليلته يطلب الحجج فلما أصبح دخل على معاوية وجاء الحسن رضى الله عنه فحياه معاوية وسأله عن مبيته فقال خير مبيت وأكرم مستفاض فلما استوى فى مجلسه قال له ابن الزبير لولا انك خوار فى الحروب غير مقدام ماسلمت لمعاوية الامر وكنت لا تحتاج الى اختراق السهوب وقطع المراحل والمفاوز تطلب معروفه وتقوم ببابه وكنت حريا أن لا تفعل ذلك وأنت ابن على فى بأسه ونجدته فما أدرى ما الذى حملك على ذلك أضعف حال أم وهى نحيزة ما أظن لك مخرجا من هذين الحالين أما والله لو استجمع لى ما استجمع لك لعلمت أننى ابن الزبير وانى لا أنكص عن الابطال وكيف لا أكون كذلك وجدتى صفية بنت عبد المطلب وأبى الزبير حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشد الناس بأساً وأكرمهم حسباً فى الجاهلية وأطوعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفت الحسن اليه وقال أما والله لولا أن بنى أمية تنسبنى الى العجز عن المقال لكففت عنك تهاونا بك ولكن سأبين ذلك لتعلم انى لست بالكليل أبايا تعير وعلى تفتخر ولمثلك لجدك فى الجاهلية مكرمة الا تزوجه عمتى صفية بنت عبد المطلب فبذخ بها على جميع العرب وشرف بمكانها فكيف تفاخرنى فى القلادة واسطتها وفى الاشراف سادتها نحن أكرم اهل الارض زنداً لنا الشرف الثاقب والكرم الغالب ثم تزعم أنى سلمت الامر لمعاوية فكيف يكون ويحك كذلك وأنا ابن أشجع العرب ولدتنى فاطمة سيدة النساء وخيرة الامهات لم أفعل ويحك ذلك جبنا ولا فرقا ولكنه بايعنى مثلك وهو يطلب بترة ويداجينى المودة فلم أثق بنصرته لانكم بيت غدر وأهل أحن ووتر فكيف لا تكون كما اقول وقد بايع أمير المؤمنين ابوك ثم نكث بيعته ونكص على عقبيه واختدع حشية من حشايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضل بها الناس فلما دالف نحوالاعنة ورأى بريق الاسنة قتل بضيعة لا ناصر له وأنى بك اسيراً وقد وطئتك الكماة باظلافها والخيل بسنابكها واعتلاك الاشتر فعصصت بريقك واقعيت على عقبيك كالكلب اذا احتوشته

الليوث فنحن ويحك نور البلاد واملاكها وبنا تفتخر الائمة والينا تلقى مقاليد نصول وأنت تخدع النساء ثم تفتخر على بنى الانبياء لم تزل الاقاويل منا مقبولة وعليك وعلى أبيك مردودة دخل الناس فى دين جدى طائعين وكارهين ثم بايعوا أمير المؤمنين صلوات الله عليه فسار الى أبيك وطلحة حين نكثا البيعة وخدعا عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلا عند نكثهما بيعته وأتى بك أسيراً تبصبص بذنبك فناشدته الرحم الا قتلك فعفى عنك فانت عتاقة أبى وأنا سيدك وأبى سيد ابيك فذق وبال امرك فقال ابن الزبير اعذرنا يا أبا محمد فانما حملنى على محاورتك هذا واشتهى الاغراء بيننا فهلا إذ جهلت أمسكت عنى فانكم اهل بيت سجيتكم الحلم ، قال الحسن يا معاوية انظر أبا كم عن محاورة احد ويحك أتدرى من أى شجرة أنا والى من أنتهى انتهى قبل ان اسمك بسمة يحدث بها الركبان فى آفاق البلدان ، قال ابن الزبير هو لذلك أهل فقال معاوية أما انه قد شفانا بلا بل صدرى منك ورمى مقتلك فبقيت فى يده كالحجل فى كف البازى يتلاعب بك كيف شاء فلا أراك تفتخر على احد بعد هذا ، وذكروا ان الحسن بن على صلوات الله عليهما دخل على معاوية فقال فى كلام جرى من معاوية فى ذلك

فيما الكلامُ وقد سَبقتُ مُبرِّزا * سَبقَ الجوادِ مِنَ المَدى والمِقْوَسِ

فقال معاوية ، اياى تعنى والله لا تينك بما يعرفه قلبك ولا ينكره جلساؤك أنا ابن بطحاء مكة أنا ابن أجودها جوداً واكرمها أبوة وجدوداً وأوفاها عهوداً انا ابن من ساد قريشا شاباً ، فقال الحسن ، أجل اياك أعنى افعلى تفتخر يا معاوية وأنا ابن ماء السماء وعروق الثرى وابن من ساد اهل الدنيا بالحسب الثاقب والشرف الفائق والقديم السابق وابن من رضاه رضى الرحمن وسخطه سخط الرحمن فهل لك أب كأبى او قديم كقديمى فان قال لا تغلب وان قال نعم تكذب فقال ، اقول لا تصديقاً لقولك ، فقال الحسن رضى الله عنه

ألحقُّ أبلجُ لا تزيغُ سبيلُهُ * والحقُّ يعرفُهُ ذوو الالباب

قال ، وقال معاوية ذات يوم وعنده أشراف الناس من قريش وغيرهم أخبرونى بأكرم الناس أباً واماً وعماً وعمة وخالا وخالة وجداً وجدة ، فقام مالك بن عجلان وأومى الى الحسن بن على صلوات الله عليه فقال ، هو ذا أبوه على بن ابى طالب وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمه جعفر الطيار وعمته أم هانئ بنت أبى طالب وخاله القاسم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدته خديجة بنت خويلد ، فسكت القوم ونهض الحسن فأقبل عمرو بن العاص على مالك فقال . أحب بنى هاشم حملك على أن تكلمت بالباطل ، فقال ابن عجلان ما قلت الا حقا وما احد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق الا لم يعط أمنيته فى دنياه وختم له بالشقاء

فى آخرته بنوهاشم أنضركم عوداً وأورا كم زنداً أكذلك هو يامعاوية ، قال اللهم نعم ، قال واستأذن الحسن بن على رضى الله عنه على معاوية وعنده عبدالله بن جعفر وعمرو بن العاص فأذن له فلما اقبل قال عمرو قد جاءكم الفهه العي الذى كان بين لحييه عقلة ، فقال عبدالله بن جعفر مه والله لقد رمت صخرة ملمة تنحط عنها السيول وتقصر دونها الوعول لا تبلغها السهام فاياك والحسن اياك فانك لا تزال راتعا فى لحم رجل من قريش ولقد رميت فبارح سهمك وقدحت فأورى زندك فسمع الحسن الكلام فلما اخذ مجلسه قال يامعاوية لا يزال عندك عبد يرتع فى لحوم الناس اما والله لئن شئت ليكونن بيننا ما يتفاقم فيه الامور وتحرج منه الصدور ثم أنشأ يقول

أنا مرُ يامعاوى عبدَ شمسهم * بشتمى والملا منا شهودُ
إذا أخذتْ مجالسها قريشٌ * فقدْ علمتْ قريشٌ ما تريدُ
أأنتَ تظلُّ تشتمنى سفاهاً * لضغنٍ ما يزولُ ولا يبيدُ
فهل لكَ من أبٍ كابى تسامى * به مَنْ قدْ تسامى أو تكيدُ
ولا جدٌّ كجدّى يا ابن حربٍ * رسولِ اللهِ إنْ ذُكِرَ الجدودُ
ولا أمٌّ كأمّى من قريشٍ * إذا ما حُصِّلَ الحسبُ التليدُ
فما مثلى يُهكِّمُ يا ابنَ حربٍ * ولا مثلى ينهنهه الوعيدُ
فمهلا لا تهجْ منّا أموراً * يشيبُ لهولها الطفلُ الوليدُ

وذكروا أن عمرو بن العاص قال لمعاوية ابعث الى الحسن بن على فأمره أن يخطب على المنبر فلعله يحصر فيكون فى ذلك ما نعيره به فبعث اليه معاوية فأمره ان يخطب فصعد المنبر وقد اجتمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فانا الحسن بن على بن أبى طالب ابن عم النبى أنا ابن البشير النذير السراج المنير أنا ابن من بعثه الله رحمة للعالمين أنا ابن من بعث الى الجن والانس أنا ابن مستجاب الدعوة أنا ابن الشفيع المطاع أنا ابن أول من ينفض رأسه من التراب أنا ابن اول من يقرع باب الجنة أنا ابن من قامت معه الملائكة ونصر بالرعب من مسيرة شهر وامعن فى هذا الباب ولم يزل حتى أظلمت الارض على معاوية فقال ياحسن قد كنت ترجو أن تكون خليفة ولست هناك ، قال الحسن انما الخليفة من سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بطاعته وليس الخليفة من دان بالجور وعطل السنن واتخذ الدنيا أباً وأماً ولكن ذلك ملك أصاب ملكا يتمتع به قليلا ويعذب بعده طويلا وكان قد انقطع عنه واستعجل لذته وبقيت عليه التبعة فكان كما قال الله تعالى (وان أدرى لعله فتنة لكم

ومتاع الى حين) ثم انصرف . فقال معاوية لعمرو ما أردت الا هتكي ما كان أهل الشام يرون أحداً مثلي حتى سمعوا من الحسن ما سمعوا قال وقدم الحسن بن علي رضي الله عنه على معاوية فلما دخل عليه وجد عنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة وصناديد قومه ووجوه أهل بيته ووجوه اهل اليمن وأهل الشام فلما نظر اليه معاوية أقعده على سريره وأقبل عليه بوجهه يريه السرور به وبقدومه فحسده مروان وقد كان معاوية قال لهم لا تحاوروا هذين الرجلين فقد قلدا كم العار عند أهل الشام — يعني الحسن بن علي رضي الله عنه وعبد الله بن عباس — فقال مروان ياحسن لولا حلم أمير المؤمنين وما قد بناه له آباؤه الكرام من المجد والعلا ما أقعدك هذا المقعد ولقتلك وأنت لهذا مستحق بقودك الجماهير الينا فلما قاومتنا وعلمت الاطاقة لك بفرسان اهل الشام وصناديد بني أمية اذعنت بالطاعة واحتجزت بالبيعة وبعثت تطلب الامان اما والله لولا ذلك لاراق دمك ولعلمت انا نعطي السيوف حقها عند الوغى فاحمد الله اذ ابتلاك بمعاوية وعفى عنك بحلمه ثم صنع بك ما ترى فنظر اليه الحسن وقال ويلك يامروان لقد تقلدت مقاليد العار في الحروب عند مشاهدتها والمخاذلة عند مخالطتها هبلتك أمك لنا الحجج البوالغ ولنا عليكم ان شكرتم النعم السوابغ ندعوكم الى النجاة وتدعوننا الى النار فشتان ما بين المنزلتين تفتخر ببني أمية وتزعم انهم صبر في الحرب أسد عند اللقاء ثكلتك الثواكل اولئك البهاليل السادة والحماة الذادة والكرام القادة بنو عبد المطلب اما والله لقد رأيتهم أنت وجميع من في المجلس ماهالتهم الاهوال ولا حادوا عن الابطال كالليوث الضارية الباسلة الحنقة فعندها وليت هاربا واخذت أسيراً فقلدت قومك العار لانك في الحروب خوار اتهريق دمي فهلا اهرقت دم من وثب على عثمان في الدار فذبحه كما يذبح الجمل وأنت تغوثغاء النعجة وتنادي بالويل والثبور كالمرأة الوكعاء مادفعت عنه بسهم ولا منعت دونه بحرب قد ارتعدت فرائصك وغشي بصرك واستغثت كما يستغيث العبد ربه فانجيتك من القتل ثم جعلت تبحث عن دمي وتحض على قتلي ولو رام ذاك معاوية معك لذبح كما ذبح ابن عفان وانت معه أقصر يداً وأضيق باعا واجبن قلباً من ان تجسر على ذلك ثم تزعم انى ابتليت بحلم معاوية أما والله لهو أعرف بشأنه واشكر لنا إذ ولينا هذا الامر فمتى بدا له فلا يغضبن جفنه على القذى معك فوالله لا عنفن أهل الشام بجيش يضيق فضاؤه ويستأصل فرسانه ثم لا ينفعك عند ذلك الروغان والهرب ولا تنتفع بتدريجك الكلام فنحن من لا يجهل آباؤنا الكرام القدماء الاكابر وفروعنا السادة الاخيار الافاضل انطق ان كنت صادقا . فقال عمرو ينطق بالخنا وتنطق بالصدق ثم أنشأ يقول

قد يضرط العير والمكواة تأخذه * لا يضرط العير والمكواة في النار

ذق ويال أمرك يامروان فاقبل عليه معاوية فقال قد نهيتك عن هذا الرجل وانت تأبى الا انهما كا

فما لا يعنيك اربع على نفسك فليس أبوه كابيك ولا هو مثلك انت ابن الطريد الشريد وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكريم ولكن رب باحث عن حتفه بظلفه فقال مروان أرم دون بيضتك وقم بحجة عشيرتك ثم قال لعمرو لقد طعنك أبوه فوقيت نفسك بخصيتيك ومنها ثنيت أعنتك وقام مغضبا فقال معاوية لا تجار البحار فتغمرك ولا الجبال فتقهرك واسترح من الاعتذار قال ولقي عمرو بن العاص الحسن بن علي عليهما السلام في الطواف فقال يا حسن ازعمت ان الدين لا يقوم الا بك و بأبيك فقد رأيت الله أقامه بمعاوية فجعله ثابتا بعد ميله و بينا بعد خفائه أفيرضى الله قتل عثمان أم من الحق ان تدور بالبيت كما يدور الجمل بالطحين عليك ثياب كغرق البيض وانت قاتل عثمان والله انه لا لم للشعث وأسهل للوعث ان يوردك معاوية حياض أبيك فقال الحسن صلوات الله عليه ان لاهل النار علامات يعرفون بها وهي الالحاد في دين الله والموالاة لاعداء الله والانحراف عن دين الله والله انك لتعلم ان عليا لم يتريث في الامر ولم يشك في الله طرفة عين وايم الله لتنتهين يا ابن العاص أو لاقرعن قصتك - يعني جبينه - بقراع وكلام واياك والجراءة على فاني من عرفت لست بضعيف المغمز ولا بهش المشاشة - يعني العظام - ولا بمرئ المأكلة وانى لمن قريش كاوسط القلادة معرق حسبي لا أدعى لغير أبي وقد تحاكمت فيك رجال من قريش فغلب عليك الأمهما حسبا وأعظمها لعنة فاياك عني فانما أنت نجس ونحن أهل بيت الطهارة أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيرا . قال واجتمع الحسن بن علي صلوات الله عليهما وعمرو بن العاص فقال الحسن قد علمت قريش بأسرها اني منهما في عز أرومتها لم اطبع على ضعف ولم أعكس على خسف أعرف نسبي وادعى لابي فقال عمرو وقد علمت قريش انك ابن أقلها عقلا وأكثرها جهلا وان فيك خصالا لو لم يكن فيك الا واحدة منها لشملك خزيها كما شمل البياض الحالك وايم الله لئن لم تنته عما أراك تصنع لا كبسن لك حافة كجلد العائط اذ اعتاطت رحما فما تحمل أرميك من خلالها بأحر من وقع الاثافي أعرك منها أديك عرك السامة فانك طالما ركبت المنحدر ونزلت في أعراض الوعر التماسا للفرقة وارصادا للفتنة ولن يزيدك الله فيها الا فظاعة فقال الحسن أما والله لو كنت تسمو بحسبك وتعمل برأيك ما سلكت نهج قصد ولا حللت راية مجد أما والله لو اطاعنا معاوية لجعلك بمنزلة العدو الكشح فانه طال ما تأخر شأوك واستسر داؤك وطمح بك الرجا الى الغاية القصوى التي لا يورق بها غصنك ولا يخضر منها رعيك أما والله لتوشكن يا ابن العاص أن تقع بين لحيي ضرغام ولا ينجيك منه الروغان اذا التقت حلقتا البطان ،، ابن المنذر عن أبيه عن الشعبي عن ابن عباس انه دخل المسجد وقد سار الحسين بن علي رضي الله عنه الى العراق فاذا هو بابن الزبير في جماعة من قريش قد استعلاهم بالكلام فجاء ابن عباس فضرب بيده على عضد ابن الزبير وقال أصبحت والله كما قال الشاعر

يالكِ مِنْ قُنبُرةٍ بمَعمَرٍ * خَلالكِ الجوُّ فبيضي واصفِري
ونقِّري ما شِئتِ أنْ تُنقِّري * قد ذهبَ الصيادُ عنكِ فابشري
لا بدَّ من أخذكِ يوماً فاصبري

خلت الحجاز من الحسين بن علي وأقبلت تهدر في جوانبها فغضب ابن الزبير وقال والله انك لترى انك أحق بهذا من غيرك فقال ابن عباس انما يرى ذلك من كان في حال شك وأنا من ذلك على يقين قال وبأي شيء استحق عندك انك بهذا الامر أحق مني فقال ابن عباس لانا أحق بمن يدل بحقه وبأي شيء استحق عندك انك أحق بها من سائر العرب الا بنا فقال ابن الزبير استحق عندي اني احق بها منكم لشرفي عليكم قديما وحديثا فقال أنت اشرف أم من شرفت به فقال ان من شرفت به زادني شرفا الى شرفي قال فمني الزيادة أم منك فتبسم ابن عباس فقال ابن الزبير يا ابن عباس دعني من لسانك هذا الذي تقلبه كيف شئت والله يا بني هاشم لا تحبوننا أبداً قال ابن عباس صدقت نحن أهل بيت مع الله لا نحب من ابغضه الله قال يا ابن عباس أما ينبغي لك ان تصفح عن كلمة واحدة قال انما يصفح عمن أقر وامامن هرّ فلا والفضل لاهل الفضل قال ابن الزبير فأين الفضل قال عند اهل البيت لا تصرفه عن اهله فتظلم ولا تضعه في غير اهله فتندم قال ابن الزبير أفلست من اهله قال بلى ان نبذت الحسد ولزمة الجدد وانقضى حديثهما وروى عن ابن عباس انه قال قدمت على معاوية وقد قعد على سريره وجمع من بني أمية ووفود العرب عنده فدخلت وسلمت وقعدت فقال يا ابن عباس من الناس فقلت نحن قال فاذا غبتم قلت فلا احد قال فانك ترى أني قعدت هذا المقعد بكم قلت نعم فيمن قعدت قال بمن كان مثل حرب بن امية قلت من كفأ عليه اناءه واجاره بردائه قال فغضب وقال أرحني من شخصك شهرا فقد أمرت لك بصلتك وأضعفتها لك فلما خرج ابن عباس قال لخاصته ألا تسألوني ما الذي أغضب معاوية قالوا بلى فقل بفضلك قال ان أباه حرب لم يلق أحداً من رؤساء قريش في عقبة ولا مضيق الا تقدمه حتى يجوزه فلقيه يوما رجل من تيم في عقبة فتقدمه التيمي فقال حرب أنا حرب بن امية فلم يلتفت اليه وجازه فقال موعدك مكة فخافه التيمي ثم أراد دخول مكة فقال من يجيرني من حرب بن أمية فقيل له عبد المطلب فقال عبد المطلب أجل قدراً من ان يجير على حرب فأتى ليلا الى دار الزبير بن عبد المطلب فدق بابه فقال الزبير لعبده قد جاءنا رجل اما طالب قرى واما مستجير وقد أجبناه الى ما يريد ثم خرج الزبير اليه فقال التيمي

لاقيتُ حرباً في الثنية مُقبلا * والصُبحُ أبلجَ ضوؤُه للسارى
فدعا بصوتٍ واكتنى ليَروعني * وسما عليَّ سُموَّ ليثٍ ضارى

فتركته كالكلب ينبح ظله * وأتيت قرم معالم ونخار
ليثا هزبرا يستجار بعزه * رحب المباءة مكرما للجار
ولقد حلفت بمكة وبزمزم * والبيت ذى الاحجار والاستار
إن الزبير لما نعى من خوفه * ما كبر الحجاج فى الامصار

فقدمه الزبير واجاره ودخل به المسجد فرآه حرب فقام اليه فلطمه فحمل عليه الزبير بالسيف فولى هاربا بعد وحتى دخل دار عبد المطلب فقال أجرنى من الزبير فاكفأ عليه جفنة كان هاشم يطعم فيها الناس فبقى تحتها ساعة ثم قال له اخرج قال وكيف أخرج وعلى الباب تسعة من بنيك قد احتبوا بسيوفهم فالقى عليه رداءه كان كساه اياه سيف بن ذى يزن له طرتان خضراوان فخرج عليهم فعلموا أنه قد أجاره عبد المطلب فتفرقوا عنه قال وحضر مجلس معاوية عبد الله بن جعفر فقال عمرو بن العاص قد جاء كم رجل كثير الخلوات بالتمنى والطربات بالتغنى محب للقيان كثير مزاحه شديد طماحه صدود عن الشبان ظاهر الطيش رخى العيش أخاذ بالسلف منفاق بالسرف فقال ابن عباس كذبت والله أنت وليس كما ذكرت ولكنه تذكور لنعمائه شكور وعن الخنا زجور جواد كريم سيد حليم اذا رمى أصاب واذا سئل أجاب غير حصر ولا هياب ولا عيابة مغتاب حل من قريش فى كريم النصاب كالهزبر الضرغام الجرىء المقدام فى الحسب القمقام ليس بدعى ولا دنى لا كمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب عليه جزارها فاصبح الأمها حسبا وأدناها منصبا ينوء منها بالذليل ويأوى منها الى القليل مذبذب بين الحيين كالساقط بين المهدين لا المضطر فيهم عرفوه ولا الظاعن عنهم فقدوه فليت شعرى باى قدر تتعرض للرجال وباى حسب تغتدبه عند النضال ابنفسك وأنت الوغد اللئيم والنكد الذميم والوضيع الزنيم أم بمن تنمى اليهم وهم أهل السفه والطيش والدناءة فى قريش لا بشرف فى الجاهلية شهروا ولا بقديم فى الاسلام ذكروا جعلت تتكلم بغير لسانك وتنطق بالزور فى غير ايرانك والله لكان أبين للفضل وأبعد للعدوان أن ينزلك معاوية منزلة البعيد السحيق فانه طالما سلس دائك وطمح بك رجائك الى الغاية القصوى التى لم يخضر فيها رعيك ولم يورق فيها غصنك فقال عبد الله بن جعفر اقسمت عليك لما أمسكت فانك عنى ناضلت ولى فاوضت فقال ابن عباس دعنى والعبد فانه قد بهدر خاليا ولا يجد ملاحيا وقد أتيح له ضيغم شرس للاقران مفترس وللارواح مختلس فقال بن العاص دعنى يا أمير المؤمنين انتصف منه فوالله ما ترك شيئا قال ابن عباس دعه فلا يبقى المبقى الا على نفسه فوالله ان قلبى لشديد وان جوابى لعتيد وانى لكما قال نابغة بنى ذبيان

وقد ما قد قرعت وقارعونى * فما نزر الكلام ولا شجانى
يصد الشاعر العراف عنى * صدود البكر عن قرم هجان

قال و بلغ عاتكة بنت عاتم(١) ثلب معاوية وعمرو بن العاص ابنى هاشم فقالت لاهل مكة أيها الناس ان بنى هاشم سادت فجادت وملكت وملّكت وفضلت وفُضّلت واصطفت واصطفيت ليس فيها كدر عيب ولا افك ريب ولا خسروا طاغين ولا خازين ولا نادمين ولاهم من المغضوب عليهم ولا الضالين ان بنى هاشم أطول الناس باعا وأمجد الناس أصلا وأعظم الناس حلما وأكثر الناس علما وعطاء مناعبد مناف المؤثر وفيه يقول الشاعر

كانت قريشٌ بيضةً فتفلّقتْ * فالمُخُّ خالصها لعبدِ مناف

وولده هاشم الذى هشم الثريد لقومه وفيه يقول الشاعر

عمرُو العُلا هشمَ الثريدَ لقومه * ورجالُ مكةَ مُسنتون عجافُ

ومناعبد المطلب الذى سقينا به الغيث وفيه يقول أبوطالب

ونحنُ سُنِينَ المحلِ قامَ شفيعُنا * بمكةَ يدعو والمياهُ تغورُ

وابنه أبوطالب عظيم قريش وفيه يقول الشاعر

آتيتهُ ملكاً فقامَ بحاجتى * وترى العليَّجَ خائباً مذموما

ومناالعباس بن عبد المطلب أردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه ماله وفيه يقول الشاعر

رديفُ رسولِ اللهِ لم نرَ مثلهُ * ولامثلهُ حتى القيامةِ يولدُ

ومناحمزة سيد الشهداء وفيه يقول الشاعر

أبا يَعلى بكَ الاركانُ هُدتْ * وأنتَ الماجدُ البرُّ الوصول

ومناجعفر ذوالجناحين أحسن الناس حالا وأكملهم كمالا لبس بغدار ولا جبان أبدله الله بكلتى يديه جناحين يطير بهما فى الجنة وفيه يقول الشاعر

هانوا كجعفرنا ومثلَ عليّنا * كانا أعزَّ الناسِ عندَ الخالق

ومناأبو الحسن على بن أبى طالب صلوات الله عليه أفرس بنى هاشم وأكرم من احتبى وانتعل وفيه يقول الشاعر

علىٌّ ألّفَ القرآنَ صُحفاً * ووالى المُصطفى طفلا صبيا

ومناالحسن بن على عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة وفيه يقول الشاعر

ياأجلَّ الانام يا ابن الوصىّ * أنتَ سبطُ النبى وابن علىّ

ومناالحسين بن علىّ حمله جبريل عليه السلام على عاتقه وكفاه بذلك فخرا وفيه يقول الشاعر

(١) هكذا فى الاصل وفى نسخة عاتمه بنت عاتم . وفى المسامرات غاتمه بنت غاتم

حُبُّ الحسين ذخيرةٌ لمُحبِّهِ * يارَبِّ فاحشرْني غداً في حزبه

يامعشر قريش والله مامعاوية كامير المؤمنين علي ولا هو كما يزعم هو والله شانئ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتى آتية معاوية وقائلة له ما يعرق منه جبينه ويكثر منه عويله وأنينه فكتب عامل معاوية اليه بذلك فلما بلغه أنها قربت منه أمر بدار ضيافة فنظفت وألقي فيها فرش فلما قربت من المدينة استقبلها يزيد في حشمه وعماليكه فلما دخلت المدينة أتت دار أخيها عمرو بن عثمان فقال لها يزيد ان أباعبد الرحمن يأمرك أن تنتقلي الى دار ضيافته وكانت لا تعرفه فقالت من أنت كلأ لك الله قال أنا يزيد بن معاوية قالت فلا رعاك الله يا ناقص لست بزائد فتغيرلون يزيد وأتى أباه فأخبره فقال هي أسن قريش وأعظمهم حلماً قال يزيد كم تعد لها قال كانت تعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة عام وهي من بقية الكرام فلما كان من الغد أتاها معاوية فسلم عليها فقالت على المؤمنين السلام وعلى الكافرين الهوان والملام ثم قالت أفيكم عمرو بن العاص قال عمرو ها أنا ذا قالت انت تسب قريشاً وبني هاشم وأنت أهل السب وفيك السب واليك يعود السب ياعمرو أبى والله معارفة بك وبعيوبك وعيوب أمك وأنى اذكر ذلك ولدت من أمة سوداء مجنونة حمقاء تبول من قيامها وتعلوها اللئام وإذا لامسها الفحل فكان نطفتها أنتن من نطفته ركبها في يوم واحد أربعون رجل وأما أنت فقد رأيتك غاوياً غير مرشد ومفسداً غير مصلح والله لقد رأيت خلخال زوجتك على فراشك فما غرت ولا أنكرت وأما أنت يامعاوية فما كنت في خير ولا ربيت في نعمة فمالك ولبني هاشم انساؤك كنسائهم أم أعطى أمية في الجاهلية والاسلام ما أعطى هاشم وكفى فخراً برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاوية أيتها الكبيرة أنا كاف عن بني هاشم قالت فاني أكتب عليك كتاباً فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ربه ان يستجيب لي بخمس دعوات فاجعل تلك الدعوات كلها فيك فخاف معاوية فخلف أن لا يسب بني هاشم أبداً فهذا ما كان بين معاوية وبين بني هاشم من المفاخرة. قال وكان علي بن عبد الله بن عباس عند عبد الملك بن مروان فاخذ عبد الملك يذكر أيام بني أمية فبيناهو على ذلك اذ نادى المنادي بالأذان فقال اشهد ان لا إله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله فقال علي

هذي المكارمُ لا قعبانَ من لبن * شيبا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

فقال: عبد الملك الحق في هذا ابين من ان يكابر. علي بن محمد النديم قال دخلت على المتوكل وعنده الرضي. فقال يا علي من اشعر الناس في زماننا، قلت. البحتري، قال. وبعده. قلت مروان بن ابي حفصة عبدك فالتفت الى الرضي فقال: يا ابن عم من اشعر الناس، قال علي بن محمد العلوي قال وما تحفظ من شعره قال قوله

لقد فاخرتنا من قريش عصابة * بسط خدود وامتداد أصابع
فلما تنازعنا القضاء قضى لنا * عليهم بما تهوى نداء الصوامع

فقال المتوكل ما معنى قوله — نداء الصوامع — قال الشهادة. قال وايبك انه اشعر الناس ومما قيل فى هذا المعنى من الشعر قوله أيضا

بلغنا السماء بأنسابنا * ولولا السماء لجزنا السماء
فحسبك من سؤدد أننا * بحسن البلاء كشفنا البلاء
إذا ذكر الناس كنا ملوكا * وكانوا عبيداً وكانوا إماء
بطيب الثناء لا بائنا * وذكر على بطيب الثناء
هجانى رجال ولم أهجهم * أبى الله لى أن أقول الهجاء

وقال آخر

وانى من القوم الذين عرفتهم * إذا مت منهم سيد قام صاحبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
نجوم سماء كلما انقض كوكب * بدا كوكب تأوى اليه كواكبه

وقال آخر

خطباء حين يقول قائلهم * بيض الوجوه مقاول لسن
لا يفطنون لعيب جارهم * وهم لحفظ جوارهم فطن

﴿ ضده ﴾

عن ابن عباس رضى الله عنه، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتخروا بآبائكم فى الجاهلية فوالذى نفسى بيده لما يدحرج الجعل برجله خير من آبائكم الذين ماتوا فى الجاهلية قال وكان الحسن البصرى يقول يا ابن آدم لم تفتخر وانما خرجت من سبيل بولين نطفة مشجت باقذار. وقال بعضهم لرجل اتفتخر ويحك وأولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وانت فيما بينهما وعاء عذرة فما هذا الافتخار. وروى عن ابن عباس أنه قال الناس يتفاضلون فى الدنيا بالشرف والبيوتات والامارات والغنى والجمال والهيئة والمنطق ويتفاضلون فى الآخرة بالتقوى واليقين واتقاهم احسنهم يقينا واوزكاهم عملا وارفعهم درجة. وقيل فى ذلك

يزين الفتى فى الناس صحة عقله * وإن كان محظوراً عليه مكاسبه
وشين الفتى فى الناس صحة عقله * وإن كرمت آباؤه ومناسبه

وقيل لعامر بن قيس ما تقول فى الانسان قال وما اقول فيمن اذا جاع ضرع وان شبع بغى

وطغى . وقال بعض الحكماء لا يكون الشرف بالنسب ، الا ترى ان اخوين لاب وام يكون احدهما اشرف من الآخر ولو كان ذلك من قبل النسب لما كان لاحدهم على الآخر فضل لان نسبهما واحد ولكن ذلك من قبل الافعال لان الشرف انما هو بالفضل لا بالنسب قال الشاعر

أبوك أبي والجدُّ لاشكَّ واحدٌ * ولكنما عُودانِ آسٍ وخِرْوَعُ

و بلغنا عن المدائني انه قال: ليس السؤدد بالشرف وقد ساد الاحنف بن قيس بحلمه وحصين ابن المنذر برأيه ومالك بن مسمع بمحبته في العامة وسويد بن منجوف بعطفه على أراذل قومه وساد المهلب بن أبي صفرة بجميع هذه الخصال ، وأما الشرف بالدين فالحديث المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أتاه اعرابي فقال بابي أنت وأمي يارسول الله من أكرم الناس حسباً ، قال أحسنهم خُلقاً وأفضلهم تقوى فانصرف الاعرابي فقال ردُّوه ثم قال يااعرابي اعلك أردت أكرم الناس نسباً ، قال نعم يارسول الله قال يوسف الصديق صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فابن مثل هؤلاء الآباء في جميع الدنيا ما كان مثلهم ولا يكون مثلهم احد أبدا . وقال الشاعر في ذلك

ولم أرَ كالاسباطِ أبناءَ واحدٍ * ولا كابيهم والداً حينَ يُنسَبُ

قال ودخل عيينة بن حصن الفزاري على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتسب له فقال أنا ابن الاشياخ الاكارم فقال صلى الله عليه وسلم انت إذاً يوسف صديق الرحمن عليه السلام ابن يعقوب اسرائيل الله واسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله ، وقال صلى الله عليه وسلم خير البشر آدم وخير العرب محمد وخير الفرس سلمان الفارسي وخير الروم صهيب وخير الحبشة بلال قال وسمع عمر بن الخطاب وهو خليفة صوتا ولغطا بالباب فقال لبعض من عنده اخرج فانظر من كان من المهاجرين الاولين فادخله فخرج الرسول فوجد بلالا وصهيبا وسلمان فادخلهم وكان أبوسفيان بن حرب وسهيل ابن عمرو في عصابة من قريش جلوسا على الباب فقال : يامعشر قريش أنتم صناديد العرب واشرافها وفرسانها بالباب و يدخل حبشي وفارسي ، و رومي فقال سهيل : يا أبا سفيان انفسكم فلوموا ولا تذموا امير المؤمنين دُعي القوم فأجابوا ودُعيتم فابيتم وهم يوم القيامة أعظم درجات وأكثر تفضيلا فقال أبوسفيان لا خير في مكان يكون فيه بلال شريفا (فاما صناعات الاشراف) فانه رُوي ان اباطالب كان يعالج العطر والبز وأما ابو بكر وعمر وطلحة وعبد الرحمن بن عوف فكانوا بزازين ، وكان سعد بن أبي وقاص يعذُق النخل ، وكان أخوه عتبة نجارا ، وكان العاص بن هشام اخو أبي جهل بن هشام جزارا ، وكان الوليد بن المغيرة حدادا ، وكان عقبة بن أبي معيط خمارا ، وكان عثمان بن طلحة صاحب مفتاح البيت خياطا ، وكان أبوسفيان

ابن حرب يبيع الزيت والادم ، وكان أمية بن خلف يبيع البرم ، وكان عبدالله بن جدعان نخاسا وكان العاص بن وائل يعالج الخيل والابل ، وكان جرير بن عمرو وقيس ابو الضحاك بن قيس ومعمر بن عثمان وسيرين بن محمد بن سيرين كانوا كلهم حدادين ، وكان المسيب أبو سعيد زياتا وكان ميمون بن مهران بزازا ، وكان مالك بن دينار وراقا ، وكان أبو حنيفة صاحب الرأى خزازا وكان مجمع الزاهد حائكا ، قيل اتخذ يزيد بن المهلب بستانا فى داره بخراسان فلما ولى قتيبة بن مسلم جعله لابله فقال مرزبان مرو : هذا كان بستانا وقد اتخذته لابلك . فقال . قتيبة أبى كان اشتربان وكان أبو يزيد بستانيان فنهما صار ذلك كذلك ، قال وذكروا ان المأمون ذكر أصحاب الصناعات فقال . السوقة سفل والصناع اذال والتجار بخلاء والكتاب ملوك على الناس والناس أربعة أصحاب الحرف وهى امارة وتجارة وصناعة وزراعة فمن لم يكن منهم صار عيالا عليهم

﴿ محاسن الثقة بالله سبحانه ﴾

قيل ـ خطب سليمان بن عبدالملك فقال . الحمد لله الذى أنقذنى من ناره بخلافه . وقال الوليد ابن عبدالملك لاشفعن للحجاج بن يوسف وقرة بن شريك عندربى . وقال الحجاج يقولون مات الحجاج مه ما ارجو الخير كله الا بعد الموت والله ما رضى الله البقاء الا لاهون خلقه عليه اليس ابليس اذ قال (رَبِّ أَنظِرْنِى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) وقال ابو جعفر المنصور الحمد لله الذى اجارنى بخلافه وأنقذنى من النار بها . وحدثنى ابراهيم بن عبدالله عن انس بن مالك قال دخلنا على قوم من الانصار وفيهم فتى عليل فلم نخرج من عنده حتى قضى نحبه فاذا عجوز عند رأسه فالتفت اليها بعض القوم فقال استسلمى لامر الله واحتسبى قالت امات ابنى قال نعم ، قالت أحق ما تقولون قلنا نعم فمدت يدها الى السماء وقالت اللهم انك تعلم انى أسلمت لك وهاجرت الى نبيك محمد صلوات الله عليه رجاء ان تغيثنى عند كل شدة فلا تحملنى هذه المصيبة اليوم فكشف ابنها الذى سجيناه وجهه ومابرحنا حتى طعم وشرب وطعمنا معه

﴿ ضده ﴾

قال عيسى بن مريم صلوات الله تعالى عليه ، يامعشر الحوار يين ان ابن آدم مخلوق فى الدنيا فى أربع منازل هو فى ثلاث منها واثق وهو فى الرابعة سىء الظن يخاف خذلان الله اياه فاما المنزلة الاولى فانه خلق فى ظلمات ثلاث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة فوفاه الله رزقه فى جوف ظلمة البطن فاذا أخرج من ظلمة البطن وقع فى اللبن لا يخطو اليه بقدم ولا ساق ولا يتناوله بيد ولا ينهض اليه بقوة بل يكره اليه إكراها ويوجر إيجارا حتى ينبت عليه لحمه ودمه فاذا ارتفع

عن اللبن وقع فى المنزلة الثالثة من الطعام من أبويه يكسبان عليه من حلال وحرام فان ماتا عطف عليه الناس هذا يطعمه وهذا يسقيه وهذا يؤويه وهذا يكسوه فاذا وقع فى المنزلة الرابعة واشتد واستوى وكان رجلا خشى ان لا يرزق فيثب على الناس فيخون امانا تهم و يسرق امتعتهم و يغصبهم اموالهم مخافة خذلان الله تعالى إياه

(محاسن طلب الرزق)

قال عمرو بن عتبة من لم يقدمه الحزم أخره العجز ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يا ابن آدم أحدث لى سفراً أحدث لك رزقا ، وفى بعض الحديث سافروا تغنموا ، وقال الكميت بن زيد الاسدى

ولن يُزيحَ هُمومَ النفسِ إنْ حضرتْ * حاجاتُ مِثلِك الا الرَّحلُ والجملُ

وقال أبو تمام الطائى

وطولُ مُقامِ المرءِ فى الحىِّ مُخْلِقٌ * لِدِيباجَتيهِ فاغتربْ تتجدّدِ
فإنى رأيتُ الشمسَ زِيدتْ محبةً * إلى الناسِ أنْ ليستْ عليهمْ بسرمدِ

وقال بعض الحكماء لا تدع الحيلة فى التماس الرزق بكل مكان فان الكريم يحتال والدنىّ عيال ، وأنشد

فسِرْ فى بلادِ اللهِ والتمسِ الغِنى * تعِشْ ذا يسارٍ أوْ تموتَ فتُعذرا
ولا ترْضَ من عيشٍ بدونٍ ولا تنمْ * وكيفَ ينامُ الليلَ من كانَ مُعسِرا

وتقول العامة كلب جوال خير من أسد رابض ، وتقول من غلى دماغه صائفا غلت قدره شاتيا ، ووقع عبد الله بن طاهر من سعى رعى ومن لزم المنام رأى الاحلام ، هذا المعنى سرقه من توقيعات أنوشروان فانه يقول هرك روذ جرد هرك خسبد خواب بيند ، وأنشد

كفى حزناً أنّ النوى قذفتْ بنا * بعيداً وأنّ الرزقَ أعيتْ مذاهبُهْ
ولو أننا إذْ فرّقَ الدّهرُ بيننا * غنِىَ واحدٍ منا تموّلَ صاحبُهْ
ولكننا من دهرِنا فى مؤونةٍ * يُكابِدُ طوراً وطوراً نُكابِدُهْ

وقال آخر

ومَنْ يكُ مِثلى ذا عِيالٍ ومُقتِراً * مِنَ المالِ يطرَحْ نفسَهُ كلَّ مَطرَحِ
ليبلُغَ عُذراً أوْ ينالَ غنيمةً * ومُبلِغُ نفسٍ عُذرَها مِثلُ مُنجِحِ

وقال آخر

وليسَ الرّزقُ عنْ طلبٍ حثيثٍ * ولكنِ ادلِ دلوَكَ فى الدِّلاءِ

تجنكَ بملئها وحيناً وطوراً * تجئ بحمأةٍ وقليلِ ماء

﴿ ضده ﴾

قيل ،، وجد فى بعض خزائن ملوك العجم لوح من حجارة مكتوب عليه كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو فان موسى عليه السلام خرج ليقتبس نارا فنودى بالنبوة و بلغنا عن ابن السماك انه قال لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض وكن اليوم مشغولا بما أنت مسؤل عنه غداً و إياك والفضول فان حسابها يطول . قال الشاعر

إنى علمتُ وعلمُ المرءِ ينفعهُ * أنّ الذى هوَ رزقى سوفَ يأتينى
أسعى لهُ فيعنينى تطلبهُ * ولو قعدتُ أتانى لا يعنينى

وقال آخر

لعمرُك ما كلُّ التعطّلِ ضائرٌ * ولا كلُّ شغلٍ فيهِ للمرءِ منفعهْ
إذا كانتِ الارزاق فى القربِ والنوى * عليكَ سواءٌ فاغتنمْ لذّةَ الدّعهْ

وقال آخر

سَهّلْ عليك فانّ الرّزقَ مقدورُ * وكلُّ مُستأنفٍ فى اللوحِ مَسطورُ
أنى القضاءُ بما فيهِ لمُدّتهِ * وكلُّ مالم يكنْ فيهِ فمحظورُ
لا تكذبنّ فخيرُ القولِ أصدقهُ * إن الحريصَ على الدُّنيا لمغرورُ

وقال آخر

لا تعتبنّ على العبادِ فإنما * يأتيكَ رزقُكَ حين يؤذنُ فيهِ

وقال آخر

هىَ المقاديرُ تجرى فى أعنتها * فاصبرْ فليسَ لها صبرٌ على حالِ
يوماً تريشُ خسيسَ القومِ ترفعهُ * دونَ السّماءِ ويوماً تخفضُ العالى

وقال آخر

إصبرْ على زمنٍ جمّ نوائبهُ * فليسَ من شدّةٍ إلا لها فرجُ
تلقاهُ بالامسِ فى عمياءَ مُظلمةٍ * ويُصبحُ اليومَ قد لاحتْ لهُ السُّرجُ

وقال آخر

ألا ربّ راجٍ حاجةٍ لا ينالها * وآخرَ قد تُقضى لهُ وهوَ آئسُ
يَحولُ لها هذا وتُقضى لغيرهِ * فتاتى الذى تُقضى وهوَ جالسُ

وقال آخر

فلما أن عُنيتُ بما ألاقي * وأعيتني المسائلُ بالفروضِ
دعوتُ اللهَ لا أرجو سواهُ * وربُّ العرشِ ذو فرجٍ عريضِ

وقال آخر

ياصاحبَ الهمِّ إنَّ الهمَّ منفرجٌ * أبشرْ بخيرٍ كأنْ قد فرَّجَ اللهُ
اليأسُ يقطعُ أحيانا بصاحبِهِ * لاتيأسَنَّ فانَّ الصانعَ اللهُ
إذا ابتُليتَ فثِقْ باللهِ وارضَ بهِ * إنَّ الذي يكشفُ البلوى هوَ اللهُ

وقال آخر

وإذا أصبكَ من الحوادثِ نكبةٌ * فاصبرْ فكلُّ بليةٍ تتكشفُ

﴿ محاسن المواعظ ﴾

قال الاصمعي حججت فنزلت ضربة فاذا اعرابي قد كوّر عمامته على رأسه وقد تنكّب قوسا فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انما الدنيا دار ممرّ والآخرة دار مقر فخذوا من ممرّكم لمقركم ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم اسراركم .. أما بعد فانه لن يستقبل احد يوما من عمره الا بفراق آخر من أجله فاستعجلوا الا نفسكم لما تقدمون عليه لا لما تظعنون عنه وراقبوا من ترجعون اليه فانه لا قوى أقوى من خالق ولا ضعيف اضعف من مخلوق ولا مهرب من الله الا اليه وكيف يهرب من يتقلب بين يدي طالبه (وإنما توفّون أجوركم يوم القيامة فمن زُحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) وقال بعض الاعراب ان الموت ليقتحم على بني آدم كاقتحام الشيب على الشباب ومن عرف الدنيا لم يفرح بها فهو خائف ولم يحزن فيها على بلوى ولا طالب أغشم من الموت ومن عطف عليه الليل والنهار ارداه ومن وكل به الموت أفناه .. وقال اعرابي كيف يفرح بعمر تنقصه الساعات وبسلامة بدن معرض للآفات لقد عجبت من المرء يفرّ من الموت وهو سبيله ولا أرى أحدا الا ستدركه الموت .. وقيل وجد في كتاب من كتب بزرجمهر صحيفة مكتوب فيها ان حاجة الله الى عباده أن يعرفوه فمن عرفه لم يعصه طرفة عين كيف البقاء مع الفناء وكيف يأسى المرء على ما فاته والموت يطلبه ، وقال كسرى لم يكن من حق علمه أن يقتل وانى لنادم على ذلك (١) . قال وحضرت الوفاة رجلا من حكماء فارس فقيل له كيف يكون حال من يريد سفرا بعيدا بغير زاد ويقدم على ملك عادل

(١) هكذا في الاصل وفي العبارة نقص فليحرر

بغير حجة و يسكن قبراً موحشاً بغير أنيس

﴿ ضده ﴾

قيل ، لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز جزع أبوه عليه جزعا شديداً فقال ذات يوم لمن حضره هل من منشد شعرا يعزيني به أو واعظ يخفف عني فأتسلى به ، فقال رجل من أهل الشام . يا أمير المؤمنين كل خليل مفارق خليله بان يموت أو بان يذهب الى مكان . فتبسم عمر بن عبد العزيز وقال مصيبتي فيك زادتني الى مصيبتي مصيبة ، وأصيب الحجاج بن يوسف بمصيبة وعنده رسول لعبد الملك بن مروان فقال . ليت اني وجدت انسانا يخفف عني مصيبتي ، فقال له الرسول أقول ، قال : قل قال كل انسان مفارق صاحبه بموت أو بصلب أو بنار تقع عليه من فوق البيت أو يقع عليه البيت أو يسقط في بئر أو يغشى عليه او يكون شيء لا يعرفه ، فضحك الحجاج وقال مصيبتي في أمير المؤمنين اعظم حين وجه مثلك رسولا

﴿ محاسن فضل الدنيا ﴾

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها مسجد أنبياء الله ومهبط وحيه ومصلى ملائكته ومتجر أوليائه يكسبون فيها الرحمة ويربحون فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وشوقت بسرورها الى السرور وببلائها الى البلاء تخويفاً وتحذيراً وترغيباً وترهيباً فيا أيها الذام للدنيا والمغتر بغرورها متى غرتك أبمصارع آبائك من البلى أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى كم علات بكفيك وكم مرضت بيديك تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء وتلتمس لهم الدواء لم تنفعهم بطلبتك ولم تشفعهم بشفاعتك ولم تستشفهم باستشفائك بطبك مثلت بهم الدنيا مصرعك ومضجعك حيث لا ينفعك بكاؤك ولا يغني عنك أحباؤك ثم التفت الى قبور هناك فقال يا أهل الثراء والعز الازواج قد نكحت والاموال قد قسمت والدور قد سكنت هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثم قال لمن حضر : والله لو أذن لهم لاجابوا بان خير الزاد التقوى ، وأنشد

ما أحسن الدنيا و إقبالها * إذا أطاع الله من نالها
من لم يواس الناس من فضلها * عرض للادبار إقبالها

قال أبو حازم الدنيا طالبة ومطلوبة طالب الدنيا يطلبه الموت حتى يخرجه منها وطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى توفيه رزقه ، وقال الحسن البصري بينا أنا اطوف بالبيت اذا أنا بعجوز متعبدة فقلت من أنت ، فقالت من بنات ملوك غسان قلت فمن أين طعامك ، قالت اذا كان آخر النهار

جاءتني امرأة مترينة فتضع بين يدي كوزاً من ماء ورغيفين ، قلت لها أتعرفينها ، قالت اللهم لا ، قالت هي الدنيا خدمت ربك جلّ ذكره فبعث اليك الدنيا فخدمتك

﴿ ضده ﴾

زعموا أن زياد بن أبيه مرّ بالحيرة فنظر الى دير هناك فقال لخادمه لمن هذا قيل له هذا دير حرقة بنت النعمان بن المنذر فقال ميلوا بنا اليه لنسمع كلامها فجاءت الى وراء الباب فكلمها الخادم قال لها . كلمي الامير ، فقالت أ أو جزأم أطيل ، قال بل أوجزي قالت . كنا أهل بيت طلعت الشمس علينا وما على الارض أحد أعز منا وما غابت تلك الشمس حتى رحمنا عدونا قال . فامر لها بأوساق من شعير فقالت ، أطعمتك يد شبعاء جاعت ولا أطعمتك يد جوعاء شبعت . فسرز ياد بكلامها فقال لشاعر مسه قيد هذا الكلام ليدرس . فقال

سَلِ الخيرَ أهلَ الخيرِ قد ما ولا تَسَلْ * فتًى ذاقَ طعمَ الخيرِ مُنذُ قريبِ

ويقال ، ان فروة بن اياس بن قبيصة انتهى الى دير حرقة بنت النعمان فالقاها وهي تبكي فقال لها ما يبكيك ، قالت ما من دار امتلأت سروراً الا امتلأت بعد ذلك ثبوراً ثم قالت

فبينا نَسوسُ الناسَ والامرُ أمرُنا * إذا نحنُ فيهم سُوقةٌ نتنصّفُ

فأفٍّ لدُنيا لا يدُومُ نعيمُها * تقلّبُ تاراتٍ بنا وتصرّفُ

قال ، وقالت حرقة بنت النعمان لسعد بن أبي وقاص لا جعل الله لك الى لئيم حاجة ولا زالت لكريم اليك حاجة وعند لك المنّ في أعناق الكرام ولا أزال بك عن كريم نعمة ولا أزالها بغيرك الا جعلك سبباً لردها عليه ، قال وقال عبد الملك بن مروان لسلم بن يزيد الفهمي أي الزمان أدركت أفضل وأي ملوكه أكمل ، قال أما الملوك فلم أر إلا ذاما وحامداً وأما الزمان فرفع أقواما ووضع آخرين وكلهم يذم زمانه لانه يبلي جديدهم ويهرم صغيرهم وكل ما فيه منقطع الامل ، قال فاخبرني عن فهم . قال هم كما قال الشاعر

دَرَجَ الليلُ والنهارُ على فهـ * ـمِ بنِ عمرٍو فأصبحوا كالرّميمِ

وخلتْ دارُهم فاضحتْ قفاراً * بعدَ عزٍّ وثروةٍ ونعيمِ

وكذاكَ الزمانُ يذهبُ بالنا * سِ وتبقى ديارُهم كالرّسومِ

قال فمن يقول منكم

رأيتُ الناسَ مذ خُلقوا وكانوا * يُحبّون الغنى منَ الرّجالِ

وإنْ كانَ الغنيُّ أقلَّ خيراً * بخيلاً بالقليلِ منَ النّوالِ

فلا أدري علام وفيم هذا * وماذا ترتجون من المحال

أللدنيا فليس هناك دنيا * ولا يرجى لحادثة الليالي

قال: أنا وقد كفتها، قال ولما دخل علي صلوات الله عليه المدائن فنظر الى إيوان كسرى أنشد بعض من حضره . قول الاسود بن يعفر

ماذا أأمل بعد آل محرق * تركوا منازلهم وبعد إياد

أهل الخورنق والسدير وبارق * والقصر ذي الشرفات من سنداد

نزلوا بأنقرة يسيل عليهم * ماء الفرات يجيء من أطواد

أرض تخيرها لطيب نسيمها * كعب بن مامة وابن أم دواد

جرت الرياح على محل ديارهم * فكأنما كانوا على ميعاد

فاذا النعيم وكل ما يلهى به * يوماً يصير إلى بلى ونفاد

وقال علي صلوات الله عليه: أبلغ من ذلك قول الله تعالى (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين) . وقال عبد الله بن المعتز أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام، وقال غيره طلاق الدنيا مهر الجنة، وذكروا ان اعرابيا ذكر الدنيا فقال هي جمة المصائب رنقة المشارب . وقال آخر الدنيا لا تتمسك بصاحب . قال أبو الدرداء من هوان الدنيا على الله تعالى انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها . وقال اذا أقبلت الدنيا على امرئ أعارته محاسن غيره واذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه . وقال الشاعر

أيا دنيا حسرتي لنا قناعا * وكان جمالُ وجهك في النقاب

ديارٌ ظالما حُجبتْ وعزتْ * فأصبحَ اذنُها سَهْلَ الحجاب

وقد كانتْ لنا الأيامُ ذلتْ * فقد قُرنتْ بأيام صِعاب

كأنَّ العيشَ فيها كان ظلاً * يقلّبهُ الزمانُ إلى ذهاب

قال الاصمعي . وُجد في دار سليمان بن داود عليه السلام على قُبة مكتوبا

ومن يحمد الدنيا لشيء يسرُّهُ * فسوف لعمري عن قريب يلومُها

إذا أدبرتْ كانتْ على المرء حسرةً * وإن أقبلتْ كانتْ كثيراً همومُها

وكان ابراهيم ابن أدهم ينشد

نُرقّعُ دُنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا مانرقعُ

وقال أبو العتاهية

يامن ترفّع بالدّنيا وزينتها * ليس الترفّع رفع الطين بالطين
إذا أردت شريف القوم كلهم * فانظر إلى ملك في زيّ مسكين
ذاك الذى عظمت في الناس همته * وذاك يصلح للدّنيا وللدّين

وقال آخر

هب الدّنيا تساق إليك عفوا * أليس مصير ذاك إلى زوال

وقال محمود الوراق

هى الدّنيا فلا يغررك منها * مخائل تستفز ذوى العقول
أقلّ قليلها يكفيك منها * ولكن لست تقنع بالقليل
تشيد وتبتنى فى كلّ يوم * وأنت على التجهز للرّحيل
ومن هذا على الأيام تبقى * مضار به بمدرجة السّيول

وقال آخر

دنيا تداولها العباد ذميمة * شيبت باكره من نقيع الحنظل
وثبات دنيا ما تزال ملمّة * منها فجائع مثل وقع الجندل

وقال آخر

حتى متى أنت فى دنياك مشتغل * وعامل الله بالرّحمن مشغول

وقال أبو نواس الحسن بن هانىء

دع الحرص على الدّنيا * وفى العيش فلا تطمع
ولا تجمع لك المال * فما تدرى لمن تجمع
ولا تدرى أفى أرضك * أم فى غيرها تضرع

قال الاصمعى . سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول بينا أنا أدور فى بعض البرارى اذا أنا بصوت

وإن امرأ دنياه أكثر همّه * لمستمسك منها بحبل غرور

فقلت آنس أم جنى فلم يجبنى أحد فنقشته على خاتمى ، قال وسمع يحيى بن خالد بيت العدوى فى صفة الدنيا

حتوف مهارصد وعيشها نكد * وشرّ بهارنق وملكها دول

فقال لقد نظم فى هذا البيت صفة الدنيا ، قال وسمع المأمون بيت أبى نواس

إذا متحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

فقال . لو سئلت الدنيا عن نفسها ما وصفة نفسها كصفة أبي نواس ، وقيل للحسن البصري ما تقول في الدنيا ، قال ما أقول في دار حلالها حساب وحرامها عقاب فقيل . ما سمعنا كلاما أوجز من هذا قال بلى كلام عمر بن عبد العزيز كتب اليه عدي بن أرطاة وهو على حمص ان مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت الى صلاح حيطانها فكتب اليه حصنها بالعدل ونق طرقها من الظلم والسلام

﴿ محاسن الزهد ﴾

محمد بن الحسن عن أبي همام وكان قد عرف ضيعة ما قال . كنت معه في طريق مكة فلما بعدنا في الرمل نظر الى ما تلقى الابل من شدة الحر فبكى ضيغم فقلت . لو دعوت الله أن يمطر علينا كان أخف على هذه الابل قال . فنظر الى السماء وقال . إن شاء الله فعل قال فوالله ما كان الا أن تكلم حتى نشأت سحابة فهطلت ، وعن عطاء بن يسار ان أبا مسلم الخولاني خرج الى السوق بدرهم يشتري لاهله دقيقاً فعرض له سائل فاعطاه بعضه ثم عرض له سائل آخر فاعطاه الباقي فاتى النجار بن فلاً مزود من نشارة الخشب وأتى منزله فالقاه وخرج هارباً من أهله فاتخذت المرأة المزود فاذا دقيق حواري لم تر مثله فعجنته وخبزته فلما جاء قال من أين لك هذا قالت الدقيق الذي جئت به ، وعن أبي عبد الله القرشي عن صديق له قال ، دخلت بئر زمزم فاذا بشخص ينزع الدلو مما يلي الركن فلما شرب أرسل الدلو فأخذته فشربت فضلته فاذا هو سويق لو زلم أر أطيب منه فلما كانت القابلة في ذلك الوقت جاء الرجل وقد أسبل ثوبه على وجهه ونزع الدلو فشرب ثم أرسله فأخذته فشربت فضلته فاذا هو ماء مضروب بالعسل لم أر شيأ قط أطيب منه فاردت أن آخذ طرف ثوبه فانظر من هو فاتني فلما كان في الليلة الثالثة قعدت قبالة زمزم في ذلك الوقت فجاء الرجل وقد أسبل ثوبه على وجهه فنزع الدلو فشرب وأرسله وأخذته وشربت فضلته فاذا هو أطيب من الاول فقلت يا هذا أسألك برب هذه البنية من أنت . قال تكتم على حتى أموت . قلت . نعم . قال لي . أنا سفيان الثوري وكانت تلك الشربة تكفيني اذا شربتها الى مثلها لا أجد جوعا ولا عطشاً ، وقال الاصمعي . رأيت اعرابياً يكدح جبهته بالارض بريدان يجعل سجادة فقلت ما تصنع قال اني وجدت الاثر في وجه الرجل الصالح . وقال الشاعر

كيف يبكي لمحبس في طلول * من سيقضي ليوم حبس طويل
إن في البعث والحساب لشغلاً * عن وقوف برسم ربع محيل

وقال آخر

إنَّ الشقيَّ الذي في النار منزلهُ * والفوزُ فوزُ الذي ينجو من النارِ
يارَبِّ أسرفتُ في ذنبي ومعصيتي * وقد علمتُ يقيناً سوءَ آثاري
فاغفر ذنوبا إلهي قد أحطت بها * ربَّ العبادِ وزَحزِحني عن النارِ

وقال ذو الرّمة

أمَعصي الإلهِ وأنت تظهرُ حبه * هذا محالٌ في القياسِ بديعُ
لو كانَ حبكَ صادقاً لأطعتَهُ * إنَّ المحبَّ لمن يُحبُّ مطيعُ

وقال أبو نواس

أياعجباً كيفَ يُعصى الإلهُ * أم كيفَ يجحدهُ الجاحدُ
ولله في كلِّ تحريكةٍ * وتسكينةٍ فاعلمنْ شاهدُ
وفي كلِّ شيءٍ لهُ آيةٌ * تدلُّ على أنهُ واحدُ

وقال أيضاً

سُبحانَ من خلقَ الخلـ * ـقَ من ضعيفٍ مَهينِ
يُسوقُهم من قرارٍ * إلى قرارٍ مكينِ
يحوزُ خلقاً نخلقاً * في الحجبِ دُونَ العُيونِ
حتى بدَتْ حركاتٌ * مخلوقةٌ من سُكونِ

وقال آخر

أخي ما بالُ قلبكَ ليسَ يَنقى * كأنكَ ما تظنُّ الموتَ حقا
ألا يا ابنَ الذينَ مضَوا وباذوا * أما واللهِ ما ذهبوا لتبقى
ومالكَ غيرَ تقوى اللهِ زادٌ * إذا جعلتَ إلى اللهواتِ تَرقى

وقال آخر

ياقلبُ مهلاً وكنْ على حذرٍ * فقد لعمري أُمرتَ بالحذرِ
مالكَ بالتُّرهاتِ مُشتغلاً * أفي يديكَ الأمانُ من سقرِ

وقال آخر

إنْ كنتَ تؤمنُ بالقيا * مةِ واجترأتَ على الخطيئةْ
فلقد هلكتَ وإنْ جحدْ * تَ فذاكَ أعظمُ للبليَّةْ

وقال آخر

وأفنيةُ الملوكِ محجّباتٌ * وبابُ اللهِ مبذولُ الفِناءِ
فما أرجو سِواهُ لكشفِ ضُرّي * ولا أفزعْ إلى غيرِ الدعاءِ
ولا أدعُو إلى اللأواءِ كهفاً * سِوَى من لا يَصُمُّ عنِ الدُّعاءِ

﴿ ضده ﴾

قيل ، كان جندى بقزوين يصلى فى بعض المساجد فتفقده المؤذن أياما فصار اليه وقرع بابه عليه فخرج اليه . فقال له المؤذن . أبومن ، قال . أبوالجحيم ، قال . بئس ياهذا رد الباب قال وقيل للقينى ما أيسر ذنبك ، قال . ليلة الدير ، قيل له . وما ليلة الدير . قال . نزلت بدير نصرانية فأكلت عندها الفشيلا بلحم خنزير وشربت خمرها وفجرت بها وسرقت كساءها وخرجت (١) . قيل أتى خمسة من الفتيان الى قرية فنزلوا على باب خان فقام احدهم يصلى والباقون جلوس فمرت بهم نبطية فقالوا دلينا على قحبة قالت نعم كم أنتم . قالوا نحن اربعة . فأومى الذى يصلى بيده سبحان الله أنا الخامس . قال الشاعر

وإنّنى فى الصلاةِ أحضُرُها * ضحكةُ أهلِ الصّلاةِ إنْ شهدُوا
أقعُدُ فى سجدةٍ إذا ركعُوا * وأرفعُ الرّأسَ إنْ هُمُ سجدُوا
أسجدُ والقومُ راكعونَ معاً * وأسرعُ الوثبَ إنْهُمُ قعدُوا
فلستُ أدرِى إذاهمُ فرَغوا * كمْ كانَ تلكَ الصلاةُ والعددُ

وقال آخر

وأصلى فأغلطُ الدّهرَ فيما * بينَ سبعٍ وأربعٍ وثمانِ
ومواقيتُ حينِها لستُ أدرِى * ما أذانٌ موقّتٌ من أذانِ

وقال آخر

نِعمَ الفتى لوْ كان يعرِفُ ربَّهُ * ويُقيمُ وقتَ صلاتِهِ حمّادُ
عدلَتْ مشافِرُ الدّنانِ فأنثَهُ * مِثلُ القدُومِ بسُنّهُ الحدّادُ
فابيضّ من شُرْبِ المدامةِ وجهُهُ * فبياضُهُ يومَ الحسابِ سوَادُ

(١) ذكر ابن قتيبة فى كتابه أخبار الشعراء هذه القصة لابى الطمحان القينى وقد نسبت هذه الخزية أيضاً للفرزدق وفيها يقول له جرير

وكنت اذا نزلت بدار قوم * رحلت بخزية وتركت عاراً

وقال آخر

إن قرأ العاديات فى رجب * لم يعدُ منها إلاّ إلى رجب
بل نحنُ لا نستطيعُ فى سَنةٍ * نختمُ تبّتْ يدا أبى لهب

﴿ محاسن النساء النادبات ﴾

قيل ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحسن قول الخنساء فى صخر أخيها

لا بُدَّ من ميتةٍ فى صرفها غِيَرٌ * والدّهرُ من شأنه حولٌ وإضرارُ
وإنّ صخراً لتأتمُّ الهداة به * كأنه عَلَمٌ فى رأسه نارُ

وقيل للخنساء صفى لنا صخرا فقالت . كان مطر السنة الغبراء وذعاف الكتيبة الحمراء قيل فمعاوية قالت حياء الجدبة اذا نزل وقرى الضيف اذا حل قيل فأيهما كان عليك أحنى قالت أما صخر فسقام الجسد وأما معاوية فجمرة الكبد . وأنشدت

أسَدان مخمرًا المخالبِ نجدةً * غيثان فى الزّمن الغضوب الأعسرِ
قمران فى النادى رفيعاً محتدٍ * فى المجدِ فرْعا سؤدد متخيّرِ

وروى انها دخلت على عائشة أم المؤمنين وعليها صدار من شعر فقالت لها عائشة أتتخذين الصدار وقد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا أم المؤمنين إن زوجى كان رجلا مترفا منفقا . فقال لى . لو أتيت معاوية فاستعنته فخرجت وقد لقينى صخر فاخبرته فشاطرنى ماله ثلاث مرات فقالت له امرأته ، لو أعطيتها من شرارها — تعنى الابل — فقال

تالله لا أمنحُها شرارَها * وهى حصانٌ قد كفتنى عارَها
وإنْ هلكتُ مزّقتْ خمارها * واتخذتْ من شعر صدارها

فلما هلك صخر اتخذت هذا الصدار ونذرت ان لا انزعه حتى أموت ، قال ثور ابن معن السلمى حدثنى أبى قال ، دخلت على الخنساء فى الجاهلية وعليها صدار من شعر وهى تجهز ابنتها فكلمتها فى طرح الصدار فقالت يا حمقاء والله لانا احسن منك عرسا وأطيب منك درسا وأرق منك نعلا وأكرم منك بعلا ، قال عبد الرحمن بن مرة عن بعض أشياخه ان عمر بن الخطاب قال للخنساء ، ما أقرح ما قى عينيك ، قالت ، بكائى على السادات من مضر ، قال ، ياخنساء انهم فى النار قالت ، ذلك أطول لعويلى . ومما اخترنا من أشعارها قولها

تعرّقنى الدّهرُ قرْعاً وغمْزا * وأوْجعنى الدّهرُ نهشاً ووَخزا
وأفنى رجالى فبادوا معاً * فاصبحَ قلبى لهمْ مُستفزّا
كأنْ لم يكونوا حمًى يتّقى * إذالناسُ إذ ذاكَ مَنْ عزّ بزّا

وكانوا سَرَاةَ بنى مالكٍ * وزَيْنَ العشيرة مَجداً وعزّا
وهم فى القديم صِحاحُ الاديـــم والكائنون من الناس حرْزا
بُسمر الرّماح وبيض الصّفاح * فبالبيض ضرباً وبالسّمر وخزا
حرَزْنا نواصِىَ فرْسانكمْ * وكانوا يظنُّونَ أنْ لا نُحَرّا
ومن ظنّ ممّنْ يلاقى الحروبَ * بانْ لا يُصابَ فقدْ ظنّ عجزا
نَعِفُّ ونَعرِفُ حقَّ القِرَى * ونَتّخِذُ الحمْدَ ذُخْرًا وكنزا
ونَلبَسُ فى الحرْبِ نسجَ الحديد * وفى السِّلْمِ نَلبَسُ خزّاً وقزّا

وروى خبر الخنساء من جهة أخرى، ذكروا انها اقبلت حاجّة فمرت بالمدينة ومعها أناس من قومها فأتوا عمر بن الخطاب فقالوا، هذه خنساء فلو وعظتها فقد طال بكاؤها فى الجاهلية والاسلام فقام عمر وأتاها وقال، ياخنساء، قال فرفعت رأسها فقالت ماتشاء وما الذى تريد فقال، ما الذى أقرح ماقى عينيك، قالت، البكاء على سادات مضر، قال، انهم هلكوا فى الجاهلية وهم أعضاد اللهب وحشو جهنم، قالت، فداك أبى وامى فذلك الذى زادنى وجعا، قال، فانشدينى ماقلت، قالت، اما انى لا أنشدك ماقلت قبل اليوم ولكنى انشدك ماقلته الساعة، فقالت

سقى جَدَثاً أعْراقُ عمرةَ دُونَهُ * وَبِيشةُ دِيماتُ الرَّبيعِ وَوابِلُهْ
وكنتُ أُعيرُ الدّمعَ قبلَكَ من بكى * فأنتَ على من ماتَ قبلَكَ شاغِلُهْ
وأُرْعِيهُمُ سَمْعى إذا ذكروا الاسى * وفى الصّدرِ منى زَفرةٌ لا تُزائِلُهْ

فقال عمر، دعوها فانها لا تزال حزينة أبدا، ليلى الاخيلية هجاها رجل من قومها، فقال

ألا حَيِّيا لَيْلى وقُولا لها هَلا * فقدْ رَكِبَتْ إِبراً أغرّ مُحَجّلا

فاجابته

تُعيّرُونى داءً بأُمّكَ مِثلُهُ * وأىُّ جوادٍ لا يُقالُ لهُ هَلا

وذكروا انها دخلت على عبد الملك بن مروان فقال لها، ياليلى هل بقى فى قلبك من حب توبة فى الفتيان شىء، قالت، وكيف أنساه وهو الذى يقول يا أمير المؤمنين

ولوْ أنَّ لَيْلَى فى ذُرَى مُتَمَنِّعٍ * بِنَجْرَانَ لا لَتَفَتْ على قَصُورُها
حَمامةَ بَطنِ الواديينِ تَرَنّمى * سَقاكِ مِنَ الغُرِّ الغَوادِى مَطِيرُها
أبِينى لنا لا زالَ رِيشُكِ ناعِما [1] * وَبَيْضُكِ فى خضْراءَ غُصْنٍ نَضِيرُها
تَقولُ رِجالٌ لا يَضيرُكَ نأْيُها * بلى كلُّ ماشفَّ النُّفوسَ يَضيرُها

1) رواية أبى على القالى فى أماليه — «ولا زلت فى خضراء غض نضيرها»

أيذهب ريعانُ الشبابِ ولم أزُرْ * كواعبَ في همدانَ بيضاً نحورُها

قال ، عمرك الله ان تذكريه ، ولتوبة في ليلى الاخيلية

ولو أنَّ ليلى الاخيليةِ سلَّمتْ * عليَّ ودوني جندلٌ وصفائحُ
لسلَّمتُ تسليمَ البشاشةِ أوزقى * إليها صدى من جانبِ القبرِ صائحُ
ولو أنَّ ليلى في السَّماءِ لأصعدتْ * بطرْفي إلى ليلى العُيونُ اللوامحُ

فلما مات توبة مر زوج ليلى بليلى على قبره فقال ، لها سلمى على توبة فانه زعم في شعره انه يسلم عليك تسليم البشاشة ، فقالت ما تريد الى من بليت عظامه ، فقال ، والله لتفعلن ، فقالت وهي على البعير ، سلام عليك يا توبة فتى الفتيان ، وكانت قطاة مستظلة في ثقب من ثقب القبر فلما سمعت الصوت طارت وصاحت فنفر البعير ورمى بليلى فماتت فدفنت الى جنب قبر توبة ، قال وسأل الحجاج ليلى هل كان بينك و بين توبة ريبة قط . قالت لا والذي أسأله صلاحك الا انه مرة قال لي قولا ظننت انه خنع لبعض الامر . فقلت له

وذي حاجةٍ قلنا له لا تبُحْ بها * فليس اليها ما حييتُ سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونَهُ * وأنت لاخرى فارغٌ وخليلُ

فما كلمني بعد ذلك بشيء حتى فرق بيني و بينه الموت قال الحجاج فما كان بعد ذلك قالت لم يلبث أن قال لصاحب له اذا أتيت الحاضر من بني عباد فقل بأعلى صوتك

عفا اللهُ عنها هل أبيتنَّ ليلةً * من الدَّهرِ لا يسري إليَّ خيالها

فلما سمعت الصوت خرجت فقلت

وعنهُ عفا ربي وأحسنَ حاله * تعزَّ علينا حاجةٌ لا ينالها

قال ودخلت ليلى على الحجاج فأنشدته . قولها فيه

إذا نزلَ الحجاجُ أرضاً سقيمةً * تتبَّعَ أقصى دائها فشفاها
شفاها من الدَّاءِ العُضالِ الذي بها * غلامٌ إذا هزَّ القناةَ ثناها
أحجَّاجُ لا تُعطي العُصاةَ مُناهمُ * ولا اللهُ يُعطي للعُصاةِ مُناها

فوصلها الحجاج بالف دينار وقال لو قلت بدل غلام همام لكان أحسن . هند بنت عتبة أم معاوية بن ابي سفيان قيل لما قتل شيبة وعتبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة رثتهم هند . فقالت

إني رأيتُ فساداً بعدَ إصلاحِ * في عبدِ شمسٍ فقلبي غيرُ مرتاحِ
هاجت لهم أدمعٌ تترى ومنبعُها * من رأسِ تحرُوبةٍ ما إن لها لاحي

لما تنادت بنو فهر على حنق * والموت بينهم ساع لارواح
كانما النسج فى قتلى مصرعة * سرج أضاءت على جدد رواألواح
ياآل هاشم انا لا نصالحكم * حتى نرى الخيل تردى كل كفاح
إن يمكن الله يوما من هزيمتكم * يورث نساءكم داء بقراح

فأجابتها عمرة بنت عبدالله بن رواحة الانصارى

ياهند مهلا لقد لاقيت مهبلة * يوم الاعنة والارواح فى الراح
أسد غطارفة غر جحاجحة * أبناء محصنة بيض لجحجاح
هنالك الفوز والرضوان إن صبروا * مع الرسول فما آبوا بتقباح
الله أهلكهم والاوس شاهدة * والخزرج الغر فيهم كل مجتاح
لاتبعدن فإنى غير صارخة * وكيف تصرخ ذات البعل ياصاح

﴿ النساء الماجنات ﴾

قال سليمان بن عبدالملك انشدونى أحسن ماسمعتم من شعر النساء فقال بعضهم ياأمير المؤمنين سار رجل من الظرفاء فى بعض طرقاته اذ أخذته السماء فوقف تحت مظلة ليستكن من المطر وجارية مشرفة عليه فلما رأته حذفته بحجر فرفع رأسه وقال

لو بتفاحة رميت رجونا * ومن الرمى بالحصاة جفاء

فاجابته

ماجهلنا الذى ذكرت من الشكل ولا بالذى نراه خفاء

ودايته معها فقالت

قد بدا أنيه ماذكرت وجدى * ليت شعرى فهل لهذا وفاء

وسائلة فى الباب فقالت

قد لعمرى دعوتها فأجابت * هى داء وأنت منه شفاء

قال سليمان قاتلها الله هى والله اشعرهم

لقد جد الفراق وعيل صبرى * عشية عيرهم للبين زمت

(عنان جارية الناطفى) قال السلولى دخلت يوما على عنان وعندها رجل اعرابى فقالت ياعم لقد أنى الله بك . قلت وماذاك قالت هذا الاعرابى دخل على فقال بلغنى انك تقول الشعر فقولى بيتاً فقلت لها قولى فقالت قد ارتج على قل انت فقلت

فقال الاعرابى

نظرتُ إلى أواخرِها ضُحَيًّا * وقد بانتْ وأرضَ الشامِ أمّتْ

فقالت عنان

كتمتُ هواكمُ فى الصدرِ منى * على أنَّ الدموعَ علىَّ نمّتْ

فقال الاعرابى أنت والله اشعرنا ولولا انك بحرمة رجل لقبلتك ولكنى أقبل البساط وقال بعضهم دخلت على عنان فاذا عليها قميص يكاد يقطر صبغه وقد تناولها سيدها بضرب شديد وهى تبكى فقلت

إنَّ عينا أرسلتْ دمعَها * كالدُّرِّ إذ ينسلُّ من سِمْطِه

فقالت وأشارت الى مولاها

فليتَ من بَضَرِبها ظالما * تَجِفُّ يُمناهُ على سَوْطِه

فقال مولاها هى حرة لوجه الله ان ضربتها ظالما أو غير ظالم. قال واجتمع أبو نواس والفضل الرقاشى والحسين الخليع وعمرو الوراق ومحكم بن رزين والحسين الخياط فى منزل عنان فتناشدوا الى وقت العصر فلما أرادوا الانصراف قالوا أين نحن الليلة فكل قال عندى، فقالت عنان بالله قولوا شعرا وأرضوا بحكمى. فقال الرقاشى

عذيرَكِ ذاتَ أحرارٍ * إنى بها لا أحاشى
قوموا نداماىَ رَوَّوْا * مُشاشكمْ من مُشاشى
وناطِحونى كؤوسا * نِطاحَ صُلْبِ الكباشِ
وإنْ نكلتُ فخِلٌّ * لكمْ دمى وَرياشى

فقال أبو نواس

لا بلْ إلىَّ ثمانى * قوموا بنا بحيانى
قوموا نَلُذْ جميعا * بقولِ هاكِ وهاتِ
فإنْ أردتمْ فتاةً * أتيتكمْ بفتانى
وإنْ أردتمْ غلاما * صادفتمونى مُوَانى
فبادِروهُ مُجُوناً * فى وقتِ كلِّ صلاةِ

وقال الحسين الخليع

أنا الخليعُ فقوموا * إلى شَرابِ الخليعِ
إلى شرابٍ لذيذٍ * وأكلِ جَدْىٍ رضيعِ

ونيكِ أحوىٰ رخيم * بالخندريسِ صريع
قوموا تنالوا وشيكا * مثالَ ملكٍ رفيع

وقال الوراق

قوموا إلى بيتِ عمرٍو * إلى سماعٍ وخمرِ
وساقياتٍ علينا * تطاعُ في كلّ أمرِ
وبَيْسَرِيٍّ رخيمٍ * يزهو بجيدٍ ونحرِ
فذاكَ برٌّ وإنْ شئتمْ أتينا ببحرِ
هذا ولبسَ عليكم * أولىٰ ولا وقتُ عصرِ

وقال محكم بن رزين

قوموا إلى دارِ لهوٍ * وظلّ بيتٍ دفينِ
فيهِ من الوردِ والمرْ * زنجوشِ والياسمينِ
وريحِ مسكٍ ذكيٍّ * وجيدِ الزرجونِ
قوموا فصيروا جميعاً * إلى الفتى ابنِ رزينِ

فقال الحسين الخياط

قضتْ عنانُ علينا * بأنْ نزورَ حُسينا
وأنْ نقرَّ لديهِ * بالعصفِ والله عينا
فما رأيناكظرفِ الـ * ـحُسينِ فيما رأينا
قدْ قرَّبَ اللهُ منهُ * زيناً وباعدَ شينا
قوموا وقولوا أجزنا * ماقدْ قضيتِ علينا

وقالت عنان

مَهلا فديتُكَ مَهلا * عنانُ أحرىٰ وأولى
بأنْ تنالوا لديها * أسنىٰ النعيمِ وأحلىٰ
فإنَّ عندي حراما * منَ الشرابِ وحلاّ
لاتطمعوا في سوائي * منَ البريّةِ كلا
ياسادتي خبّروني * أجازَ حُكمي أمْ لا

فقالوا جميعاً . قدأجزنا حكمك وأقاموا عندها ، قال وكتبت عنان الى الفضل بن الربيع

كن لى هديت إلى الخليفة سلما * بورك تيا ابن وزيره من سلم
حث الامام على شرائى وقل له * ريحانة ذخرت لانفك فاشتم

وكانت عنان تتوقى أبانواس وتخاف مجونه وسفهه ، وفيها يقول

عنان يامن تشبه العينا * أنتم على الحب تلومونا
حسنك حسن لا يرى مثله * قد ترك الناس مجانينا

فتهيأت لابى نواس وتصنعت له الى أن صار اليها فرأى عندها بعض وجوه اهل بغداد فأحب أن يخجلها فقال لها

ما تأمرين لصب * يكفيه منك قطيره
فقالت إياى تعنى بهذا * عليك فاجلد عميره
فقال إنى أخاف ورب * على يدى من عبيره
فقالت عليك أمك . . . * فانها كندبيره

فأخجلته وشاع الخبر حتى بلغ الرشيد فاستظرفها وطلبها من الناطفى فحملت اليه فقال لها يا عنان ، قالت : لبيك ياسيدى ، فقال * ما تأمرين لصب *

قالت قد مضى الجواب فى هذا يا أمير المؤمنين ، قال بحياتى كيف قلت ، قالت قلت

إياى تعنى بهذا * عليك فاجلد عميرة

فضحك الرشيد وطلبها من مولاها فاستام فيها مالا جزيلا فردها

﴿ عريب جارية المامون ﴾

وأنتم أناس فيكم العذر شيمة * لكم أوجه شتى وألسنة عشر
عجبت لقلبى كيف يصبو اليكم * على عظم ما يلقى وليس له صبر

﴿ فضل الشاعرة ﴾ حدثنا القاسم بن عبد الله الحرانى قال كنت عند سعيد بن حميد الكاتب ذات يوم وقد اقتصد فأتته هدايا فضل الشاعرة الف جدى والف دجاجة والف طبق رياحين وطيب وعنبر وغير ذلك فلما وصل ذلك كتب اليها ان هذا يوم لا يتم سروره الا بك وبحضورك وكان من احسن الناس ضربا بالعود واملحهم صوتا واجودهم شعرا فاتته فضرب بينه و بينها حجاب واحضر قوما ندماءه ووضعت المائدة وجىء بالشراب فلما شربوا اقداحا اخذت عودها فغنت بهذا الشعر والصوت لها والشعر والابيات هذه

يامن أطلت تعرسى * فى وجهه وتنفسى
أفديك من متدلل * يزهو بقتل الانفس

هبنى أسأت وما أسا * ت بلى أقول أنا المسى
أحلفتنى أن لا أسا * رق نظرة فى مجلسى
فنظرت نظرة عاشق * أتبعتها بتنفسى
ونسيت أنى قد حلفت * فما يقال لمن نسى

وضربت أيضاً وغنت

عاد الحبيب إلى الرضا * فصفحت عما قد مضى
من بعد ما الصدود به * شيمت الخسود فعرضا
تعس البغيض فلم يزل * لصدودنا متعرضا
هبنى أسأت وما أسا * ت فمن أساءت لك الرضا

قال فأتى على يوم أسر من ذلك اليوم

﴿ صاحبة الفرزدق ﴾ ذكروا أن الفرزدق كان مع اصحاب له فاذا هو بجارية مع مولاها فقال لاصحابه هل أخجل لكم هذه ، قالوا : نعم ، فقال

إن لى . . . خبيثا * لونه يحكى الكميتا
لو يرى فى السقف صدعا * لتحول عنك بيتا
أو يرى فى الارض شقا * لغزا حتى يموتا

فقالت الجارية

زوجوا هذا بالف * وأرى ذلك قوتا
قبل أن ينقلب الدا * ء فلا يأتى ويؤتى

فخجل الفرزدق وانصرف (١)

﴿ صاحبة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى ﴾ قالت

عزمت على قلبى بأن أكتم الهوى * فضج ونادى إننى غير عاقل
فان حان موتى لم أدعك بغصتى * وأقررت قبل الموت أنك قاتلى

﴿ جارية البارقى ﴾ ذكروا أنها أنشدت فى مجلس عمرو بن مسعدة

يا أحسن العالم حتى متى * يرتفع الحب وانحط
وكيف منجاى وبحر الهوى * مذ حف بى ليس له شط

(١) فى هامش الاصل . . قيل ان هذه الرواية جرت بين أبى نواس وعنان جارية الناطفى والابيات تروى على غير هذا

فاجيبت يُدْرِكُكَ الوَصْلُ فتنجو به * أوْ يَقَعُ البَحْرُ فتنحَطْ

﴿المغنية المليحة﴾ قال على بن الجهم : كنت فى مجلس محمد بن عمرو بن مسعدة فأقبلت جارية كانها البدر ليلة التمام بلون كانه الدر فى البياض مع احمرار خدين كشقائق النعمان فسلمت فقال لى محمد يا أبا الحسن هذه الجنة التى كنتم توعدون ، فقالت

وما الوَعْدُ يا سُؤْلى وغايةَ مُنْيتى * فإنّ فؤادى من مَقالِكَ طائرُ

فقال لها محمد

أما وإلهِ العرشِ ما قلتُ سيّئاً * وما كان إلاّ أنّنى لك شاكرُ

فقال ابن الجهم

أمِسْكَ فدَيْتُكَ عَنْ عِتابِ محمّدٍ * فهوَ المصونُ لودّهِ المُتحاذِرُ

فأقبلت تحدثنا فاذا عقل كامل وجمال فاضل وحسن قائل ورد فاضل . لقد أقر الله عينا تراك ، فقالت : أقر الله اعينكم وزادكم سروراً وغبطة ثم اندفعت تغنى بنغمة لم أسمع أحسن منها

أرُوحُ بهمّ من هَواكَ مُبَرِّحٍ * أُناجى بهِ قلباً كثيرَ التفكُّرِ

عليكَ سلامٌ لا زيارةَ بيننا * ولا وَصْلَ إلاّ أنْ يشاءَ ابنُ مُعْمَرِ

فما زلنا يومنا ذلك معها فى الفردوس الاعلى وما ذكرتها بعد ذلك إلا اشتقت لها وأسفت عليها ، محمد بن حماد قال . كنا يوما عند اسحق بن نجيح وعنده جارية يقال لها شادن موصوفة بجودة ضرب العود وشجو صوت وحسن خلق وظرف مجلس وحلاوة وجه وأخذت العود وغنت

ظبيٌ تكاملَ فى نهايةِ حُسْنهِ * فزَها ببَهْجتهِ وناءَ بقَصْدِه

فالشمسُ تطلعُ من فرندِ جَبينهِ * والبدرُ يَغرقُ فى شقائقِ خدِّه

مَلَكَ الجمالَ بأسْرِهِ فكأنما * حُسنُ البريّةِ كلّها من عندِه

يارَبِّ هَبْ لى وصلَهُ وبقاءَهُ * أبداً فلستُ بعائشٍ من بعدِه

فطارت عقولنا وذهلت الباب من حسن غنائها وظرفها فقلت . يا سيدتى من هذا الذى تكامل فى الحسن والبهاء سواك ، فقالت

فإنْ تَبْحَثا تالتى عُيونٌ كثيرةٌ * وأضعفُ عنْ كِتمانهِ حين أكتُمُ

﴿ الاعرابيات ﴾

حدثنا ثعلب عن الفتح بن خاقان قال : لما خرج المتوكل الى دمشق كنت عديله فلما صرنا بقنسرين قطعت بنو سليم على التجار فأنهى ذلك اليه فوجه قائداً من وجوه قواده اليهم فحاصره فلما قربنا من القوم اذا نحن بجارية ذات جمال وهيئة وهي تقول

أميرُ المؤمنينَ نَما الينا * سُمُوَّ البدرِ مالَ به الغريفُ

فإنْ نَسلمْ فعفوَ اللهِ نرجو * وإنْ نُقتلْ فقاتِلُنا شريفُ

فقال لها المتوكل . أحسنت ، ماجزاؤها يافتح ، قلت العفو والصلة فأمر لها بعشرة آلاف درهم وقال لها . مرّي الى قومك وقولي لهم لا تردوا المال على التجار فانى أعوضهم عنه ، الاصمعي قال خرجت الى بادية فاذا أنا بخباء فيه امرأة قد نوت فلمت فاذا هي أحسن الناس وجها وأعدلهم قامة وأفصحهم لسانا فحار فيها بصري واعترتني خجلة فقالت ، ماوقوفك ، فقلت

هلْ عندَكمْ منْ تخيضِ اليومَ نشربُهُ * أمْ هلْ سبيلٌ إلى تقبيلِ عينيكِ

فلستُ أبغي سِوى عينيكِ منزلةً * أمْ هلْ تجُودي لنا عَضًّا بخدَّيكِ

أو ناذنينَ بريقٍ منكِ أرشفُهُ * أوْ لَمسِ بطنكِ أوْ تغميرِ ثدْيَيكِ

رُدّي الجوابَ على مَنْ زادهُ كلَفاً * تكريرُهُ الطرفَ في أجدالِ ساقيكِ

فرفعت رأسها الي وقالت ، ياشيخ ألا تستحي أرجع الى اهلك وأرغب في مثلك . وقال بعضهم رأيت أعرابية بالنباح فقلت لها . أتنشدين ، قالت نعم في مثلك ورب الكعبة ، قلت فأنشديني . فانشأت تقول

لا بارَكَ اللهُ فيمنْ كانَ يُخبِرُني * أنَّ المُحبَّ إذا ما شاءَ ينصرفُ

وجدُ المُحبِّ إذا ما بانَ صاحبهُ * وجدُ الصبيِّ تَذَيهِ أمُّهُ الكلفُ

قال قلت لها . أنشديني من قولك فقالت

بنفسي مَنْ هواهُ على التنائي * وطولُ الدهرِ موثَقُ جديدُ

ومنْ هو في الصلاةِ حديثُ نفسي * وعدلُ الروحِ عندي بلْ يزيدُ

فقلت لها ان هذا كلام من قد عشق . فقالت وهل يعرى من ذلك من له سمع وقلب ثم أنشدتني

ألا بابي واللهِ مَنْ ليسَ نافعي * بشيءٍ ولا قلبي على الوجدِ شاكرُهُ

ومَنْ كبدي نهفوا إذا ذُكرَ اسمهُ * بشيءٍ ومَن قلبي على النأي ذاكرُهُ

لهُ خفقانَ يرفعُ الجيبَ بالشجى * ويقطعُ أزرارَ الجرُبانِ ثائرُهُ

قال وكتب عمر بن أبي ربيعة الى امرأة بالمدينة

بَرَزَ البدرُ فى جوارٍ تهادى * مُخْطفاتِ الخُصورِ مُعْتجراتِ
فتنفستُ ثمَّ قلتُ لِبكرٍ * عجّلتْ فى الحياةِ لى حَيْبات
هلْ سبيلٌ إلى التى لا أبالى * بعدَها أنْ أموتَ قبلَ وفاتى

فاجابته

قدْ أتانا الرَّسولُ بالابياتِ * فى كتابٍ قدْ خُطَّ بالتُّرهاتِ
حائرُ الطرْفِ إنْ نظرْتَ وماطر * فُكَّ عنّدى بصادقِ النظراتِ
غُرَّ غيرى فقدْ عرفتُ لغيرى * عهدَكَ الخائنَ القليلَ الثباتِ

﴿ المتكلمات ﴾

حدث عمر بن يزيد الاسدى قال، مررت بخرقاء صاحبة ذى الرمة فقلت لها هل حججت قط، قالت . أما علمت أنى منسك من مناسك الحج مامنعك أن تسلم على أما سمعت قول عمك ذى الرمة

تمامُ الحجِّ أنْ تَقِفَ المطايا * على خرْقاءَ واضعةَ اللثامِ

فقلت لها، لقد أترفيك الدهر، قالت، أما سمعت قول العجيف العقيلى حيث يقول

وخرقاءُ لا تزدادُ إلا ملاحةً * ولوْ عُمِّرَتْ تعميرَ نوحٍ وجلّتِ

قال ورأيتها وان فيها لمباشرة وان ديباجة وجهها الطرية كانها فتاة وانها لتزيد يومئذ على المائة ولقد حدثت انه شبب بها ذو الرمة وهى ابنة ثمانين سنة، وحدث رجل من بنى أسد قال . أدركت ميا صاحبة ذى الرمة وكان الرجل أعور قال ورأيتها فى نسوة من قومها فقلت أهذه مىّ وأومأت اليها فقلن نعم فقلت ما ادرى ما كان يعجب ذا الرمة منك وما أراك على ما كان يصف فتنفست الصعداء وقالت انه كان ينظر الى بعينين وأنت تنظر الى بعين واحدة وروى الاصمعى عن رجل من اهل الشام قال . قدمت المدينة فقصدت منزل ابن هرمة فاذا بنية له تلعب فقلت لها ما فعل أبوك، قالت وفد الى بعض الاخوان، قلت فانحرى لنا ناقة فانا أضيافك، قالت ياعماه والذى خلقك ماعندنا شىء، قلت فباطل ماقال أبوك، قالت فما قال، قلت قال

كم ناقةٍ قدْ وجأتُ مَنْحَرَها * لِمُستهلِّ الشؤبوب أوْ جملِ

قالت ياعماه فذلك القول من ابى أصارنا الى أن ليس عندنا شىء، قال وأنى زياد الاقطع باب الفرزدق وكان له صديقا فخرجت اليه ابنة الفرزدق وكانت تسمى مكية وأمها حبشية فقال لها ما اسمك قالت مكية قال ابنة من قالت ابنة الفرزدق قال فأمك قالت حبشية فأمسك عنها فقالت

مابال يدك مقطوعة قال قطعها الحرورية قالت بل قطعت فى اللصوصية قال عليك وعلى أبيك لعنة الله ، وجاء الفرزدق فاخبر بالخبر فقال أشهد انها ابنتى ، وأنشأ يقول

حام إذا ما كنتَ ذا حَمِيَّه * بدارمىّ بنتُهُ صَبِيَّه

صَمَخْمَخٍ مثلَ أبى مَكِنَّه

وحدث سليمان بن عباس السعدى قال . كان كثيّر يلقى حاج أهل المدينة بقديد على ست مراحل فيفعل عاما من الاعوام غير يومهم الذى نزلوا فيه فوقف حتى ارتفع النهار فركب جملا فى يوم صائف ووافى قديداً وقد كلّ بعيره وتعب فوجدهم قد ارتحلوا وقد بقى فتى من قريش فقال الفتى لكثيّر اجلس قال فجلس كثير الى جنبى ولم يسلم على فجاءت امرأة وسيمة جميلة فجلست الى خيمة من خيام قديد واستقبلت كثيراً فقالت أنت كثير ، قال نعم ، قالت أنت ابن أبى جمعة قال نعم ، قالت أنت الذى تقول

وكنتُ إذا ماجئتُ أجلانَ مجلسى * وأضمرْن منى هيبة لا تَجَهُّما

قال نعم قالت فعلى هذا الوجه هيبة ان كنت كاذبا فعليك لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قال فضجر كثير وقال ومن أنت فسكتت ولم تجبه بشى فسأل الموالى التى فى الخيام عنها فلم يخبرنه فضجر واختلط عقله فلما سكن قالت أنت الذى تقول

مَتى تَنْشُرا عنى العمامةَ تُبْصِرا * جميلَ المُحَيَّا أغفلتْهُ الدّواهِنُ

أهذا الوجه جليل ان كان كاذبا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فاختلط وقال لو عرفتك لفعلت وفعلت فلما سكن قالت له أنت الذى تقول

يُروقُ العُيونَ الناظراتِ كأنه * هِرَقْلىٌّ وَزْنٍ أحمرُ التبر راجحُ

أهذا الوجه الذى يروق الناظرات ان كنت كاذبا فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، قال فازداد ضجراً واختلط وقال لو عرفتك والله لقطعتك وقومك هجاء ثم قام فانبعته طرفى حتى توارى عنى ثم نظرت الى المرأة فاذا هى قد غابت عنى فقلت لمولاة من بنات قديد لله على ان اخبرتينى من هذه المرأة ان اطوى لك ثوبى هذين اذا قضيت حجى ثم أعطيكهما فقالت والله لو أعطيتنى زنتهما ذهباً ما أخبرتك من هى هذا كثير مولاى لم اخبره قال القرشى فرحت وبى أشد مما بكثير ، قيل وقدم كثير الكوفة وكان شيعياً من أصحاب محمد بن الحنفية فقال دلونى على منزل قطام قيل له . وما تريد منها قال أريد ان أو بخها فى قتل على بن أبى طالب صلوات الله عليه فقيل له عد عن رأيك فان عقلها ليس كعقول النساء قال لا والله لا انتهى حتى أنظر اليها واكلمها فخرج يسأل عن منزلها حتى دفع اليها فاستأذن فأذنت له فرأى امرأة برزة قد تخددت وقد حنا الدهر من قناتها

فقالت من الرجل قال كثير بن عبد الرحمن قالت التميمى الخزاعى قال التميمى الخزاعى . ثم قال لها انت قطام قالت نعم قال أنت صاحبة على بن أبى طالب صلوات الله عليه قالت بل صاحبة عبد الرحمن بن ملجم قال اليس هو قتل علياً قالت بل مات باجله قال والله انى كنت احب ان اراك فلما رايتك نبت عينى عنك ومقتك قلبى ولا احولت فى صدرى قالت انت والله قصير القامة صغير الهامة ضعيف الدعامة كما قيل لان تسمع بالمعيدى خير من ان تراه فانشأ كثير يقول

رأت رجلاً أودى السفار بجسمه * فلم يبق إلا منطق وجناجن

قالت . لله درك ما عرفن الا بعزة تقصيرا بك قال . والله لقد سار لها شعرى وطار بها ذكرى وقرب من الخلفاء مجلسى وانها لكما قلت فيها

وإن خفيت كانت لعينيك قرة * وإن تبدو مالم يعمك عارها
من الخفرات البيض لم ترشقوة * وفى الحسب المحض الرفيع نجارها
فما روضة بالحزن طيبة الثرى * يمج الندى جنباتها وعرارها
بأطيب منها إذا جئت طارقا * وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

قالت : والله ما سمعت شعراً أضعف من شعرك هذا والله لو فعل هذا نزيحة طاب ريحها الا قلت : كما قال امرؤ القيس

ألم ترانى كلما جئت طارقا * وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

قال فتقدر بلادك وخرج وهو يقول

ألحق أبلج لا تزيغ سبيله * والحق يعرفه ذوو الالباب

قال ، وقال المسيب راوية كثير انطلق كثير مرة فقال لى هل لك فى عكرمة ابن عبد الرحمن بن هشام وهو يومئذ على حنظلة بن عمرو بن تميم فقلت نعم قال فخرجنا نريده حتى اذا صدرنا عن المدينة اذا نحن بامرأة على راحلة تسير فسرت حذاءها فقالت انروى لكثير شيأ قلت نعم قالت أنشدنى فانشدتها من شعره فقالت أين هو قلت هو ذاك الذى ترين على غير الطريق فقالت بعد أن دنت منه قاتل الله زوج عزة حيث يقول

لعمرك ما رب الرباب كثيرة * بفحل ولا آباؤه بمحول

فغضب كثير وسار وتركها ثم نزل منزلا فجاءت جارية لها تدعوه فابى كثير أن يأتيها فقالت ما رأيت مثلك قط امرأة مثل هذه ترسل اليك فتأبى عليها فلم أزل به حتى اتاها قال فسفرت عن وجهها فاذا هى اجمل الناس وأكملهم ظرفا وعقلا واذا هى غاضرة ام ولد بشر بن مروان فصحبناها حتى كنا بزبالة فقالت بنا الطريق فقالت له هل لك ان تأتى الكوفة فاضمن لك على بشر

الصلة والجائزة فابى وامرت له بخمسة آلاف درهم ولى بالفين فلما اخذنا الخمسة آلاف قال ما اصنع بكرمة وقد اصبت ما ترى فذلك قوله حيث يقول

شجا أظمانُ غاضرةَ الغوادى * بغيرِ مشورةٍ عوضاً فؤادى
أغاضرَ لو رأيت غداةَ بنمْ * حُنُوَّ العائداتِ على وسادى
رَثَيتِ لعاشقٍ لم تشكميهِ * جوانحُهُ تلذَّعُ بالزنادِ

ـ الشكمة ـ العطية و ـ الزناد ـ جمع زند وهو عود يقدح منه النار قال الحكم ابن صخر الثقفى حججت فرأيت باقرة امرأتين لم اركجمالهما وظرفهما وثيابهما فلما حججت وصرنا باقرة اذا انا باحدى الجاريتين قد جاءت فسالت سؤال منكر فقلت . فلانة قالت فداك ابى وامى رايتك عاما اول شابا سوقة والعام شيخا ملكا وفى وقت دون ذلك ما تنكر المرأة صاحبها فقلت ما فعلت اختك فتنفست الصعداء وقالت قدم علينا ابن عم لنا فتزوجها فخرج بها الى نجد فذاك حيث اقول

إذا ما قلتُ نحوَ نجدٍ وأهلهِ * فحسبى من الدنيا القفولُ إلى نجدِ

فقلت اما انى لو ادركت تزوجتها قالت فداك ابى وامى فما يمنعك من شريكتها فى حسنها وشقيقتها فى حسبها قلت قول كثير

إذا وصلتنا خُلَّةٌ كى تُزيلَنا * أبَيْنا وقلنا الحاجبيَّةُ أوَّلُ

قالت : وكثير بينى وبينك أليس هو الذى يقول

هلْ وصلُ عزَّةَ إلا وصلُ غانيةٍ * فى وصلِ غانيةٍ من وصلها خلفُ

قال فتركت جوابها ولم تمنعنى منه الا الحى

﴿ محاسن النساء ﴾

قيل ، أحسن النساء الرقيقة البشرة النقية اللون يضرب لونها بالغداة الى الحمرة وبالعشى الى الصفرة ، وقالت العرب المرأة الحسناء أرق ما تكون محاسن صبيحة عرسها وأيام نقاسها وفى البطن الثانى من حملها ، وقيل لاعرابى أتحسن صفة النساء ، قال نعم اذا عذب ثناياها وسهل خداها ونهد ثدياها وفعم ساعداها والتف فخذاها وعرض وركاها وجدل ساقاها فتلك هم النفس ومناها ووصف اعرابى امرأة . . فقال : كان وجهها الستم لمن رآها والبرء لمن ناجاها . . وذكر اعرابى امرأة فقال أرسل الحسن الى خديها صفائح نور ورشق السحر عن لحظها بأسهم حداد ولقد تأملت فوجدت للبدر نوراً من بعض نورها . وذكر اعرابى امرأة فقال هى شمس تباهى بها شمس سمائها وليس لى شفيع اليها غيرها فى اقتضائها ولكنى كتوم لفيض النفس عند امتلائها . وذكر اعرابى امرأة فقال ما احسن من حبها نعاسا ولا انظر اليها الا اختلاسا وكل امرئ منها يرى

ما أحب وذكر اعرابى امرأة فقال لها جلد من لؤلؤ رطب مع رائحة المسك الازفر فى كل عضو منها شمس طالعة ومما جاء فى الحسن من الشعر . . قال عبد الله بن المعتز انشدنى ابو سهل اسماعيل بن على لابى الصواعق

ومريض طرف ليس يصرف طرفه * نحو المدى إلا رماه بحتفه
ظبى له نظر ضعيف كلما * قصد القوى أتى عليه بضعفه
قد قلت لما مر يخطر مائسا * والرد ف يجذب خصره من خلفه
يامن يسلم خصره من ردفه * سلم فؤاد محبه من طرفه

فقلت فى هذا المعنى وعلى هذا الوزن

وحياة من جرح الفؤاد بطرفه * لاحبرن قصائدى فى وصفه
قمر به قمر السماء متيم * كالغصن يعجب نصفه من نصفه
إنى عجبت لخصره من ضعفه * ماذا تحمل من ثقالة ردفه
هذا وما أدرى بأية فتنة * جرح الفؤاد بلطفه أم ظرفه
أم بالدلال أم الجمال أم الضيا * من وجهه أم بالقفا من خلفه

وأنشد أبو الحسين بن فهم لابى نواس

كفاك ما مر على راسى * من شادن قطع أنفاسى
أكثر ما أبلغ فى وصفه * تحيرى من قلبه القاسى
أغار أن أنعت منه الذى * ينعته الناس من الناس
ولم أر العشاق قبلى رأوا * بوصف من يهوون من باس
كل أحاديثى نعت له * منه كشف منى لجلاسى

فقلت فى هذا المعنى وهذا الروى والوزن

لو عشر ما مر على راسى * مر بصلد حجر قاسى
لانصدعت منه صدوع كما * صدع قلبى طول وسواسى
ياغصن آس ومحال إذا * قصرت تشبيهك بالآس
ماذا على طرفك لو أنه * أعار لحظا منه قرطاسى
ليتك علمت بطل دمى * تقطع رجائى منك بالياس

وقال آخر

وزائرة تحتثها الشوق طارقه * أتتنا من الفردوس لاشك آبقه
اذا ماتثنت قال للريح قدها * كذا حركى الاغصان ان كنت صادقه

وقال آخر

قد أقبل البدر فى قراطقه * يسلب بالدل قلب عاشقه
بسطوا عليه بسيف مقلته * لا بالذى شد فى مناطقه

وقال آخر

قل للملاح الحدق * وللحسان الخلق
هل فى فؤادى للقوى * أو جسدى شئ بقى
ان لم ترقوا عطشى * نخلا فبلوا رمقى
يا مقلة أجفانها * محشوة بالارق
بقيت فى رق الهوى * شفية فيمن شقى

وقال آخر

يا ملاح الدلال والاغتناج * ما أرى القلب من هواك ناجى
أنت زرفنت فوق خدك صدغا * من عبير على صفائح عاج
أشرقت وجنتاك بالنور حتى * أغنتا الخلق عن ضياء السراج
فعلت مقلتاك بالقلب منى * فعلة القرمطى بالحجاج
يا هلالا انست منه بضوء * جنح ليل من الظلام الداجى

وقال آخر

نشرت غدائر فرعها تتطلسنى * حذر العيون من العيون الرمق
فكانها وكانه وكاننى * صبحان باتا تحت ليل مطبق

وقال آخر

يا غزالا وهلالا * وقضيبا وكثيبا
كم وكم أضمر وجدا * بك مكتوما عجيبا
كيف يرجى برء من قد * كتم الداء الطبيبا

وقال آخر

شمسٌ ممثلةٌ فى خلق جاريةٍ * كأنما بطنها طىّ الطوامير
فالجسمُ من جوهرٍ والشعرُ من سبجٍ * والثغرُ من لؤلؤٍ والوجهُ من عاج

وقال آخر

تتيجُ دلالٍ حارَ فى حُسنه الطرفُ * ففكرتُه قبرٌ ومَنطقُه لطفُ
بديعُ جمالٍ زانهُ العقلُ والظرفُ * سماويُّ لونٍ لا يُحيطُ به وصفُ
لهُ ريقةٌ عُلّتْ بماءِ قرنفلٍ * يُمازجها التفّاحُ والخمرةُ الصِرفُ
تجسّمَ فى جسمٍ منَ النورِ ساطعٍ * تمكّنَ فى دعصٍ ينوءُ به ردفُ
على صحنِ خدّيهِ بهارٌ منوّرٌ * ووَرْدٌ جنىٌّ لا يليقُ به القطفُ
تكاملَ فيهِ الحُسنُ والنورُ والبها * كبدرِ الدُجى إذ تمّ من شهرِه النصفُ
يراهُ إلهى لى عذاباً وفتنةً * فما عندهُ عدلٌ ولا عندهُ عطفُ

وقال آخر

لكَ من قلبىَ المكانُ المصونُ * كلُّ لومٍ على فيكَ هونُ
قدّرَ اللهُ أن أكونَ شقيًّا * بكَ والصبرُ عنكَ مالا يكونُ
يا غزالا بلحظهِ يفتنُ النا * سَ وفى طرفهِ الرّدى والمنونُ
لكَ صبرٌ وليسَ لى عنكَ صبرٌ * فانا اليومَ هائمٌ محزونُ
قد خلعتُ العذارَ فيكَ حبيبى * ما أبالى بما رمتنى الظنونُ

وقال آخر

يا نظرةً جاءت على ياسِ * منْ ساحرِ المُقلةِ مَيّاسِ
أطرافُه تُعقدُ من لينها * وقلبُهُ كالحجرِ القاسى
يلومنى الناسُ على حُبهِ * أعاننى اللهُ على الناسِ

وقال آخر

يا ويحَ جسمٍ يذوبُ من قلقه * من حُبِّ من لم أقفْ على خُلقهِ
من حُبِّ ظبىٍ مهفهفٍ لبقٍ * يهتزُ مثلَ القضيبِ فى وَرقهِ
لم ترَ عينى ولن ترى أبداً * أحسنَ من نحره ومن عنقهِ
كأنما المسكُ حينَ تسحقُه * بماءِ وردٍ يفوحُ من عرقهِ
أو خمرةٌ فى الزُجاج صافيةٌ * شيبتْ بماءِ السحاب فى نسقهِ

وقال آخر

أربعةٌ قرّحتْ فؤادى * فطالَ وَجدى وعيلَ صبرى
مُقلةُ خِشفٍ وقدُّ غصنٍ * وطيبُ وردٍ وحُسنُ بدرِ
نفسى ومالى فداءُ ظبى * أذابَ جسمى وليسَ يدرى
فمَنْ لِصَبٍ أسيرِ شوقٍ * قتيلِ صَدٍّ بسيفِ هجر

وقال آخر

وما ريحُ ريحان بمسك وعنبرٍ * يُعلُّ بكافور ودُهنةِ بانِ
باطيبَ من ريا حبيبي لو انّنى * وَجدتُ حبيبي خالياً بمكان

﴿ محاسن التزويج ﴾

روى أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال . يارسول الله انى اريد أن اتزوج فادع الله ان يرزقنى زوجة صالحة . فقال . لودعا لك جبريل وميكائيل وأنا معهما ما تزوجت الا المرأة التى كتب الله لك فانه ينادى فى السماء الا ان امراة فلان بن فلان فلانة بنت فلانة . وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالابكار فانهن اطيب افواها وانتق ارحاماً . وقال عمر رضى الله عنه عليكم بالابكار واستعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر . قال الشاعر

لا تنكحنّ عجوزاً إنْ دُعيتَ لها * وإنْ حييتَ على تزويجها الذّهبا
فإنْ أتوك وقالوا انها نصفٌ * فإنّ أطيبَ نِصفيها الذى ذهبا

وقال آخر

عليك اذا ما كنتَ لابدّ ناكحاً * ذواتُ الثنايا الغُرّ والاعين النُّجْلِ
وكلُّ هضيم الكشح خفاقةِ الحشا * قطوف الخُطا بلهاءَ وافرةَ العقل

وقال الحارث بن كلدة لاتنكحوا من النساء الا الشابة ولا تأكلوا من الحيوان الا الفتى ولا من الفاكهة الا النضيج ، وقال مغيرة بن شعبة حصنت تسعا وتسعين امرأة ما أمسكت واحدة منهن على حب ولكنى أحفظها لمنصبها وولدها فكنت استرضيهن بالباه شابا فلما ان شبت وضعفت عن الحركة استرضيتهن بالعطية ، وقال بعضهم لذة المرأة على قدر شهوتها وغيرتها على قدر لذتها ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . انه قال انما النساء لعب فاذا تزوج أحدكم فليستحسن وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال . تزوجها سمراء ذلفاء عيناء فان فركتها فعلى

صداقها وقال الحجاج بن يوسف من تزوج قصيرة فلم يجدها على ما يريد فعلى صداقها ، وروى عن علي صلوات الله عليه ان رجلا أتاه فقال انى تزوجت امرأة مجنونة فقالت المرأة يا أمير المؤمنين انه ياخذني عند الجماع غشية ، فقال للرجل قم ما أنت لها باهل . وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . إياكم وخضراء الدمن وهي المرأة الحسناء في المنبت السوء وقال بعضهم لا تتزوجن حنانة ولا أنانة ولا منانة ولا عشبة الدار ولا كية القفا — فاما الحنانة — فالتي قد تزوجها رجل من قبل فهي تحن اليه — والأنانة — التي تأن من غير علة — والمنانة — التي لها مال تمتن به — وعشبة الدار — الحسناء في أصل السوء — وكية القفا — التي اذا قام زوجها من المجلس قال الناس فعلت امرأة هذا كذا وفعلت كذا ، وقال محمد بن علي رضي الله عنهما اللهم ارزقني امرأة تسرني اذا نظرت وتطيعني اذا أمرت وتحفظني اذا غبت ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ، اذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه ان ينظر اليها وان كانت لا تعلم ، وقال بعض الشعراء في تزويج الشبه

إذا أردت حرة تبغيها * كريمة فانظر إلى أخيها
ينبيك عنها وإلى أبيها * فإن أشباه أبيا فيها

وقال آخر

إذا كنت مزنادا لنفسك أيما * لتجلك فانظر من أبوها وخالها
فإنهما منها كما هي منهما * كما النعل إن قيست بنعل مثالها

وقال آخر

إذا كنت عن عين الصبية باحثا * فابصر ترى عين الصبي فذالكا

قال خالد بن صفوان لدلال . أطلب لي امرأة بكرا أو ثيبا كبكر حصانا عند جارها ماجنة عند زوجها قد أدبها الغنى وذللها الفقر لا ضرعة صغيرة ولا عجوزا كبيرة قد عاشت في نعمة وأدركتها حاجة لها عقل وافر وخلق طاهر وجمال ظاهر صلتة الجبين سهلة العرنين سوداء المقلتين خدلجة الساقين لفاء الفخذين نبيلة المقعد كريمة المحتد رخيمة المنطق لم يداخلها صلف ولم يشن وجهها كلف ريحها أرج ووجهها بهج لينة الاطراف ثقيلة الارداف لونها كالورق وثديها كالحق أعلاها عسيب وأسفلها كثيب لها بطن مخطف وخصر مرهف وجيد أتلع ولب مشبع تثنى ثنى الخيزران وتميل ميل السكران حسنة المساقى في حسن البراق لا الطول ازرى بها ولا القصر ، قال الدلال : استفتح أبواب الجنان فانك سوف تراها ، وقال أيضا . لا تتزوج واحدة فتحيض اذا حاضت وتنفس اذا نفست وتعود اذا عادت وتمرض اذا مرضت ولا تتزوج اثنتين فتقع فيما

بين الحمرتين ولا تزوج ثلاثا فتقع بين اثافى ولا تزوج أربعا فيحقرنك ويهرمنك ويفلسنك ، فقال له رجل ، حرمت ما أحل الله ، فقال ، طمران وكوزان ورغيفان وعبادة الرحمن ، وعن صالح بن حسان قال ، رأيت امرأة بالمدينة يقال لها حواء وهى التى علمت نساء المدينة النقع وهو النخر والحركة والغربلة والزهز وكانت لها ستيفة تتحدث اليها رجالات قريش ولم يكن فى المدينة أهل بيت الا وتأخذ صبيانهم وتمصهم ثديها أو ثدى احدى بناتها فكان أهل المدينة يسمونها حواء ولم يكن بالمدينة شريف ممن يجلس فى ستيفتها الا واوصل اليها فى السنة ثلاثين وسقا وأكثر من طعام وتربع الدنانير والدراهم والخدم والكساء فجاءها ذات يوم مصعب بن الزبير وعمرو بن سعيد بن العاص وابن لعبد الرحمن بن أبى بكر فقالوا لها يا خالة قد خطبنا نساء من قريش ولسنا ننتفع الا بنظرك اليهن فارشدينا بفضل علمك فيهن فقالت لمصعب يا ابن أبى عبد الله ومن خطبت قال عائشة بنت طلحة قالت فانت يا ابن الصديق قال ام القاسم بنت ذكريا ابن طلحة قالت فانت يا ابن اخى احيحة قال زينب بنت عمرو بن عثمان فقالت يا جارية على بمنقلى — تعنى خنثيها — فاتتها بهما فخرجت ومعها خادم لها فاتت عائشة بنت طلحة فقالت مرحبا بك يا خالة فقالت يا بنية انا كنا فى مادبة لقريش فلم تبق امرأة لها جمال الا ذكرت وذكرجمالك فلم أدر كيف أصفك فتجردى لانظرك فالقت درعها ثم مشت فارتج كل شئ منها ثم أقبلت على مثل ذلك فقالت فداك ابى وامى خذى ثوبيك وانتهن جميعا على مثل ذلك ثم رجعت الى الستيفة فقالت يا ابن أبى عبد الله ما رايت مثل عائشة بنت طلحة قط ممثلة الترائب زجاء العينين هدبة الاشفار مخطوطة المتنين ضخمة العجزة لفاء الفخذين مسرولة الساقين واضحة الغرنقية الوجه فرعاء الشعر الا انى رأيت خلتين هما أعيب ما رأيت فيها اما احداهما فيواريها الخف وهى عظم القدم والاخرى يواريها الخمار وهى عظم الاذن وأما أنت يا ابن أحيحة فما رأيت مثل زينب بنت عمرو فراهة قط الا ان فى الوجه ردة ولكنى مشيرة عليك بأمر تستأنس اليه وهى ملاحة تعتريها وأما أنت يا ابن الصديق فوالله ما رأيت مثل ام القاسم ما شبهتها الا بخوط بانة تنثنى أو خشف يتقلب على رمل ولم أرها الا فوق الرجل واذا زادت على الرجل المرأة لم تحسن لا والله الا من علا المنكبين فزوجوهن وقال اعرابى فى أخت له تزوجت بغير كفؤ

ولو ركبت ما حرم الله لم يكن * باقبح عند الله مما استحلت

قال . وكان بالمدينة رجل قد أعطى جودة الرأى ولم يكن فيها من يريد ابرام أمر الا شاوره فاراد رجل من قريش أن يتزوج فاتاه فقال انا أريد أن أضم الى أهلا فاشر على قال افعل تحصن دينك وتصن مؤونتك وإياك والجمال البارع قال ولم نهيتنى وانما هو نهاية ما يطلب الناس قال لانه ما فاق الجمال الا لحقه قول أما سمعت قول الشاعر

ولن تصادف مرعى مونقاً أبداً * إلا وجدت به آثار ما أكل

قيل وكانت جارية من بنات الملوك تكره التزويج فاجتمع عندها نسوة فتذاكرن التزويج وقلن لها ما يمنعك منه قالت وما فيه من الخير. قلن وهل لذة العيش الا في التزويج. قالت فلتصف كل واحدة منكن ما عندها فيه من الخير حتى أسمع. فقالت احداهن زوجي عوني في الشدائد وهو عائدي دون كل عائد ان غضبت عطف وان مرضت لطف. قالت نعم الشيء هذا. قالت الاخرى زوجي لما عناني كاف ولما أسقمني شاف عرقه المسك المداف وعناقه كالخلد ولا يمل طول العهد. قالت هذا خير منه. قالت الاخرى زوجي الشمار حين أبرد وأنيسي حين أفرد. فزوجت فقلن لها. يافلانة كيف رأيت. قالت. أنعم النعيم وسروراً لا يوصف ولذة ليس منها خلف

﴿ أمثال في التزويج ﴾

قيل أن أول من قال * لاهنك أنقيت ولا ماءك أبقيت * الضب بن أروى الكلاعي وذلك انه خرج من أرضه فلما سار أياما حار في تلك المفاوز التي تعسفها وتخلف عن أصحابه وبقي فردا يعسف فيها ثلاثة أيام حتى دفع الى قوم لا يدري من هم فنزل عليهم وحدثهم وكان جميلا وان امرأة من أفاضل أولئك دويته فارسلت اليه أن أخطبني فخطبها وكانوا لا يزوجون الا شاعراً أو رجلا يزجر الطير أو يعرف عيون الماء فسألوه فلم يحسن شيئا من ذلك فلم يزوجوه فلما رأت المرأة ذلك زوجته نفسها على كره من قومها فلبث فيهم ما لبث ثم ان رجلا من العرب أغار عليهم في خيل فاستأصلهم فتطير وابضب وأخرجوه وامرأته وهي ظامئة فانطلقا واحتمل ضب شيئاً من ماء ومشيا يوما وليلة الى الغد حتى اشتد الحر وأصابهما عطش شديد فقالت له ادفع الى السقاء حتى اغتسل به فانا ننتهي الى الماء ونستقي فاغتسلت بما في السقاء ولم يقم منها موقعا وأتيا العين فوجداها ناضبة وأدركهما العطش فقال ضب. لاهنك أنقيت ولا ماءك أبقيت. فذهبت مثلا ثم استظلا تحت شجرة كبيرة: فانشأ ضب يقول

تالله ما ظلة أصاب بها * سواد قلبي قارع العطب
ظل كئيب الفؤاد مضطرباً * وتكتسي من غدائر قلب
أن يعرف الماء تحت صم صفا * أو يخبر الناس منطق الخطب
أخرجني قومها بأن رحا * دارت بشؤم لهم على قطب

فلما سمعت ذلك فرحت وقالت قم فارجع الى قومي فانك شاعر فانطلقا راجعين حتى انتهيا اليهم فاستقبلوهم بالسيف والعصا فقال لهم ضب اسمعوا شعري ثم ان بدا لكم أن تقتلوني بعد

فافعلوا فتركوه فصار فيهم عزيزا ، وقيل ان أول من قال * في الصيف ضيعت اللبن *

قتول بنت عبد وكانت تحت رجل من قومها فطلقها وانها رغبت في أن يراجعها فابى عليها فلما يئست خطبها رجل يقال له عامر بن شوذب فتزوجها فلما بنى بها بعد الزوج الاول مر اجعتها وهوى بها هوى شديدا فجاء بطابها ويرنو بنظره اليها فقطنت به فقالت

أتركتني حتى إذا * علقتُ أبيضَ كالشطنْ
أنشأتَ تطلبُ وصلنا * في الصيفِ ضيعتَ اللبنْ

فذهبت مثلا فقال لها زوجها الاول واسمه الاشق فهل بقي شئ قالت نعم فاصله عن جميع مالك وطلاقي فان فعلته تزوجتك فرضي بذلك ثم راجع نفسه فقال لها ذلك فقالت أما اذا ضمنت بمالك فانطلق الى مكان اذا أنت تكلمت سمع زوجي كلامي وكلامك ثم اقعد كانك لا تشعر به وقل

لحا اللهُ بنتَ العبدِ إنّ وصالها * وصالٌ مَلولٌ لا تدومُ على بَعلِ
تحدّثني أنْ سوفَ تقتلُ عامرا * لانْ لمْ يكنْ في مالِ عامرٍ مثلي
فهيهاتَ تزويجُ التي تقتلُ الفتى * إذا ما أبتْ يوماً وإنْ كانَ منْ أجلي
فتقتلُني يوماً إذا هويتْ فتىً * سِوايَ وانّ اليومَ منْ وصلها بُجلي

فانطلق الاشق ففعل ما أمرته به فسمعه عامر فوقع في قلبه قوله وقد كان عرف حبها له فصدق ذلك ودخل عليها فطلقها وتزوجها الاشق ، وذكروا أن بطنا من قريش اشتدت عليهم السنة وكانت فيهم جارية يقال لها زينب من أكمل نسائهم جمالا وأتمهن تماما وأشرفت فرآها شاب يقال له عروة فوقعت في قلبه فجعل يطالعها ولا يقدر على أكثر من ذلك فاشتد وجده بها فلما انقضت السنة وأرادوا الرجوع الى منازلهم دعا بعض جواري الحي فقال يا ابنة الكرام هل لك في يد تتخذين بها عندي شكرا قالت ما أحوجني الى ذلك ، قال تنطلقين الى خيمة فلانة كانك تقتبسين نارا فاذا أنت جلست فقولي حيث تسمع زينب

ألا هلْ لنا قبلَ التفرّقِ ليلةٌ * ويومٌ فتقضى كلّ نفسٍ مُناها

فانطلقت الجارية ففعلت ذلك فلما سمعت زينب قولها وكانت تخلي رأس زوجها وكان عنده أخ له. فقالت مجيبة لها

لعمْري لقدْ طالَ المقامةُ هاهُنا * لوانّ لحبٍّ حاجةٌ لقضاها

فسمع أخو الزوج قول الجارية وجواب زينب فقال

ألا يعلمُ الزّوجُ المقلّى بأنها * رسالةُ مشغوفِ الفؤادِ رجاها

فانتبه الزوج لامرهم وعرف ما أرادت فقال

لحى الله من لا يستقيم بوده * ومن يمنح النفس اطروب هواها

انطلق يا زينب فانت طالق فخرجت من عنده وبعثت الى عروة فأعلمته وأقامت حتى انقضت عدتها ثم تزوجته

— فى الناشزة —

ذكروا أن الاخطل كانت عنده امرأة وكان بها معجبا فطلقها وتزوج بطلقة رجل من بنى تغلب وكانت بالتغلبى معجبة فبيناهى ذات يوم جالسة مع الاخطل اذ ذكرت زوجها الاول فتنفست الصعداء ثم ذرفت دموعها فعرف الاخطل ما بها فذكر امر أنه الاولى وأنشأ يقول

كلانا على وجد ببيت كانما * بجنبيه من مس الفراش قروح

على زوجها الماضى تنوح وزوجها * على الطلقة الاولى كذاك ينوح

قيل، وخاصمت امرأة زوجها الى زياد فجعلت تعيبه وتقع فيه، فقال الزوج. أصلح الله الامير ان شر المرأة كبرها ان المرأة اذا كبرت عقم رحمها وبذأ لسانها وساء خلقها والرجل اذا كبر استحكم رأيه وقل جهله، قال صدقت وحكم له بها، وذكروا أن امرأة أتت عبيد الله بن زياد وكانت ذات شحم وجسم وجمال مستعدية على زوجها وكان أسود دميم الخلقة فقال. ما بال هذه المرأة تشكوك، قال أصلح الله الامير سلها عما ترى من جسمها وشحمها أمن طعامى أم من طعام غيرى، قالت من طعامك أفتمن على بطعام أطعمتنيه والكلاب تأكل. قال سلها عن كسوتها من مالى هى أم من مال غيرى. قالت من مالك أفتمن على بثوب كسوتنيه قال وسلها عما فى بطنها منى هو أم من غيرى. قالت منك وددت أنه فى بطنى من كلب. قال الرجل أصلح الله الامير فما تريد المرأة الا أن تطعم وتكسى وتنكح. قال صدقت فخذ بيدها. قال خرج رجل مع قتيبة بن مسلم الى خراسان وخلف امرأة يقال لها هند من أجل نساء زمانها فلبث هناك سنين فاشترى جارية اسمها جمانة وكانت له فرس يسميه الورد فوقعت الجارية منه موقعا فانشأ يقول

ألا لا أبالى اليوم ما فعلت هند * إذا بقيت عندى الجمانة والورد

شديد مناط القصربين إذا جرى * وبيضاء مثل الرئم زينها العقد

فهذا لايام الهياج وهذه * لحاجة نفسى حين ينصرف الجند

فبلغ ذلك هند فكتبت اليه

ألا أقرئ منى السلام وقل له * عنينا بفتيان غطارفة مرد

فهذا أميرُ المؤمنين أميرُهم * سَباناوأغنا كم أراذلةَ الجُندِ
إذاشاءَ منهم ناشئٌ مدَّ كفَّهُ * إلى كبدٍ ملساءَ أوكفل نهدِ

فلماقرأ كتابها أتى به الى قتيبة فأعطاه اياه فقال له أبعدك الله هكذا يفعل بالحرة وأذن له فى الانصراف . قال وسمع عمر بن الخطاب امرأة تنشد وتقول

فمنهنَّ من تسقى بعذبٍ مبرَّدٍ * بُناخ فيلكم عندذلك قرَّتِ
ومنهنَّ من تُسقى بأخضرَ آجنٍ * أُجاجٍ فلولاخشيةُ الله فرَّتِ

فامر باحضار زوجها فوجده متغير اللون فخيره جارية من المغنم أوخمسة مائة درهم على طلاقها فاختار الخمسمائة فدفعت اليه وخلى سبيلها . وحكى عن الفضل بن الربيع أنه كان بمكة ومعه الفرج الرُخجى وكان الفضل صبيحا ظريفا والفرج دميما قبيحا فخرجا الى الطواف ثم انصرفا الى بعض طرقات مكة وقد ابتغديان فبينما هما كذلك على طعامهما اذ وقفت عليهما امرأة جميلة بهيئة حسنة شكلة وعليها برقع فرفعته عن وجهها فاذا وجه كالدينار وذراع كالجمار فسلمت وقعدت وجعلت تأكل معهما قال الفضل فاعجبنى ما رأيت من جمالها وهيئتها . فقلت هل لك من بعل . قالت لا قلت فهل لك فى بعل من أصحاب أمير المؤمنين حسن الخلق والخلق قالت وأين هو ، فاشار الى فرج فقالت . جوابك عندفراغنا فلما أكلت قالت للفضل تقرأ شيئاً من كتاب الله قال نعم قالت أفتؤمن به قال نعم قالت فان الله يقول (ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً) فضحك الفضل ودخل على الرشيد فأخبره فأمر باحضارها فلما نظر اليها أعجب بها فنزوجها وحملها الى مدينة السلام . قال وحج اسماعيل بن طريح فوقفت عليه اعرابية جميلة قال فقال لها . هل لك أن تزوجينى نفسك . فقالت من غير توقف

بكى الحسبُ الزاكى بعين غزيرةٍ * من الحسَبِ المنقوصِ أن يُجمَعامعا

وانصرفت . قال العتبى كنت كثير التزوج فمررت بامرأة فاعجبتنى فارسلت اليها أأنك زوج قالت لا فصرت اليها فوصفت لها نفسى وعرفتها موضعى فقالت . حسبك قد عرفناك . فقلت لها زوجينى نفسك فقالت نعم ولكن ها هنا شىء تحتمله قلت وما هو قالت بياض فى مفرق رأسى . قال فانصرفت فصاحت بى أرجع فرجعت اليها فاسفرت عن رأسها فنظرت الى وجه حسن وشعر أسود فقالت . انا كرهنا منك عافاك الله ما كرهتمنا . وأنشدت

أرَى شيبَ الرجالِ من الغوانى * بموضعِ شيبهنَّ منَ الرِّجالِ

وعن عطاء بن مصعب قال . جاءت امرأة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالت . ياأمير المؤمنين لا أناولا زوجى فقال لها . ومالك من زوجك قالت . مر باحضاره فاحضر فاذا

رجل قذر الثياب قد طال شعر جسده وأقذه ورأسه فأمر عمر أن يؤخذ من شعره ويدخل الحمام ويكسى ثوبين أبيضين ثم يؤتى به ففعل به ذلك ودعا المرأة فلما رأت الزوج قالت الآن فقال لها عمر اتقى الله وأطيعى زوجك . قالت افعل يا أمير المؤمنين فلما ولت قال عمر تصنعوا للنساء فانهن يحببن منكم ما تحبون منهن . ويقال أن المرأة تحب أربعين سنة وتقوى على كتمان ذلك وتبغض يوما واحدا فيظهر ذلك بوجهها ولسانها والرجل يبغض أربعين سنة فيقوى على كتمان ذلك وان أحب يوما واحدا شهدت جوارحه

﴿ نساء الخلفاء ﴾

على بن محمد بن سليمان قال : أبى يقول كان المنصور شرط لام موسى الحميرية أن لا يتزوج عليها ولا يتسرى وكتبت عليه بذلك كتابا أكدته وأشهدت عليه بذلك فبقى مدة عشر سنين فى سلطانه يكتب الى الفقيه بعد الفقيه من أهل الحجاز وأهل العراق وجهد أن يفتيه واحد منهم فى التزويج وابتياع السرارى فكانت أم موسى اذا علمت مكانه بادرته وأرسلت اليه بمال فاذا عرض عليه أبو جعفر الكتب لم يفته حتى ماتت بعد عشر سنين من سلطانه ببغداد فأتته وفاتها وهو بحلوان فأهديت اليه مائة كر وكان المنصور أقطع أم موسى الضيعة المسماة بالرحبة فوقفتها قبل موتها على المولدات الاناث دون الذكور فهى وقف عليهن الى هذا الوقت .

حدثنا يحيى بن الحسن عن محمد بن هشام قاضى مكة قال كانت الخيزران لرجل من ثقيف فقالت لمولاها اتشقق أنى رأيت رؤيا . قال وما هى قالت رأيت كان القمر خرج من قبلى وكان الشمس خرجت من دبرى . قال فما لست من جوارى مثلى أنت تلدين خليفتين فقدم بها مكة فباعها فى الرقيق فاشتريت وعرضت على المنصور فقال من أين أنت قالت المولد مكة والمنشأ بحرش قال فلك أحد قالت مالى أحد إلا الله وما ولدت أمى غيرى . قال يا غلام اذهب بها الى المهدى وقل له نصلح للولد فانى بها المهدى فوقعت منه كل موقع فلما ولدت موسى وهرون قالت ان لى أهل بيت بحرش . قال ومن لك . قالت لى أختان اسمهما أسماء وسلسل ولى أم واخوان فكتب فأتى بهم فتزوج جعفر بن المنصور سلسل فولدت منه زبيدة واسمها سكينة تزوجها الرشيد وبقيت أسماء بكر أفقال المهدى للخيزران قد ولدت رجلين وقد بايعت لهما وما أحب ان تبتين أمة وأحب أن أعتقك وتخرجين الى مكة وتقدمين فأتزوجك قالت الصواب رأيت فأعتقها وخرجت الى مكة فتزوج المهدى اختها أسماء ومهرها ألف ألف درهم فلما أحس بقدوم الخيزران استقبلها فقالت ما خبر اسماء وكم وهبت لها قال من اسماء قالت امرأتك قال ان كانت اسماء امرأتى فهى طالق فقالت له طلقتها حين علمت بقدومى قال أما إذ علمت فقد مهرتها ألف ألف درهم

و وهبت لها الف الف درهم ثم تزوج الخيزران قال كانت نخلة جارية الحسين الخلال قبل أن يتولى المتوكل الخلافة تقعد بين يديه وتغنيه فولدت للحسين ابناً فلما ولى المتوكل الخلافة طرقه ليلا فقال له الحسين زرنا جعلت فداك ، قال اشتهيت أن اسمع غناء نخلة فأخرجها اليه مطمومة الشعر فقال ياخلال أليس قد ولدت منك ابناً قال بلى قال فأنا أحب أن تعتقها قال فانها حرة قال فاشهد إني قد تزوجتها قومي يانخلة فاشتد ذلك على الحسين فعوضه منها خمسة عشر ألف دينار وحول اليه نخلة قيل و وصف للمتوكل ابنة لسليمان بن القاسم بن عيسى بن موسى الهادى وعدة من الهاشميات فحملن اليه وعرض عليه فاختارها من بينهن وصرف البواقى ونزلت منه منزلة حتى ساوى بينها و بين قبيحة فى المنزلة وكانت جارية لها لياقة وملاحة ووصفت له ريطة بنت العباس بن على فحملت اليه فنز وجها ثم سألها ان تعلم شعرها وتشبه بالمماليك فابت عليه فاعلمها ان لم تفعل فارقها فاختارت الفرقة فطلقها و وصفت له عائشة بنت عمرو بن الفرج الرخيجى فوجه فى جوف الليل والسماء تهطل الى عمر أن احمل الى عائشة فسأله أن يصفح عنها فانها القيمة بامره فابى فانصرف عمر وهو يقول اللهم قنى شر عبدك جعفر ثم حملها بالليل فوطئها ثم ردها الى منزل أبيها قال وكان الهادى يشاور رمن أصحابه عبد العزيز بن موسى وعيسى بن دأب والعزيزى وعبد الله ابن مالك فخرج ذات يوم اليهم وهو مغضب كانه جمل هائج منتفخ الاوداج منتقع اللون فاقبل حتى جلس فى مجلسه وكان العزيزى اجرأهم عليه فقال ياأمير المؤمنين اتارى بوجهك ما كدر علينا عيشنا و بغض الدنيا الينا فان رأى أمير المؤمنين أن يخبرنا بالسبب فان كان عندنا حيلة أعلمناه بها وان تكن مشورة أشرنا بها وان أمكن احتمال الغم عنه وقيناه بانفسنا وحملنا الغم عنه قال فاطرق طويلا والعزيزى قائم فقال له اجلس ياعزيزى فانى لم أر كصاحب الدنيا قط أكثر آفات وأعظم نائبة ولا أنغص عيشا قال العزيزى وماذاك ياأمير المؤمنين قال لبابة بنت جعفر بن أبى جعفر قد علمتم موقعها منى و إثرتها عندى كلمتنى بادلال فاغاظت فلم يكن لها عندى احتمال ولا عندها اقصار حتى وثبت عليها وضربتها ضربا موجعا قال وسكت فقال ابن دأب ياأمير المؤمنين انك والله لم تأت منكرا ولا بديعا فقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤدبون نساءهم و يضربونهن هذا الزبير بن العوام حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وثب على امرأته اسماء بنت ابى بكر وهى افضل نساء اهل زمانها فضربها فى شىء عتب عليها فيه ضربا مبرحا حتى كسر يدها وكان ذلك سبب فراقها وذلك انها استغاثت بولدها عبد الله فجاء يخلصها من ابيه فقال هى طالق ان حلت بينى و بينها تفعل و بانت منه وهذا كعب بن مالك الانصارى عتب على امرأته وكانت من المهاجرات فضربها حتى حال بنوها بينه و بينها فقال

فلولا بنوها حولها لخبطتها * كخبطة فروج ولم تلقم

وما هندٌ الاَّ مُهرةٌ عربيةٌ * سَليلةُ أفراسٍ تجللها بغلُ
فان تُنتجت مُهرًا كريمًا فبالحرى * وإن يكُ إقرافٌ فأنجبَ الفَحلُ

فخرج من عندها مغضبا ودعا ابن القرية فدفع اليه مائة الف درهم وقال . ادخل على هند وطلقها عني ولا تزد على كلمتين وادفع اليها المال . فحمل ابن القرية المال ودخل عليها فقال . ان الامير يقول كنت فبنت وهذه المائة الف صداقك ، فقالت يا ابن القرية ما سررت به اذ كان ولا جزعت عليه اذ بان وهذا المال بشارة لك لما جئتنا به ، فكان القول أشد على الحجاج من فراقها وذكروا أن عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه كانت عنده عاتكة بنت زيد بن عمرو ابن نفيل فاحبها حبا شديدا فأمره أبوه بفراقها وان يطلقها تطليقة واحدة ففعل ثم ندم على فعله فقال

فلم أرَ مثلي طلَّقَ اليومَ مثلها * ولا مثلَها في غيرِ جُرْمٍ تُطلَّقُ
لها خُلُقٌ سهلٌ وحسنٌ ومنصبٌ * وخَلقٌ سوىٌّ ما يُعابُ ومنطقُ
أعاتِكَ قلبي كلَّ يومٍ وليلةٍ * اليك بما تُخفي القلوبُ معلَّقُ
أعاتكَ ما أنساكِ ماذرَّ شارقٌ * ومالاحَ نجمٌ في السَّماءِ مُحلِّقُ

فسمع ابو بكر ذلك فرق له وأمره بمراجعتها ، وعن علي بن دِعبل قال : حدثني أبي قال خرجت ومعي اعرابي ونبطي الى موضع يقال له بطيا من أمصار دجلة متنزهين فاكلنا وشربنا فقال الاعرابي . قل بيت شعر فقلت

نلنا لذيذ العيش في بَطيانا

فقال الاعرابي لمّا حثثنا أقدُحا ثلاثا
فقال النبطي وامرأتي طالقٌ ثلاثا

ومازال يبكي حتى الصباح فقلت له ، ما يبكيك . فقال . ذهبت امرأتي بقافية ، قال اسحق بن ابراهيم الموصلي كنت انا والحسين بن الضحاك يوما عند المعتصم وحضرت قينة تعرض عليه فاعجب بها فقال للمدنيين كيف ترونها ، فقال احدهم . امرأتي طالق ان كان رأى مثلها ، وقال آخر امرأتي طالق ان لم ، وسكت فقال المعتصم . ان لم ، قال ، لاشيء ، فضحك وقال له ويحك ما دعاك الى طلاق اهلك بلا سبب . فقال يا أمير المؤمنين كنا قد طلق امرأته بلا سبب . ومما قيل في ذلك من الشعر

رحلتْ أميَّةُ بالطلاقِ * ونجوتُ من رِقِّ الوثاقِ
بانتْ فلمْ يجزَعْ لها * قلبي ولم تدمعْ ماقي
لو لمْ أرُحْ بفراقِها * لا رُحتُ نفسي بالإباقِ

ابنتك عن نفسها فخلت بالزباء فقالت يابنية اى الرجال أحب اليك الكهل الجحجاح الفاضل المناح أم الفتى الوضاح قالت الرموز الطماح قالت يابنية ان الشيخ يميرك ولا يغيرك وليس الكهل الفاضل الكثير النائل كالحدث السن الكثير الظن قالت ياأماه اخشى الشيخ ان يدنس ثيابى و يشمت بى أترابى و يبلى شبابى قال فلم تزل بها أمها حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحارث بن سليل على خمسين ومائة من الابل وألف درهم وابتنى بها ثم رحل بها الى قومه فبيناهو جالس ذات يوم وهى الى جانبه اذ أقبل فتية من بنى اسد نشاوى يتبخترون فلما نظرت اليهم تنفست الصعداء و بكت فقال ماشأنك قالت مالى وللشيوخ الناهضين كالفروخ قال : ثكلتك أمك تجوع الحرة ولا تاكل بثديها افذهبت مثلا أماوأبيك لرب غارة شهدتها وخيل وزعتها وسبية اردفتها وخمرة شربتها الحقى باهلك فانت طالق . وقال

نهزأت أن رأتنى لابسا كبرا * وغاية الناس بين الموت والكبر
فإن يكن قد علا رأسى وغيره * صرف الزمان وتغيير من الشعر
فقد أروح للذات الفتى جذلا * وقد أصيد بها عينا من البقر
عنى اليك فإنى لا توافقنى * عور الكلام ولا شرب على الكدر

قال وقال الحجاج لابن التيمية : ماتقول فى التزويج ، قال . وجدت أسعد الناس فى الدنيا وأقرهم عينا واطيبهم عيشا وابقاهم سرورا واوراخاهم بالا واشبههم شبابا من رزقه الله زوجة مسلمة أمينة عفيفة حسنة لطيفة نظيفة مطيعة ان ائتمنها زوجها وجدها أمينة وان قترعليها وجدها قانعة وان غاب عنها كانت له حافظة تجد زوجها أبدا ناعما وجارها سالما ومملوكها آمنا وصبيها طاهرا قد سترحلمها جهلها وزين دينها عقلها فمثلك كالريحانة والنخلة لمن يجتنيها وكاللؤلؤة التى لم تثقب والمسكة التى لم تفتق قوامة صوامة ضاحكة بسامة إن ايسرت شكرت وان اعسرت صبرت فافلح وانجح من رزقه الله مثل هذه وانما مثل المرأة السوء كالحمل الثقيل على الشيخ الضعيف يجرد فى الارض جرا فبعلها مشغول وجارها متبول وصبيها مرذول وقطها مهزول ، قال : يابن القرية قم الآن فاخطب لى هند ابنة اسماء ولا تزيدن على ثلاث كلمات فأتاهم فقال : جئت من عند من تعلمون والامير يعطيكم ماتسئلون افتنكحون أم تدعون ، قالوا ، انكحنا وغنمنا فرجع الى الحجاج فقال . أصلح الله الامير صلاح من رضى عمله ومد فى الخيرات اجله و بلغ به أمله جمع الله شملك وأدام طولك واقر عينك ووقاك حينك وأعلى كعبك وذلل صعبك وحسن حالك على الرفاء والبنين والبنات والتيسير والبركة وأسعد السعود وأيمن الجدود وجعلها الله ودودا ولودا وجمع بينكما على الخير والبركة فتزوجها الحجاج ثم انه دخل ذات يوم عليها وهى تقول

وما هندٌ الاَّ مُهرةٌ عربيةٌ * سليلةُ أفراسٍ تجللها بغلُ
فان نُتجت مُهرًا كريمًا فبالحرى * وإن يكُ إفرافٌ فما أنجب الفحلُ

فخرج من عندها مغضبا ودعا ابن القرية فدفع اليه مائة الف درهم وقال . ادخل على هند وطلقها عني ولا تزد على كلمتين وادفع اليها المال . فحمل ابن القرية المال ودخل عليها فقال . ان الامير يقول لك كنت فينت وهذه المائة الف صداقك ، فقالت يا ابن القرية ما سررت به اذ كان ولا جزعت عليه اذ بان وهذا المال بشارة لك لما جئتنا به ، فكان القول أشد على الحجاج من فراقها وذكروا أن عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه كانت عنده عاتكة بنت زيد بن عمرو ابن نفيل فاحبها حبا شديدا فامر داود بفراقها وان يطلقها تطليقة واحدة ففعل ثم ندم على فعله فقال

فلم أرَ مثلي طلَّقَ اليومَ مثلها * ولا مثلها في غيرِ جُرْمٍ تُطلَّقُ
لها خُلُقٌ سهلٌ وحسنٌ ومنصبٌ * وخَلقٌ سوىٌّ مايُعابُ ومنطقُ
أعاتكَ قلبي كلَّ يومٍ وليلةٍ * اليك بما تُخفي القلوبُ معلَّقُ
أعاتكَ ما أنساكِ ماذرَّ شارقٌ * ومالاحَ نجمٌ في السَّماءِ مُحلِّقُ

فسمع ابو بكر ذلك فرق له وأمره بمراجعتها ، وعن علي بن دِعبل قال : حدثني أبي قال خرجت ومعي اعرابي ونبطي الى موضع يقال له بطيانا من أمصار دجلة متنزهين فاكلنا وشربنا فقال الاعرابي . قل بيت شعر فقلت

نلنا لذيذ العيش في بَطْيانا

فقال الاعرابي لمّا حثثنا أقدُحا تلانا
فقال النبطي وامرأتي طالقٌ ثلاثا

ومازال يبكي حتى الصباح فقلت له ، ما يبكيك . فقال . ذهبت امرأتي بقافية ، قال اسحق بن ابراهيم الموصلي كنت انا والحسين بن الضحاك يوما عند المعتصم وحضرت قينة تعرض عليه فاعجب بها فقال للمدنيين كيف ترونها ، فقال احدهم . امرأتي طالق ان كان رأى مثلها ، وقال آخر امرأتي طالق ان لم ، وسكت فقال المعتصم . ان لم ، قال ، لاشيء ، فضحك وقال له ويحك ما دعاك الى طلاق اهلك بلا سبب . فقال يا أمير المؤمنين كنا قد طلق امرأته بلا سبب . ومما قيل في ذلك من الشعر

رحلتْ أميَّةُ بالطلاقِ * ونجوتُ من رِقِّ الوثاقِ
بانتْ فلم يجزَعْ لها * قلبي ولم تدمعْ ماقي
لو لم أُرِحْ بفراقها * لا رُحتُ نفسي بالإباقِ

وخصيت نفسى لا أريـــد خليلة حتى التلاقى

وقال آخر

رأيت أثاثها فطمعت فيها * وقد نصبت لغيرك بالاثاث
فطاقها وعد النفس عنها * سريعا إنّ نفسك فى الفوات
والا فالسلام عليك إنى * سآخذ من غدرك فى المرائى

(محاسن وفاء النساء)

قال الكسروى كتب بلاش بن فيروز الى ملك الهند يخطب ابنته فلم ينعم له ورد رسوله خائبا فتجشم وسار اليه فى خيله ورجله فلما اصطفت الخيلان دعاه بلاش الى المبارزة وقال انه عار على الملوك ان يوردوا جنودهم الهلاك ويفوزوا بانفسهم فبرز اليه ملك الهند فاختلفت بينهما ضربتان فثنت بلاشا حصانة درعه وضرب بلاش الهندى على عاتقه فقطع حبله حتى انتهى السيف الى صندوقه فخرمينا وانهزمت خيله ففتح بلاش مدينته وأمر ثمانه فاحدقوا بقصر ابنة الملك فلما احتوى على أمواله بعث الى ابنة الملك ان تأتيه فقالت للرسول وهى تبكى: قل للملك المزين باحلام المحبب فى رعيته السعيد بالظفر انك قد ملكتنى وصرت ممن يستحق عطفك ورأفتك فان رأيت ان تطيب نفسا عن النظر الى حتى ترجع الى دار مملكتك فافعل ، فانصرف الرسول الى بلاش فاخبره فاجابها الى ماسالت وسار وحملها حتى قدم دار المملكة فبنى لها مقصورة مفردة عن سائر حرمه فانزلها فيها وأمر لها بعتيق الديباج وفاخر الجوهر واسفاط من الذهب والصلاة والجوائز والاثاث ما لم يأمر لغيرها من نسائه واستاذنها فى الدخول عليها فاذنت له فدخل عليها وأقام عندها سبعة أيام وليلياليها عجبا منه بها لا يحير اليها جوابا ولا يخف عن صدر مجلسها فخرج من عندها اليوم الثامن وقد وقع فى قلبه ما أظهرت من خفة مجلسه عليها ولبث أشهرا لا يدخل عليها فقالت يوم لحاضنتها ما أعجب أمر الملك بذل دمه فى طلبى حتى اذا ظفر بى سلا عنى انطلقى حتى تسألى عن عدة نسائه وأين أكرم عليه وأتبنى بعلم ذلك ، فانطلقت حتى عرفت ذلك وانصرفت فقالت انى وجدت له أربعمائة امرأة ما بين أمة وحرة وليس فيهن أكرم عليه من ابنة سائس من سواسه أعجبته فتزوجها فقالت انطلقى اليها واقرئيها منى السلام واعلمى انى أريد مؤاخاتها والانقطاع اليها فانطلقت الحاضنة الى ابنة السائس فابلغتها رسالة مولاتها فقالت لها اقرئيها منى السلام واعلمى انى قد أحببتها وأجبتها الى ماسالت فتصير الى فانصرفت فاخبرتها بما قالت فتهيأت باحسن هيئة وأقبلت اليها ودخلت عليها فرفعت مجلسها وأقبلت عليها فذكرت حبها لها ورغبتها فى مواصلتها فردت عليها ابنة السائس أحسن الرد وأعلمتها سرورها

بذلك ثم تحدثا ساعة وانصرفت وجعلت الهندية تأتيها غبا وتظهر الانس بها فلما أنست بها قالت لها . انت قد استلبت قلب الملك وقهرت جميعنا بفضلك وليس لواحدة منا نصيب فاعلمينا الامر الذى فضلتينا به لنزداد سرورا بما أوتيت ومحبة لك والانقطاع اليك ، قالت انى لما عرفت ضعف نسبى وقلة جمالى علمت انه لا يرجع الملك منى الى شىء احظى به عنده مثل المؤاناة فى الخلوة وان أبسطه اذا هم بالحركة واستميل قلبه باللطف وفضل الخدمة فلما رآنى على ذلك مسفرة ورأى من سائر نسائه أنفة الا كفاء وزهوا الجمال وخيلاء الملك وعلمت انى ان أخذت ما أخذته مع محمول نسبى وقلة جمالى ودقة خطرى لا يليق بى مثل الذى يليق بهن تفضلنى على جميع نسائه بذلك . فلما سمعت ابنة الملك ذلك علمت ان قلوب الرجال لا تستمال الا بالمؤاناة وسرعة الاجابة فى الباه عند المشغلة فعزمت أن تجعل ذلك عدة لاستعطاف قلب الملك فانصرفت الى قصرها وقالت لبعض جواريها اذهبى الى فلانة — تعنى ابنة السائس — فان رأيت الملك عندها فاعلميها انى عليلة من وجع عرض لى فانطلقت الجارية فاذا الملك عندها فأخبرتها بذلك فعرق الملك لها وذكر غربتها وقتلة أبيها فقال لابنة السائس : ما ترين فى اتيانها ، فقالت أيها الملك انه ليس فى نسائك من لها عندى مثل منزلتها فاصر اليها فانها غريبة قد فارقت أهلها وهى فى موضع رحمة . فقام الملك حتى دخل عليها وانتهى الى باب مجلسها فقامت اليه تمشى باحسن هيئتها متكسرة فى حليها وزينتها عبقة بطيبها وعطرها فقبلت بين عينيه وأخذت بيده حتى أجلسته فى صدر فراشها وجعلت تقبل يديه ورجليه ضاحكة اليه مظهرة السرور به فجذبها الى نفسه ودعاها الى المضاجعة فأتته ولم ترد فى الخلوة شيأ الا أجابته اليه فلما قضى حاجته نازعها الى المحادثة فقال . أين ما ذكر رسولك من شدة وجعك ، قالت : ياسيدى كنت متوجعة لفراقك حتى شفانى لقاؤك وقلت ذلك لما نالنى من تباريح الشوق اليك وطول صدودك وسلوتك ثم أخذ معها فى المداعبة وأقام عندها سبعة أيام فيتناهما يتلاعبان ويتذاكران ويتعانقان اذ دخلت جارية لابنة السائس فحيت الملك بتحية الملوك ثم قالت للهندية ان سيدتى — تعنى ابنة السائس — تقول قد اجتمع فيك ثلاث خصال الاولى الغدر بمعلمتك والثانية فضل تطاولك والثالثة كفران النعمة للمنعم وانى عن قريب رادتك من الملك الى غصص الغيظ ، فأخجلتها وهملت عيناها ونظرت الى الملك كالمستغيثة به ، فقال لها الملك ياحبيبتى ما تنكرين من أمتك قد وهبتها لك وجميع ما تملك ، فتجلى عنها غمها فقالت لرسولتها انطلقى اليها فاعلميها ان الملك قد وهبها وما تملك لى وقولى لها أرجعك فخش نفسك الى لؤم حسبك واهمال ادبك ائتينى الساعة بصعار المذلة ورقة العبودية فلما أبلغها الرسول ذلك أقبلت فدخلت عليها فحيت الملك وقامت بين يديه . فقالت لها الهندية ما كان أعظم زهوك فى رسالتك ، قالت ياسيدتى أتأذنين لى فى الكلام ، قالت تكلمى ، قالت أيتها السيدة

لست متوجهة اليك بشيء هو أملك بك من حلمك ولا اعطف على من فضلك ولم يظلم من رفع فوق من هو أفضل مني وكل فرع يرجع الى أصله وكل زهر ينسب الى سنخه ، فقالت صدقت فدعي عنك كلام الادب فقد ملكتك على رغم أنفك وأنا مزوجتك من فلان خادمي فليس لك فضل عليه قالت ابنة السائس من اعتاد معالي الامور لم تطب نفسه باسفلها ومن صاحب العظماء أبت غريزته الادنياء وانما ترقبت عطفك ورجوت حسن نظرك فما اذا عزمت على هذا فقد طاب الموت وما الذي أستبقي منك ثم قالت أيها الملك ان جذل المسرة منك لا يستقر ويقع موقعه الا بعد في المخالفة عندك فاحترس من هذه الهندية فانها لا تؤمن عليك لانها ليست من جنسك فيعطفها عليك الرحم ولا من أهل مملكتك فتعرف تطولك عليها وانما هي شبيهة بموتورة قد قتلت أباها وهدمت عزها فاحترس منها ولا يلهينك موقعها من قلبك فانها متى احتالت في قتلك لم يكن في أيدينا من الظفر الا قتلها كما كان من أمر الثعلب وعظيم الطير . فقال الملك وما كان من حديثهما قالت يقال ان ثعلبا جاع في ليلة فرقى شجرة ليأكل منها فسال الوادي الذي فيه تلك الشجرة بسيل شديد فاقتلعها والثعلب عليها ثم رفعها ووضعها حتى ألقى الثعلب الى أرض بعيدة من أرضه فاصبح وقد ألقاه السيل الى سفح جبل كثير الاشجار مثمر الاغصان وعلى تلك الاشجار جنس من الطير لا يحصى عددا فارقى الى شجرة قصيا مقشعرا لا يعرف أرضه ولا يقدر على مؤالفة الدواب فمر به عظيم الطير فقال له ما أنت فقال أنا دابة سال بي السيل فالقاني في جبلكم وقد أصبحت غريبا فقال له عظيم الطير فهل لك حرفة قال نعم اعرف الثمار اذا بلغت حد بلوغها وأصنع للطير أكنانا في الارض تكن فيها فراخها من الحر والبرد فقال له عظيم الطير قد أدركت عندنا بغيتك فاقم عندنا نواسك ونعرف حق مجاورتك فقام الثعلب عند ملك الطير فكان يعرفهم الثمار المدركة ويحفر لهن بمخاليبه قبورا في الارض يفرخن فيها وكان الثعلب اذا جن عليه الليل وقرم الى اللحم أدخل يده في جحر من تلك الاجحرة فاخرج طيرا أو فراخه فاكله ودفن ريشه وجعلت الطير تتفقد ما كان يأكل واحدا بعد واحد فقال بعضها لبعض ما فقدنا أفاضلنا الا منذ صارت هذه الدابة بين أظهرنا وما كانت هذه الطير تطيل الغيبة وما ندري ما دهاها فقال لها عظيمها ان هذا حسد منكن لهذه الدابة فلا تغفلن ما أصبحتن فيه من فضل المطعم وما فيه فراخكن من هذه الاكنان التي لا يخاف عليها رد فيها ولا حر فقالت الطير انت سيدنا وأبصر بالامور منا قال وعلى ان اقطع هذا القول وأبين حق ذلك من باطله بنفسي فلما أظلم الليل نزل من الشجرة فدخل بعض تلك الاكنان وأقبل الثعلب على العادة التي اعتادها الى ذلك الكن فادخل يده فقبض على رأس الملك فقال الملك للثعلب لقد نصحتني الطير لو قبلت نصحها قال الثعلب انت هو قال نعم قال ما ظننت

ان يبلغ من حمقك كل هذا قال ملك الطير دعنى اردك فى منزلتك بحسب ما رأيت من فضل علمك ولطيف حيلتك قال له الثعلب ان أبوى أدبانى ان لا اعلق انيابى بشىء واتركه اذ ليس من جهلك ان لا تنتجز أمن الثمار ومن الاكنان بما كان آباؤك يكتفون به ولم ترض حتى اختبرت أمرى بنفسك ولم تجعل التغرير فى ذلك بغيرك ثم أكله ودفن ريشه وفقدت الطير عظيمها فاستوحشت وضربت الثعلب ضربا بمخاليبها ومناقيرها حتى قتلته ولم يصلن فى عظيم خطر ملكهن الى أكثر من قتل الثعلب فاحترس من هذه الهندية، قالت الهندية انما تفرعين المرأة بأربعة رجال بأبيها وأخيها وولدها وبعلها وأفضل النساء المختارة بعلها على جميع أهلها والمؤثرة له على نفسها فكيف بمن ذهب أبوها وأخوها فبقى بعلها أفتحب ان تهلكه على ان مثلك فى رداءة همتك وخبث نيتك مثل الغراب والحمامة، قال الملك وما كان من حديثهما، قالت زعموا ان غرابا ألف مطبخا لبعض الملوك فاتخذ من أطيب اللحمان التى قد صارت فيه شيئا فظنوا ان الغراب اتخذه لقلة وفائه ولؤم جوهره فطردوه عن مطبخهم وقالوا ما ترجو امن هذا الغراب وهو من الطيور التى تعاف ويتطير منها فأفشى ذلك الغراب امره الى حمامة قد كان بينهما معرفة وفزع الى رأيها وأخبرها ما كان فيه من نعيم المأكل والمشرب فقالت له الحمامة انطلق بى حتى تريني هذا المطبخ فانطلق حتى أتى سطح المطبخ فقالت الحمامة انى ارى هذا البيت ليس فيه موضع مدخل فاحفر لى بمنقارك قدر ما ادخل فان منقارى يضعف عن ذلك فحفر الغراب فى سقف البيت بمنقاره حتى دخلت فيه الحمامة وتوسطت فى البيت فأعجبهم حسن خلقها وصفاء لونها فجعل لها خازن المطبخ موضعا تأوى اليه فلبثت فى ذلك البيت قريرة عين فناداها الغراب ما هكذا قدرت فيك فقالت الحمامة لو وفيت لك حق بى غدرك وان القوم عرفوا وفائى وحسن جوارى وعرفوا غدرك وقلة وفائك ونكث عهدك فهذا مثلى ومثلك يا ابنة السائس انى لو وفيت لك اردانى غدرك وقتلنى مكرك، قالت ابنة السائس أيتها السيدة ان الذى سمعت منى كان لشدة الاتهة فأردت ان أنفى عن نفسى الذى أردت من انكاحى خادمك فلانا، قالت الهندية لا بد من ذلك، فقالت ابنة السائس من اعتاد معالى الامور لم تطب نفسه باسافلها الا ان استعذبت الموت فعمدت الى سم كان معها فقذفته فى فيها فخرت ميتة ووفت الهندية لزوجها فافلحا، ومنهن شيرين امرأة ابرويز فان شيرويه بن ابرويز لما قتل أباه وتوطد له الملك بعث الى شيرين يدعوها الى نفسه فامتنعت عليه وأبت ان تجيبه الى ذلك فغصبها ضياعها وعقارها وذخائرها وأموالها وقذفها بكل فاحشة ورماها بكل معضلة فلما بلغها ذلك هان عليها ما أخذ من أموالها مع ما رماها به فبعثت اليه وقالت أيها الرجل ان لم يكن مما سألت بد فاقض لى ثلاث حوائج حتى أتابعك على ما تريد فقال وما هذه الحوائج قالت أحدها ان ترد على ضياعى وأموالى والثانية ان تصعد منبرك بمحضر مرازبتك وأساورتك وعظماء أهل

مملكتك وتتبرأ مما قذفتني به وانثالثة ان أباك أودعني وديعة فتامر ان يفتح لي باب الناووس حتى أردها عليه فاجابها الى ذلك وأمر بفتح باب الناووس لها ومعها خاتم وفيه سم ساعة فنثرته في فيها وماتت فبرز وجهها فاذا

﴿ ضده ﴾

قيل ، كان لكسرى ابرويز خال يقال له بسطام فخالف على كسرى وجمع جمعاً كثيراً وواقع ابرويز فلما أعيت ابرويز الحيلة فيه دعا بكردي أخي بهرام جور ويقال ان كردياً كان غلاماً لهربذ وبلغ منه مبلغ الرجال وكان من خاصته والناصحين له فقال له قد ترى ما نزل بنا من هذا العدو بسطام وقد رأيت رأياً ان طابقتني عليه رجوت الظفر ، قال كردي وماذاك أيها الملك اخبرني فاشيء يزيدك الله به عزاً ويزيد أعدائك به ذلاً إلا بادرت اليه بنصح وصدق لعظيم حقك ووجوب طاعتك ، قال له كسرى قد عرفت حال كردية اختك امرأة بسطام وجراءة قلبها وبسطام يأوي اليها كل ليلة اذا انصرف عن الحرب وأنا اجاعل لها عهد الله وميثاقه وذمة انبيائه ان هي أراحتني من بسطام واحتالت لي في قتله ان انزوجها واجعلها سيدة نسائي وابلغ في اكرامها والسمو بها أفضل ما بلغ ملك بامرأته ، قال كردي يا أيها الملك ما أشك في قدرتها عليه فاكتب اليها بخطك بما رأيت لا وجه في الكتاب اليها مع امرأتي ارجية فان لها عقلا ورفقا وبصيرة فكتب كسرى بخطه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ هذا كتاب لكردية بنت بهرام جستاسب كتبه لها كسرى ابرويز بن هرمز ان لك عندي عهد الله وذمته وذمة انبيائه ورسله ان أنت قتلت بسطام وارحتيني منه اتزوج بك وأجعلك سيدة نسائي وابلغ من كرامتك ما لا يبلغ ملك من الملوك لاحد وأشهد الله على ذلك وكفى بالله شهيداً وكتب كسرى بخطه وختمه بخاتمه يوم كذا من شهر كذا فسارت ارجية حتى دخلت عسكر بسطام كهيئة الزائرة لكردية بالنظر اليها وكان بينهما قرابة فلما جلست وسكنت دفعت اليها كتاب كسرى وقالت لها يا ابنة عم اجيبي الملك الى ما سالك واغتنمي بذلك الرجوع الى وطنك فرغبت لشدة شوقها الى أهلها فاجابها الى ذلك وانصرفت ارجية الى عسكر كسرى وعرفت زوجها ما كان بينها وبين كردية فمضى كردي الى كسرى فاعلمه ثم ان بسطام دخل على كردية فاتته بعشاء فتناول منه ثم أتته بشراب فسقته وجعلت تحدثه وتظهر له المحبة حتى مضى ثلث الليل فنام بسطام فلما استثقل نوما قامت اليه كردية بسيفها فوضعته على ثندؤته ثم اتكأت فاخرجته من ظهره فمات وعمدة من ساعتها الى دوابها فحملت حشمها وأثقالها على البغال وخرجت نحو عسكر كسرى وقد كانت وجهت مع ارجية الى أخيها أن يجلس لها على الطريق فلما وافته سار معها حتى أدخلها على

كسرى ففرح بذلك فرحا شديداً فلما أصبح أصحاب بسطام ورأوه قتيلا ولوا هاربين على وجوههم فانصرف كسرى الى المدائن فاتخذ لكردية تاجا مكللا بالدر وصنوف الجوهر وأعد لها وليمة عظيمة دعا فيها جنوده فطعموا وشربوا ثم دعا كردياً أخاها فزوجه أيادا ومهرها وأعطاها خاتماً فصه من الكبريت الاحمر يضيء في الليلة الظلماء كالضياء السراج فلما دخل بها كسرى ونظر الى جمالها وعقلها سر بها وأعطاها الاموال واقطعها الضياع وأكرم أخاها كردياً وولاه أرض فارس وبلغ بها من رفعه اياها وتشريفه لها ما لم تبلغه امرأة قبلها ولا بعدها ثم ان كردية قالت لكسرى ياسيدى اخرج بنا الى الميدان لالعب بين يديك بالكرة والصولجان فخرج معها الى الميدان وخرجت امرأته شيرين وخواص نسائه ودعا بخيل فأسرجت وركبت وركب هو وجعلت تلاعبه بالصولجان وتناولت السيف وركضت في الميدان ولعبت بالسيف لعباً معجباً ثم أخذت الرمح فلعبت به فقالت شيرين أيها الملك ما يؤمنك من هذه الشيطانة ، قال هيهات انها أعرف بحقنا وأشد حباً لنا من أن تخافها على أنفسنا ، فلما نزلت قال كسرى . لنا في كل ربع من أرباع مملكتنا قائد في اثني عشر ألف امرأة وقد جعلتك قائدة عليهن ، قالت . ياسيدى ما للنساء والفروسية وانما علينا أن نتزين لك ونتطيب ونتبرك بأنفسنا وأردت بما كان مني سرورك وتسلية همومك فأمر كسرى بحمل طعامه وشرابه الى منزلها وبقي عندها أسبوعا لم يخرج الى الناس ولم يأذن لاحد بالدخول عليه ثم خرج من عندها الى منزل شيرين فاتاه صياد بسمكة عظيمة فاعجب بها وأمر له باربعة آلاف درهم ، فقالت له شيرين . أمرت لصياد باربعة آلاف درهم فان أمرت بها لرجل من الوجوه قال انما أمر لي بمثل ما أمر للصياد فقال كيف اصنع وقد امرت له ، قالت . اذا أتاك فقل له اخبرني عن السمكة أذكر هي ام انثى فان قال انثى فقل لا تقع عيني عليك حتى تاتيني بالذكر وان قال ذكر فقل مثل ذلك فلما غدا الصياد على الملك قال له اخبرني عن السمكة اذكر هي أم انثى . قال بل . انثى . قال . فاتني بذكرها . فقال عمر الله الملك انها كانت بكراً لم تتزوج بعد . قال الملك . زيدوه وأمر له باربعة آلاف درهم وأمر ان يكتب في ديوان الحكمة . ان الغدر ومطاوعة النساء يورثان الغرم قال وكان الموبذان إذا دخل على كسرى قال . عشت أيها الملك بسعادة الجد ورزقت على أعدائك الظفر وأعطيت الخير وجنبت طاعة النساء . فغاظ ذلك شيرين وكانت أجمل نساء عصرها وأتمهن عقلا فقالت لكسرى ، أيها الملك ان هذا الموبذان قد طعن في السن ولست مستغنياً عن رأيه ومشورته وقد رأيت لحاجتك اليه ان اهب له مسكدانة جاريتي وقد عرفت عقلها وجمالها فان رأيت أن تساله قبولها فافعل . فكلم كسرى الموبذان في ذلك . فهش للجارية لمعرفته بجمالها وفضلها

مملكتك وتتبرأ مما قذفتني به وانا ثالثة ان أباك أودعني وديعة فتامر ان يفتح لي باب الناووس حتى أردها عليه فاجابها الى ذلك وأمر بفتح باب الناووس لها ومعها خاتم وفيه سم ساعة فتتزنه في فيها وماتت قبرز وجهامات

﴿ ضده ﴾

قيل ، كان لكسرى ابرويز خال يقال له بسطام نخالف على كسرى وجمع جمعاً كثيراً وواقع ابرويز فلما أعيت ابرويز الحيلة فيه دعا بكردى أخي بهرام جور ويقال ان كردياً كان غلاماً له ربا ، وبلغ منه مبلغ الرجال وكان من خاصته والناصحين له فقال له قد نزى ما نزل بنا من هذا العدو بسطام وقد رأيت رأياً ان طابقتني عليه رجوت الظفر ، قال كردى وماذاك أيها الملك اخبرني فاشي عيز يدك الله به عزاً وبزيد أعدائك به ذلا إلا بادرت اليه بنصح وصدق لعظيم حقك ووجوب طاعتك ، قال له كسرى قد عرفت حال كردية اختك امرأة بسطام وجراءة قلبها وبسطام يأوي اليها كل ليلة فاذا انصرف عن الحرب وأنا جاعل لها عهد الله وميثاقه وذمة انبيائه ان هي أراحتني من بسطام واحتالت لي في قتله ان ازوجها اجملها سيدة نسائي وابلغ في اكرامها والسمو بها أفضل ما بلغ ملك بامرأته ، قال كردى يا أيها الملك ما أشك في قدرتها عليه فاكتب اليها بخطك بما رأيت لا وجه في الكتاب اليها مع امرأتي ارجية فان لها عقلا ورفقا وبصيرة فكتب كسرى بخطه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ هذا كتاب لكردية بنت بهرام جسنا سب كتبه لها كسرى ابرويز بن هرمز ان لك عندي عهد الله وذمته وذمة انبيائه ورسله ان أنت قتلت بسطام وارحتني منه اتزوج بك وأجعلك سيدة نسائي وابلغ من كرامتك ما لا يبلغ ملك من الملوك لاحد وأشهد الله على ذلك وكفى بالله شهيداً وكتب كسرى بخطه وختمه بخاتمه يوم كذا من شهر كذا فسارت ارجية حتى دخلت عسكر بسطام كهيئة الزائرة لكردية بالنظر اليها وكان بينهما قرابة فلما جلست وسكنت دفعت اليها كتاب كسرى وقالت لها يا ابنة عم اجيبي الملك الى ما سالك واغتنمي بذلك الرجوع الى وطنك فرغبت لشدة شوقها الى أهلها فاجابته الى ذلك وانصرفت ارجية الى عسكر كسرى وعرفت زوجها ما كان بينها وبين كردية فمضى كردى الى كسرى فاعلمه ثم ان بسطام دخل على كردية فاتته بعشاء فتناول منه ثم أتته بشراب فسقته وجعلت تحدثه وتظهر له المحبة حتى مضى ثلث الليل فنام بسطام فلما استثقل نوما قامت اليه كردية بسيفها فوضعته على ثندوته ثم اتكأت فاخرجته من ظهره فمات وعمدة من ساعتها الى دوابها فحملت حشمها وأثقالها على البغال وخرجت نحو عسكر كسرى وقد كانت وجهت مع أرجية الى أخيها أن يجلس لها على الطريق فلما وافته سار معها حتى أدخلها على

كسرى ففرح بذلك فرحا شديداً فلما أصبح أصحاب بسطام و رأوه قتيلا ولواهار بين على وجوههم فانصرف كسرى الى المدائن فاتخذ لكردية تاجا مكللا بالدر وصنوف الجوهر وأعد لها وليمة عظيمة دعا فيها جنوده فطعموا وشربوا ثم دعا كردياً أخاها فزوجه أياها ومهرها وأعطاها خاتماً فصه من الكبريت الاحمر يضيء في الليلة الظلماء كالضياء السراج فلما دخل بها كسرى ونظر الى جمالها وعقلها سر بها وأعطاها الاموال واقطعها الضياع وأكرم أخاها كردياً وولاه أرض فارس و بلغ بها من رفعه اياها وتشريفه لها مالم تبلغه امرأة قبلها ولا بعدها ثم ان كردية قالت لكسرى ياسيدى اخرج بنا الى الميدان لالعب بين يديك بالكرة والصولجان فخرج معها الى الميدان وخرجت امرأته شيرين وخواص نسائه ودعا بخيل فأسرجت و ركبت و ركب هو و جعلت تلاعبه بالصوالج وتناولت السيف و ركضت في الميدان ولعبت بالسيف لعباً معجباً ثم أخذت الرمح فلعبت به فقالت شيرين أيها الملك مايؤمنك من هذه الشيطانة ، قال هيهات انها أعرف بحقنا وأشد حياً لنا من أن نخافها على أنفسنا ، فلما نزلت قال كسرى . لنافي كل ربع من أرباع مملكتنا قائد في اثني عشر ألف امرأة وقد جعلتك قائدة عليهن ، قالت . ياسيدى ما للنساء والفروسية وانما علينا أن نتزين لك ونتطيب ونسرك بأنفسنا وأردت بما كان مني سرورك وتسلية همومك فأمر كسرى بحمل طعامه وشرابه الى منزلها و بقي عندها أسبوعا ثم خرج الى الناس ولم يأذن لاحد بالدخول عليه ثم خرج من عندها الى منزل شيرين فاذا صياد بسمكة عظيمة فاعجب بها وأمر له بار بعة آلاف درهم ، فقالت له شيرين . أمرت لصياد بار بعة آلاف درهم فان أمرت بها لرجل من الوجوه قال انما أمرني بمثل ما أمر للصياد فقال كيف اصنع وقد امرت له ، قالت . اذا أتاك فقل له اخبرني عن السمكة أذكر هي أم انثى فان قال انثى فقل لا تمتع عيني خليك حتى تأتيني بالذكر وان قال ذكر فقل مثل ذلك فلما غدا الصياد على الملك قال له اخبرني عن السمكة اذكر هي أم انثى . قال بل . انثى . قال . فاتني بذكرها . فقال عمر الله الملك انها كانت بكراً لم تتزوج بعد . قال الملك . زه زه وأمر له بار بعة آلاف درهم وأمر ان يكتب في ديوان الحكمة . ان الغدر ومطاوعة النساء بورثان الغرم قال وكان الموبذان إذا دخل على كسرى قال . عشت أيها الملك بسعادة الجد و رزقت على أعدائك الظفر وأعطيت الخير و جنبت طاعة النساء . فغاظ ذلك شيرين وكانت أجمل نساء عصرها وأتمهن عقلا فقالت لكسرى ، أيها الملك ان هذا الموبذان قد طعن في السن ولست مستغنياً عن رأيه ومشورته وقد رأيت لحاجتك اليه ان اهب له مسكدانة جاريتي وقد عرفت عقلها و جمالها فان رأيت أن تسأله قبولها فافعل . فكلم كسرى الموبذان في ذلك . فهش للجارية لمعرفته بجمالها وفضلها

فقال . قد قبلتها أيها الملك لايثارها إياى بافضل جواريها . فقالت شيرين لمسكدانة . انى اريد ان تاتى هذا الشيخ فتبدى له محاسنك وتحيدى خدمته فاذا هش لمضاجعتك فامتنعى عليه حتى توكفيه وتركبيه وتعلميني الوقت الذى يتهيأ لك ذلك حتى لا يعودان يزيد فى تحية الملك — ووقيت طاعة النساء — فقالت مسكدانة ، افعل ياسيدتى ، ثم انطلقت الى الشيخ فصارت عنده فى داره التى بحلها من قصر الملك فجعلت تخدمه وتبره وتظهر له الكرامة وهى مع ذلك تبرز له محاسنها وتكشف له عن صدرها ونحرها وتبدى له ساقيها وفخذيها فارتاح الموبذان وشرح صدره لمضاجعتها فجعلت تمتنع عليه فيزداد فى ذلك حرصاً فلما الح عليها قالت له . أيها القاضى ما انا بمجيبتك الى ماسالت حتى اوكفك واركبك فان اجبتنى الى ذلك صرت طوع يدك فيما تريد ويدعوا اليه من مسرتك فامتنع عليها اياما وبقيت تتزين له بزينتها وتكشف له عن محاسنها حتى عيل صبره فقال لها . افعلى ما احببت ، فهيأت له برذعة صغيرة وإكافاً صغيراً وحزاماً وثفراً واقامته عريانا على اربع ووضعت على ظهره البرذعة والاكاف وجعلت الثفر تحت خصيتيه وهى قائمة وركبته وهى تقول خرخر وارسلت الى سيدتها شيرين لتعلمها بذلك فقالت شيرين للملك . اصعد بنا الى ظهر بيت الموبذان لننظر من الروزنة ما يكون بينه وبين الجارية فصعدا ونظرا فاذا هى قد ركبته فوق الاكاف فناداه كسرى ويحك اى شىء هذا فرفع الموبذان راسه ونظر الى الروزنة ورأى الملك فقال هو ما كنت اقول لك فى اجتناب طاعة النساء فضحك كسرى وقال قبحك الله من شيخ وقبح مستشيرك بعد هذا ، حديث الزباء . ومنهن الزباء واسمها هند وملكت الشام بعد عمها الضيزن وكان جذيمة الابرش قتل عمها فبعث اليها جذيمة يخطبها فاظهرت البشر والسرور لرسوله وكتبت اليه بالقدوم عليها للزوجه نفسها فاستشار نصحاءه فقالوا ايها الملك ان تزوجت بها جمعت ملك الشام وملك الجزيرة الى ملكك فاستخلف ابن اخيه عمرو بن عدى وسار فى الف فارس من خاصته فلما انتهى الى مكان يسمى بقة وهو حد مملكتها ومملكته نزل فى ذلك المكان واستشار اصحابه ايضاً فى المصير اليها والانصراف فزينوا له الالمام بها وقالوا انك ان انصرفت من ههنا أنزله الناس منك على جبن ووهن فدنا منه مولى له يقال له قصير بن سعد فقال له ايها الملك لا تقبل مشورة هؤلاء وانصرف الى مملكتك حتى يتبين لك امرها فانها امرأة موتورة ومن شان النساء الغدر فلم يحفل بقوله ومضى حتى اقتحم مملكتها فقال قصير — ببقة حُرِم الامر — ثم أرسلها مثلا ، فلما بلغ المراة قدومه عليها امرت جنودها فاستقبلت الملك فقال قصير ايها الملك انى رايت جنودها لم يتجلوا لك كما يتجلل للملوك ولست آمن عليك فاركب العصا وانج بنفسك والعصا كانت فرساً لجذيمة لا يشق غبارها — فلم يعبأ جذيمة بقوله وسار حتى دخل المدينة وامرت هند الزباء باصحابه ان ينزلوا فانزلوا واخذت منهم

اسلحتهم ودوابهم واذنت لجذيمة فدخل عليها وهى فى قصرها ولم يكن معها فى قصرها الا الجوارى فاومات اليهن بان ياخذنه واجتمعن عليه ليكتفنه فامتنع عليهن فلم يزلن يضربنه بالاعمدة حتى انخنه وكتفنه ثم دعت بنطع فاجلسته فيه وكشفت عن عورتها فنظر جذيمة فاذا لها شعرة وافية فقالت كيف ترى عروسك أشوار عروس أم ما ترى قال أرى بظرا ناتئا ونبتا فاشيا ولا أعلم ما وراء ذلك . قالت إما انه ليس من عدم المواسى ولا لقلة الاواسى ولكنه شيمة من أناسى ثم أمرت به فقطعت عروقه فجعلت دماؤه تشخب فى النطع فقالت لا يحزنك ما ترى فانه دم هراقه أهله فارسلتها مثلا ، واحتال قصير للعصا حتى وصل اليها وركبها ثم دفعها فجعلت تهوى به كانها الريح وكان المكان الذى قصد فيه جذيمة مشرفا على الطريق فنظر جذيمة اليه وقد دفع الفرس فقال : لله حزم على رأس العصا فلم تزل دماؤه تشخب حتى مات ، ثم أمرت بأصحابه فقتلوا باجمعهم وكان عمرو بن عدى يركب كل يوم من الحيرة فيأتى طريق الشام يتجسس عن خبره وحاله فلم يبلغه أحد خبره فبينا هو ذات يوم فى ذلك اذ نظر الى فرس مقبل على الطريق فلما دنا منه عرف الفرس وقال : ياخير ما جاءت به العصا فذهبت مثلا فلما دنا منه قصير قال له : ما وراءك قال قتل خالك وجنوده جميعا فاطلب بثارك ، قال . وكيف لى بها وهى أمنع من عقاب الجو ، فذهبت مثلا ثم ان قصيرا أمر بانف نفسه فجدع ثم ركب وسار نحو الزباء فاستأذن عليها فقيل لها ان مولى لجذيمة وقهرمانه وأكرم الناس عليه قد أتاك مجدوعا فاذنت له فدخل عليها فقالت ، من صنع بك هذا ، قال أيتها الملكة هذا فعل عمرو بن عدى انهمنى وتجنى على الذنوب وزعم انى أشرت على خاله بالمصير اليك حتى فعل بى ما ترين ولم آمنه ان يقتلنى فخرجت هاربا اليك وقد أتيتك لاكون معك وفى خدمتك ولى جداء وعندى غناء ، قالت . نعم اقم فعندى لك ما تحب وولته نفقتها فخف لها وراث منه الرشاقة فيما أسندته اليه فاقام عندها حولا ثم قال لها . أيتها الملكة ان لى بالعراق مالا كثيرا فاذا أذنت لى فى الخروج لحمله فافعلى فدفعت اليه مالا كثيرا وأمرته ان يشترى لها ثيابا من الخز والوشى ولآلئ وياقوتا ومسكا وعنبرا والنجوجا فانطلق حتى أتى عمرا فاخبره فاخذ منه ضعفى ماله وانصرف نحوها فاسترخصت ما جاء به وردته الثانية والثالثة فكان ياخذ فى كل مرة مثل أضعاف ماله فيشترى جميع ما يريد فتسترخصه ووقع قصير بقلبها فاستخلفته ثم بعثته فى الدفعة الرابعة بمال عظيم وأمرته ان يشترى أثاثا ومتاعا وفرشا وآنية فانطلق الى عمرو فقال . قد قضيت ما على وبقى ما عليك ، فقال وما الذى تريد ، قال اخرج معى فى الفى فارس من خدمك وكونوا فى أجواف الجواليق على كل بعير رجلان فانتخب عمرو ألفى فارس من أصحابه فخرج وخرجوا معه فى الجواليق كل رجل بسيف وكان يسير النهار فاذا أمسى الليل فتح الجواليق ليخرجوا ويطعموا ويشربوا ويقضوا حوائجهم حتى اذا كان بينه وبين مدينتها مقدار ميل تقدم قصير حتى دخل عليها

وقال . أيتها الملكة اصعدى على القصر لتنظرى ما أتيتك به ، فصعدت فنظرت الى ثقل الاحمال على الجمال فقالت

ما للجمال مشيها وئيدا * أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفانا باردا شديدا

فأجابها قصير سراً وقال

بل الرجال جثما قعودا

فقال . لما عليها من المتاع الثقيل النفيس فامرت بالاحمال فادخلت قصرها وكان وقت المساء فقالت . اذا كان غدا انظرنا الى ما أتيتنا به ، فلما جن عليهم الليل فتحوا الجوالق وخرجوا فقتلوا جميع من فى القصر وكان لها سرب قد أعدته للفزع والهرب ان حل بها روع تخرج الى الصحراء وقد كان قصير عرف ذلك المكان و وصفه لعمرو فبادر عمرو الى السرب فاستقبلته الزباء فولت هاربة نحو السرب فاستقبلها بالسيف فقصت فصها وكان مسموما وقالت بيدى لا بيدك يا عمرو ولا بيد العبد ، فقال عمرو بيده و يدى سواء وفى كليهما شفاء وضربها بسيفه حتى قتلها واقبل قصير حتى وقف عليها فجعل يدخل سيفه فى فرجها ويقول

ولو رأونى وسيفى يوم أدخله * فى جوف زباء ماتوا كلهم فرحا

وغنم عمرو وأصحابه من مدينتها أموالا جليلة وانصرفوا الى الحيرة فكان الملك بعد خاله جذيمة وعمرو هذا هو جد النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدى ، ومنهن صاحبة الجعد بن الحسين أبى صخر بن الجعد وكان جعد قد طعن فى السن وكان يكنى أبا الصموت وكانت له وليدة سوداء فقالت يا أبا الصموت زعم بنوك ان يقتلونى اذا أنت مت قال ، ولم ذاك قالت مالى اليهم ذنب غير حبك فاعتقنى فاعتقها فبقيت بسيرا ثم قالت يا أبا الصموت هذا اعرابة من اهل عدن يخطبنى قال ما كان هذا ظنى بك قالت انما أريد ماله لك فقال ائتنى به فجاءت به فزوجها منه فولدت منه وقربته من مال جعد وكانت تأتى الجعد فتخضب رأسه ثم قطعته فقال الجعد

أبلغ لديك بنى عمر مغلغلة * عوفا وعمراً فما قولى بمردود
بأن بيتى أمسى فوق داهية * سوداء قد وعدتنى شر موعود
تعطى عرابة بالكفين مختضباً * من الخلوق وتعطينى على العود
أمسى عرابة ذا مال وذا ولد * من مال جعد وجعد غير محمود

ومنهن . امرأة مروان بن الحكم وكانت ام خالد بن يزيد بن معاوية وهى ابنة هشام ابن عتبة فاراد مروان الخروج الى مصر فقال لخالد ، اعرنى سلاحك فاعاره فلما رجع قال له خالد ردّ على سلاحى فابى عليه وكان مروان فحاشا فقال له يا ابن الربوخ الرطبة فجاء خالد الى امه فقال هذا

ماصنعت بى سبنى على رؤس الملا وقال لى كيت وكيت قالت ، اسكت فانى اكفيك أمره فجاء مروان فرقد عندها فامرت جواريها فطرحن عليه الشوادكين - يعنى الملاحف - ثم غططنه حتى قتلنه وخرجن بصحن : وا امير المؤمنيناه فدعا عبد الله بامرأة ابيه ليقتلها فقالت ان الذى يبقى عليك من العار اعظم من قتل ابيك : قال وماذاك قالت يقول الناس ان اباك قتلته امرأة فامسك عنها

﴿ محاسن مكر النساء ﴾

ذكروا ان الحجاج بن يوسف ارق ذات ليلة فبعث الى ابن القرية فقال : انى ارقت فحدثنى حديثا يقصر على طول ليلى وليكن من مكر النساء وفعالهن فقال اصلح الله الامير ذكروا ان رجلا يقال له عمرو بن عامر من اهل البصرة كان معروفا بالنسك والسخاء وكانت له زوجة يقال لها جميلة وله صديق من النساك فاستودعه عمر والف دينار وقال .. ان حدثت بى حادثة ورايت اهلى محتاجين فاعطهم هذا المال فعاش ماعاش ثم دُعى فاجاب فمكثت جميلة بعده حينا ثم ساءت حالها وامرت خادمتها يوما ببيع خاتمها الغداء يوم او عشاء ليلة فبينا الخادمة تعرض الخاتم على البيع اذ لقيها الناسك صديق عمرو فقال ، فلانة ، قالت : نعم قال ما حاجتك ، فاخبرته بسوء الحال وما اضطرت اليه مولاتها من بيع خاتمها فهملت عيناه دموعا ثم قال ان لعمرو قبلى ألف دينار فاعلمى بذلك صاحبتك فاقبلت الجارية ضاحكة مستبشرة وهى تقول رزق حلال عاجل من كد مولاى الكريم الفاضل فلما سمعت مولاتها ذلك سألتها عن القصة فاخبرتها فخرت ساجدة وحمدت ربها وبعثت بالجارية الى الناسك فاقبل الناسك ومعه المال فلما دخل الدار كره ان يدفع المال الى أحد سواها فخرجت فلما نظر الى جمالها وكمالها أخذت مجامع قلبه وفارقه التهى وذهب عنه الحياء وأنشأ يقول

قد سلبتِ الجسمَ والقلبَ معاً * وبريت العظمَ مما تلحظينَ
فارْدُدِى قلبَ عميدٍ واقبلى * صِلةَ الضعفينِ مما ترتجينَ

فاطرقت جميلة لقوله طويلا ثم قالت ويحك ألست المعروف بالنسك المنسوب الى الورع قال بلى ولكن نور وجهك سل جسمى فتداركينى بكلمة تقيمين بها أودى فهذا مقام اللائذ بك قالت أيها المرائى المخادع اخرج عنى مذموما مدحورا فخرج عنها وقد هام قلبه واضحت جميلة تعمل الحيلة فى استخراج حقها فاتت الملك ترفع اليه ظلامتها فلم تصل اليه فاتت الحاجب فشكت اليه فاعجب بها إعجابا شديدا وقال . ان لوجهك صورة ارفعها عن هذا ولا يجمل بمثلك الخصومة فهل لك فى ضعفى مالك فى ستر ورفق فقالت سوأة لامرأة حرة تميل الى ريبة فانصرفت الى صاحب الشرطة فانهت ظلامتها اليه فاعجب بها وقال ان حجتك على الناسك لا تقبل الا بشاهدين عدلين وأنا مشترخصومتك ان انت نزلت عند مسرتى فانصرفت عنه الى القاضى فشكت اليه

وقال . أيتها الملكة اصعدى على القصر لتنظرى ما أتيتك به ، فصعدت فنظرت الى ثقل الاحمال على الجمال فقالت

ماللجمال مشيها وئيدا * أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفانا بارداً شديدا

فأجابها قصير سراً وقال

بل الرجال جثما قعودا

فقال . لما عليها من المتاع الثقيل النفيس فامرت بالاحمال فادخلت قصرها وكان وقت المساء فقالت . اذا كان غدا نظرنا الى ما أتيتنا به ، فلما جن عليهم الليل فتحوا الجواليق وخرجوا فقتلوا جميع من فى القصر وكان لها سرب قد أعدته للفزع والهرب ان حل بها روع تخرج الى الصحراء وقد كان قصير عرف ذلك المكان و وصفه لعمرو فبادر عمرو الى السرب فاستقبلته الزباء فولت هاربة نحو السرب فاستقبلها بالسيف فقصت فصها وكان مسموما وقالت بيدى لا بيدك يا عمرو ولا بيد العبد ، فقال عمرو ، يد و يدى سواء وفى كليهما اشفاء وضربها بسيفه حتى قتلها واقبل قصير حتى وقف عليها فجعل يدخل سيفه فى فرجها ويقول

ولو رأونى وسيفى يوم أدخله * فى جوف زباء ماتوا كلهم فرحا

وغنم عمرو وأصحابه من مدينتها أموالا جليلة وانصرفوا الى الحيرة فكان الملك بعد خاله جذيمة عمرو وهذا هو جد النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدى ، ومنهن صاحبة الجعد بن الحسين أبى صخر بن الجعد وكان جعد قد طعن فى السن وكان يكنى أبا الصموت وكانت له وليدة سوداء فقالت يا أبا الصموت زعم بنوك ان يقتلونى اذا أنت مت قال ، ولم ذاك قالت مالى اليهم ذنب غير حبك فاعتقنى فاعتقها فبقيت بسيرا ثم قالت يا أبا الصموت هذا اعرابة من اهل عدن يخطبنى قال ما كان هذا ظنى بك قالت انما أريد ماله لك فقال ائتنى به فجاءت به فزوجها منه فولدت منه وقربته من مال جعد وكانت تأتى الجعد فتخضب رأسه ثم قطعته فقال الجعد

أبلغ لديك بنى عمر مغلغلة * عوفا وعمراً فما قولى بمردود
بأن بيتى أمسى فوق داهية * سوداء قد وعدتنى شر موعود
تعطى غرابة بالكفين مختضباً * من الخلوق وتعطينى على العود
أمسى غرابة ذا مال وذا ولد * من مال جعد وجعد غير محمود

ومنهن . امرأة مروان بن الحكم وكانت ام خالد بن يزيد بن معاوية وهى ابنة هشام ابن عتبة فاراد مروان الخروج الى مصر فقال لخالد ، اعرنى سلاحك فاعاره فلما رجع قال له خالد ردّ على سلاحى فابى عليه وكان مروان فحاشا فقال له يا ابن الربوخ الرطبة فجاء خالد الى امه فقال هذا

ماصنعت بى سبنى على رؤس الملا وقال لى كيت وكيت قالت ، اسكت فانى اكفيك أمره فجاء مروان فرقد عندها فامرت جواريها فطرحن عليه الشوادكين - يعنى الملاحف - ثم غططنه حتى قتلنه وخرجن يصحن : وا امير المؤمنيناه فدعا عبد الله بامر أة ابيه ليقتلها فقالت ان الذى يبقى عليك من العار اعظم من قتل ابيك : قال وماذاك قالت يقول الناس ان اباك قتلته امرأة فامسك عنها

﴿ محاسن مكر النساء ﴾

ذكروا ان الحجاج بن يوسف ارق ذات ليلة فبعث الى ابن القرية فقال : انى ارقت فحدثنى حديثا يقصر على طول ليلى وليكن من مكر النساء وفعالهن فقال اصلح الله الامير ذكروا ان رجلا يقال له عمرو بن عامر من اهل البصرة كان معروفا بالنسك والسخاء وكانت له زوجة يقال لها جميلة وله صديق من النساك فاستودعه عمرو الف دينار وقال .. ان حدثت بى حادثة ورايت اهلى محتاجين فاعطهم هذا المال فعاش ما عاش ثم دُعى فاجاب فمكثت جميلة بعده حينا ثم ساءت حالها وامرت خادمتها يوما ببيع خاتمها الغداء يوم او عشاء ليلة فبينا الخادمة تعرض الخاتم على البيع اذ لقيها الناسك صديق عمرو فقال ، فلانة قالت : نعم قال ما حاجتك ، فأخبرته بسوء الحال وما اضطرت اليه مولاتها من بيع خاتمها فهملت عيناه دموعا ثم قال ان لعمرو قبلى ألف دينار فاعلمى بذلك صاحبتك فاقبلت الجارية ضاحكة مستبشرة وهى تقول رزق حلال عاجل من كد مولاى الكريم الفاضل فلما سمعت مولاتها ذلك سألتها عن القصة فاخبرتها فخرت ساجدة وحمدت ربها وبعثت بالجارية الى الناسك فاقبل الناسك ومعه المال فلما دخل الدار كره ان يدفع المال الى أحد سواها فخرجت فلما نظر الى جمالها وكمالها أخذت بمجامع قلبه وفارقه النهى وذهب عنه الحياء وأنشأ يقول

قد سلبتِ الجسمَ والقلبَ معاً * وبريت العظمَ مما تلحظينَ
فارْدُدِى قلبَ عميدٍ واقبلى * صِلةَ الضعفينِ مما ترتجينَ

فاطرقت جميلة لقوله طويلا ثم قالت ويحك ألست المعروف بالنسك المنسوب الى الورع قال بلى ولكن نور وجهك سل جسمى فتداركينى بكلمة تقنعين بها أودى فهذا مقام اللائذ بك قالت أيها المرائى المخادع اخرج عنى مذموما مدحورا فخرج عنها وقد هام قلبه واضحت جميلة تعمل الحيلة فى استخراج حقها فاتت الملك ترفع اليه ظلامتها فلم تصل اليه فاتت الحاجب فشكت اليه فاعجب بها إعجابا شديدا وقال : ان لوجهك صورة ارفعها عن هذا ولا يجمل بمثلك الخصومة فهل لك فى ضعفى مالك فى ستر ورفق فقالت سوأة لامرأة حرة تميل الى ريبة فانصرفت الى صاحب الشرطة فانهت ظلامتها اليه فاعجب بها وقال ان حجتك على الناسك لا تقبل الا بشاهدين عدلين وأنا مشترخصومتك ان انت نزلت عند مسرتى فانصرفت عنه الى القاضى فشكت اليه

فاخذت بقلبه وكاد القاضي يجن اعجابا بها وقال ياقرة العين انه لا يزهد في أمثالك فهل لك في مواصلتي وغناء الدهر فانصرفت وباتت تحتال في استخراج حقها فبعثت الجارية الى تجار فعمل لها تابوتا بثلاثة ابواب كل منهم مفرد ثم بعثت الجارية الى الحاجب ان يأتيها اذا اصبح والى صاحب الشرطة ان يأتيها نحوة والى القاضي ان يأتيها اذا تعالى النهار والى الناسك ان يأتيها اذا انتصف النهار فاتاها الحاجب فاقبلت عليه تحدثه فلما فرغت من حديثها حتى قالت لها الجارية صاحب الشرطة بالباب فقالت للحاجب ليس في البيت ملجأ الا هذا التابوت فادخل أي بيت شئت منه فدخل الحاجب بيتا من التابوت فأقفلت عليه ودخل صاحب الشرطة فاقبلت جميلة عليه تضاحكه وتلاطفه فما كان باسرع من ان قالت الجارية القاضي بالباب فقال صاحب الشرطة اين أختبي فقالت لا ملجأ الا هذا التابوت وفيه بيتان فادخل أيهما شئت فدخل فاقفلت عليه فلما دخل القاضي قالت مرحبا وأهلا وأقبلت عليه بالترحيب والتلطيف فبينا هي كذلك اذ قالت الجارية الناسك بالباب فقال القاضي ماذا ترين في رده فقالت مالي الى رده سبيل قال فكيف الحيلة قالت اني مدخلتك هذا التابوت ومخاصمته فاشهد لي بما تسمع واحكم بيني وبينه بالحق قال نعم فدخل البيت الثالث فاقفلت عليه ودخل الناسك فقالت له مرحبا بالزائر الجاني كيف بدا لك في زيارتنا قال شوقا الى رؤيتك وحنينا الى قربك قالت فالمال ما تقول فيه اشهد الله على نفسك برده أتبع رأيك قال اللهم اني أشهدك ان لجميلة عندي الف دينار وديعة زوجها فلما سمعت ذلك هتفت بجاريتها وخرجت مبادرة نحو باب الملك فانهت ظلامتها اليه فارسل الملك الى الحاجب وصاحب الشرطة والقاضي فلم يقدر على واحد منهم فقعد لها وسألها البينة فقالت يشهد لي تابوت عندي فضحك الملك وقال يحمل ذلك لجمالك فبعث بالعجلة فوضع التابوت فيها وحمل الى بين يدي الملك فقامت وضربت بيدها الى التابوت وقالت أعطى الله عهدا التنطقن بالحق وتشهدن بما سمعت أو لاضرمنك نارا فاذا ثلاثة أصوات من جوف التابوت تشهد على اقرار الناسك لجميلة بالف دينار فكبر ذلك على الملك فقالت جميلة لم أجد في المملكة قوما أوفى ولا أقوم بالحق من هؤلاء الثلاثة فاشهدتهم على غريمي ثم فتحت التابوت وأخرجت الثلاثة نفر وسألها الملك عن قصتها فاخبرته وأخذت حقها من الناسك فقال الحجاج : لله درها ما أحسن ما احتالت لاستخراج حقها . قال وكان يعقوب بن يحيى المدائني ويحيى الكاتب كاتب سهل بن رستم يتحدثان الى مهدية جارية سليمان بن الساحر فقال يعقوب يوما ليحيى أنا أشتهي ان أرى بطن مهدية فقال يحيى ما تجعل لي ان أنا احتلت لك بحيلة حتى تراه قال ما شئت قال برذونك هذا قال ، نعم ، قال ، فتوثق منه وأتى مهدية فقال لها كان لي برذون موافق فاره فنفق وأنت لو شئت لحملتني على برذون فاره ، قالت ، انا افعل وأشتريه لك بما بلغ الثمن ، قال ، أنت قادرة عليه بغير الثمن ، قالت

كيف ذلك ، فاخبرها بالقصة فقالت ، قد حملك الله على البرذون وارتحك النظر الى بطن حسن فاذا كان غدا فتعال أنت و يعقوب فاجلسا فان سليمان يعبث بوصيفته فلانة كثيرا فاذا فعل ذلك وجئت أنا فقل أنت يا مهدية لو علمت ما صنع فلان لقتلته ، قال ، نعم ، فلما جاءت مهدية قال لها ان أمر سليمان مع وصيفته اشنع مما تقدرينه ، فوثبت مستشيطة غضباً وقالت ، مثلك يا ابن الساحر يفعل هذا مرة بعد اخرى وشقة جيبها الى ان جاوزت أسفل البطن وهي قائمة فنظر الى بطنها فتاملناها ساعه وهي تشتم ابن الساحر فقام اليها يترضاها و يسكنها و يعقوب يقول وابرذوناه فاخذه منه يحيى ، وعن المساور قال كان عندنا بالاهواز رجل متاهل وكانت له ارض بالبصرة وكان في السنة يأتيها مرة أو مرتين فتزوج بها امرأة ليس لها إلا عم في الدار وكان يكثر الانحدار بعد ذلك الى البصرة فانكرت الاهوازية حاله فدست من يعرف خبره ثم احتالت و بعثت من أورد خطا لعم المرأة البصرية وسالت من كتب كتابا من عم البصرية الى زوجها على خطه بان ابنة أخ ، توفيت و يساله القدوم لاخذ ما خلفت ودست الكتاب مع انسان شبيه بالملاح فلما أتى بالكتاب خرج اليه فدفع الكتاب ولم يشك ان امرأته البصرية ماتت فقال لامرأته اجعلي لي سفرة قالت ولم قال اريد الخروج الى البصرة قالت وكم هذه البصرة قدر اتي أمرك وما اشك ان هنالك لك امرأة فانكر ذلك فقالت ان كنت صادقا فاحلف بطلاق كل امرأة لك غيري فقال في نفسه تلك قد ماتت وليس على ان احلف بطلاقها فارضى هذه فحلف لها بطلاق كل امرأة له سوى الاهوازية فقالت الاهوازية يا جارية هاتي السفرة فقد اغناه الله عن الخروج قال وما ذلك قالت قد طلقت الفاسقة وقصت عليه القصة فعرف مكرها واقام

— مساوي مكر النساء —

وذكروا ان لقمان بن عاد صاحب لبد خرج يجول في قبائل العرب فنزل بحي من العمالق فبيناهو كذلك اذ ظعن القوم فظعن معهم فسمع بامرأة تقول لزوجها فلان لو حملت سفطي هذا حتى تجاوز به الثنية فان فيه من متاع النساء ما لا بد لهن منه ولعل البعير يقع فيتكسر وذلك من لقمان بمنظر ومسمع فقال افعل فاحتمله على عاتقه فلما انحدر وجد بللا في صدره فشمه فاذا هو ريح بول قد جاء من السفط الذي على راسه ففتح السفط فاذا هو بغلام قد خرج منه يعدو فلما نظر لقمان قال يا احدى بنات طبق — و بنات الطبق ان تاتي الحية الملحفاة فتلتوي عليها فتبيض بيضة واحدة فتخرج منها حية شبرا أو نحوه لا تضرب شيئا الا أهلكته — فتبعه لقمان حتى خلته فجاء به يحمله واجتمع الناس اليه وقالوا يا لقمان احكم فيما ترى فقال ردوا الغلام في السفط يكون له مثوى حتى يرى و يعلم ان العقاب فيما أتى وتحمله المرأة بفعلها حملوها ما حملت زوجها

شدوه عليها فان ذلك جزاء مثلها فعمدوا الى الغلام فشدوه فى السفط ثم شدوه فى عنق المرأة ثم تركوهما حتى ماتا ثم فارقهم لقمان فأتى قبيلة اخرى فنزل بهم فبيناهو كذلك اذ بصر بامرأة قد قامت عن بنات لها فسألت احداهن أين تذهبين قالت الى الخلاء ثم خرجت الى بيوت الحى فعارضها رجل فقضيا جميعاً ولقمان ينظر فوقع الرجل عليها وقضى حاجته منها فقالت المرأة هل لك ان أتماوت على أهلى فانما هو ثلاثة أيام أكون فى رحمى ثم تجىء فتستخرجنى فتمتع فقال الرجل افعلى وكان اسمه الخلى وزوج المرأة اسمه الشجى فقال لقمان — ويل للشجى من الخلى فذهبت مثلا فلم تلبث المرأة الا أياما حتى تماوتت على أهلها وكان الميت منهم اذا مات تجعل فوقه الحجارة ولم تكن اذذاك قبور فلما كان اليوم الثالث جاءها خليلها فاخرجها وانطلق بها الى منزله وتحول الحى من ذلك المكان وخافت المرأة أن تعرف فجزت شعرها وتركت لنفسها جمة فبيناهم كذلك اذ خرج بنات المرأة فاذا هن بامرأة جالسة ذات جمة فقالت الصغرى أمى والله ، قالت الوسطى صدقت والله ، قالت المرأة كذبتما ما أنا بكما ، قالت الكبرى صدقت والله لقد دفنا أمنا غير ذات جمة ما كان لامنا إلا لمة ، قالت الصغرى هبك أنكرت أعلاها أما تعرفين أخراها فتعلقت بها فقالت الام صغراهن مرها هن فذهبت مثلا واجتمع الناس وجاء زوج المرأة فارتفعوا الى لقمان فقالوا احكم بيننا فقال لقمان * عند جهينة الخبر اليقين *

فذهبت مثلا وكان يلقب بجهينة فقال لقمان للمرأة أخبرك أم تخبرينى ، قالت بل قل قال انك قلت لهذا انى متماوتة على أهلى فاذا دفنونى فى رحمى جئت فاستخرجتنى وأتنكرلهم فلا يعرفونى فتنعم ما بقينا فاعترفت المرأة فقيل للقمان احكم بيننا قال ارجموها كما رجمت نفسها فحفر لها حفرة وألقوها فيها ورجموها وكانت أول مرجومة فى العرب ثم ان زوجها تعلق بالخلى فقال يالقمان هذا فرق بينى وبين أهلى فقال لقمان لكل ذكر انثى ولكل اول آخر فرق بينك وبين انثاك وتفرق بين ذكره وبين انثييه فقطع ذكره فمات

﴿ محاسن الغيرة ﴾

روى انه اذا اغير الرجل فى اهله او فى بعض مناكحه او مملوكته فلم يغر بعث الله جل اسمه اليه طيراً يقال له القرقفنة حتى يسقط على عارضة بابه ثم يمهله اربعين صباحا يهتف به إن الله غيور يحب كل غيور فان هو تغير وانكر ذلك والا طار حتى يسقط على راسه فيخفق بجناحيه على عينيه ثم يطير عنه فينزع الله منه روح الايمان وتسميه الملائكة الديوث ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء فان كانت المعاينة واللقاء كان الداء الذى لا دواء له . وروى إن امرأة ذات عقل ورأى حملت من فاجر فقيل لها فى ذلك فقالت قرب الوساد

وطول السواد . تريد قرب مضجعه منها وطول مسارته اياها ، وقال صلى الله عليه وسلم النساء حبائل الشيطان وقال سعيد ابن مسلم لان يرى حرمتي الف رجل على حال تكشف وهي لا تراهم احب إلى من ان ترى حرمتي رجلا مواجهة . وقيل لعقيل بن علفة الا تزوج بناتك فقال اجيعهن فلا ياشرن واعرهن فلا يظهرن فوافق احدى كلمتيه قول النبي صلى الله عليه وسلم . الصوم وجاء السيئة والاخرى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه . استعينوا عليهن بالعرى وغاية اموال الرجال وكسبهم وهمهم وما يملكون انما هو مصروف الى النساء فلو لم يكن الا ما يعد لهن من الطيب والحلى والكساء والفرش والآنية كان في ذلك ما كفى ولو لم يكن الا الاهتمام بالحفظ والحراسة وخوف العار من خيانتهن والجناية عليهن لكان في ذلك المؤونة العظيمة والمشقة الشديدة غير إن اولى الاشياء بالرجال حفظهن وحراستهن فليس شيء لهن اصلح من مباعدتهن عن الرجال وقمعهن بالعرى والجوع ومن حق الملوك ان لا يرفع احد من خاصتها وبطانتها رأسه الى حرمة لها صغرت ام كبرت فكم من فيل وطئ هامة عظيم وبطنه حتى بدت امعاؤه وكم من شريف وعزيز قوم قدمزقته السباع ونهشته وكم من جارية كريمة على قومها عزيزة في اهلها قد أكلها حيتان البحر وطير الماء وكم من جمجمة كانت تصان وتعل بالمسك والبان قد القيت بالعراء وغيبت جثتها في الثرى بسبب الحرم والخدم والغلمان ولم يات الشيطان احدا قط من باب حتى براه بحيث من يهوى مستقيم اللحم والاعضاء هو أبلغ من مكيدته وأحرى أن يرى فيه أمنية من هذا الباب اذ كان من ألطف مكائده وأدق وساوسه وأجل نزاينه ، وقيل لابنة الخس لم زنيت بعبدك ولم تزن بحر قالت طول السواد وقرب الوساد . . وقيل لو أن أقبح الناس وجهاً وأنتنهم رائحة واظهرهم فقراً واستطهم نفساً وأوضعهم حسباً قال لامرأة تمكن من كلامها ومكنته من سمعها : والله يا مولاتي لقد أسهرت ليلي وأرقت عيني وشغلتني عن مهم أمري فما أعقل أهلا ولا ولدا ولو كانت أبرع الناس جمالا وأكملهم كمالا وأملحهم ملاحة وان كانت عينه تدمع بذلك ثم كانت تكون مثل أم الدرداء أو معاذة العدوية أو رابعة القيسية لمالت اليه وأحبته ومنها قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اضربوهن بالعرى فان النساء يخرجن الى الاعراس ويقمن في المناحات ويظهرن في الاعياد ومتى كثر خروجهن لم يعدم أن يرين من هو من شكلهن ولو كان بعلهن أتم حسناً وأحسن وجهاً والذي رأت انقص حسنا ولكان مالا تملكه أظرف عندها مما تملكه ولكان ما لم تملكه أو تستكثر منه أشد لها اشتغالا واجتذابا . قال الشاعر

وللعين ملهى بالنساء ولم يقد * هوى النفس شيء كاقتياد الطرائف

وكانت الاكاسرة اذا امتحنت الخاصة من أصحابها وخف الواحد عنهم على قلب الملك

وكان الرجل عالما بالحكمة موضعا للامانة فى الدماء والفروج والاموال على ظاهره فيأمره أن يتحول الى منزله وان تفرغ اليه حجرة وان لا يتحول اليه بامرأة ولا جارية ولا حرمة و يقول له أريد بك الانس فى ليلى ونهارى ومتى كان معك بعض حرمك قطعك عنى فاجعل منصرفك الى منزلك فى خمس ليال فاذا تحول الرجل أنس به وخلا معه وكان آخر من ينصرف من عنده فيتركه على هذه الحالة أشهرا . امتحن ابرويز رجلا من خاصته بهذه المحنة ثم دس اليه جارية من بعض جواريه و وجه معها اليه بالطاف وهدايا وأمرها ان لا تقعد عنده فى اول مرة فاتته بالطاف الملك وقامت بين يديه ولم تلبث ان انصرفت حتى اذا كانت المرة الثانية امرها ان تقعد هنيهة وان تبدى عن محاسنها حتى يتاملها ففعلت ولاحظها الرجل وتأملها وجعل الرجل يحد النظر اليها و يسر بمحادثتها ومن شان النفس ان تطلب بعد ذلك الغرض من هذه المطايبة فلما ابدى ما عنده قالت اخاف ان يعثر علينا ولكن دعنى حتى ادبر فى هذا ما يتم به الامر بيننا ثم انصرفت فاخبرت الملك بذلك و بكل شىء جرى بينهما فلما كانت المرة الثالثة امرها ان تطيل القعود عنده وان تحدثه وان اراد ها على الزيادة فى المحادثة اجابته اليه ففعلت ووجه اليه اخرى من خواص جواريه وثقاتهن بالطافه وهداياه فلما جاءت قال لها ما فعلت فلانة قالت اعتلت فاربدّ لون الرجل ثم لم تطل القعود عنده كما فعلت الاولى ثم عاودته فقعدت اكثر من المقدار الاول وابدت بعض محاسنها حتى تاملها وعاودته فى المرة الثالثة واطالت القعود والمضاحكة والمهازلة فدعاها الى ما فى تركيب النفس من الشهوة فقالت انا من الملك على خطا يسيرة ومعه فى دار واحدة ولكن الملك يمضى بعد ثلاث الى بستانه الذى بموضع كذا فيقيم هناك فان ارادك على الذهاب معه فاظهر انك عليل وتمارض فان خيرك بين الانصراف الى نسائك او المقام ههنا فاختر المقام واخبره انك لا تقدر على الحركة فان اجابك الى ذلك جئت من اول الليل فاكون معك الى آخره فسكن الرقيع الى قولها وانصرفت الجارية فاخبرت الملك بكل ما دار بينهما فلما كان فى الوقت الذى وعدته ان يخرج الملك فيه دعاه الملك فقال للرسول اخبرنى عليل فلما جاءه الرسول واخبره تبسم وقال هذا اول الشر فوجه اليه محفة يحمل فيها فاتاه وهو معصب فلما بصر به قال والمحفة الشر الثانى فبين العصابة فقال والعصابة الشر الثالث فلما دنا من الملك سجد فقال له متى حدثت بك هذه العلة قال هذه الليلة قال فاى الامرين احب اليك الانصراف الى نسائك لتمريضك ام المقام ههنا لوقت رجوعى قال المقام ههنا ايها الملك أوفق لعلة الحركة فتبسم ابرويز وقال حركتك ههنا ان تركت اكثر من حركتك فى منزلك ثم امر له بعصا الزناة التى كان يرسم بها من زنى فايقن الرجل بالشر وامر ان يكتب له ما كان من امره حرفا حرفا فيقرأ على الناس اذا حضروا وان ينفى الى اقصى مملكته وتجعل العصا فى راس رمح يكون معه حيث كان

ليحذر من يعرفه منه فلما خرج الرجل من المدائن متوجها به نحو فارس أخذ مدية كانت مع بعض الموكلين به فجب بها ذكره وقال من أطاع عضوا صغيرا من اعضائه افسد عليه جميع اعضائه فمات من ساعته ، وفيما يذكر عن انوشروان انه انهم رجلا من خاصته فى بعض حرمه فلم يدر كيف يقتله لانه هو وجد أمرا ظاهرا يحكم بمثله الحاكم فيسفك به دمه ولا قدر على كشف ذنبه لما فى ذلك من الهون على الملك والمملكة ولا وجد عذرا لنفسه فى قتله غيلة اذ لم يكن فى شرائع دينهم و وراثة سلفهم فدعا الرجل بعد جنايته بسنة فى خلوة فقال قد حز بنى أمر من اسرار ملك الروم و بى حاجة الى علمها وما اجد لى اسكن الى أحد سكونى اليك اذ خالطت من قلبى المحل الذى أنت به وقد رأيت ان تحمل لى مالا الى هناك للتجارة وتدخل بلاد الروم فتقيم بها فاذا بعت ما معك حملت مما فى بلادهم من تجاراتهم وأقبلت الىّ و فى خلال ذلك تصغى الى اخبارهم وتطلع الى ما بنا الحاجة الى معرفته من أمورهم واسرارهم فقال افعل ايها الملك وأرجوا ان ابلغ فى ذلك محبة الملك و رضاه فامر له بمال وتجهز الرجل وخرج بتجارته فاقام فى بلاد الروم حتى باع واشترى وفهم من كلامهم ولغاتهم ما عرف به مخاطباتهم و بعض أسرار ملكهم وانصرف الى انوشروان بذلك فاراه الايثار به وزاد فى برد وردده الى بلادهم وأمره بالمقام والتربص بتجارته ففعل حتى عرف واستفاض ذكره فلم تزل تلك حاله ست سنين حتى اذا كانت السنة السابعة أمر الملك ان تصور صورة الرجل فى جام من جاماته التى يشرب فيها وتجعل صورته بازاء صورة انوشروان و يجعل مخاطبا لانوشروان ومشيرا عليه واليه ويدنى رأسه من رأس الملك فى تلك الصورة كانه يسارّه ثم وهب ذلك الجام لبعض خدمه وقال ان الملوك يرغبون فى مثل هذا الجام فاذا أردت بيعه فادفعه الى فلان اذا خرج نحو بلاد الروم بتجارته وقل له يبيعه من الملك نفسه فانه ينتفعك فان لم يمكنه بيعه من الملك باعه من وزيره أو بعض خاصته فجاء غلام الملك بالجام وقد وضع الرجل رجله فى الركاب فسأله ان يبيع جامه من الملك وان يتخذ عنده بذلك يدا وكان الملك يعز ذلك الغلام وكان من خاصة غلمانه وصاحب شرابه فاجابه الى ذلك وأمر بدفع الجام الى صاحب خزانته وقال احفظه فاذا صرت الى باب الملك فليكن مما أعرضه عليه فلما صار الى باب الملك دفع صاحب الخزانة اليه الجام فعرضه على الملك فيما عرض عليه فلما وقع الجام فى يد الملك نظر اليه ونظر الى صورة انوشروان فيه والى صورة الرجل وتركيبه عضوا عضوا وجارحة جارحة فقال للرجل أخبرنى هل يصور مع صورة الملك رجل خسيس قال لا قال فهل تصور فى آنية الملك صورة لا اصل لها ولا علة قال لا قال فهل فى دار الملك اثنان يتشابهان فى صورة واحدة حتى يكون هذا كانه ذاك فى الصورة وكلاهما نديما الملك قال لا أعرفه قال له قم قائما فقام فوجد صورته فى الجام فقال له أتبرفاد برفاتأمل صورته فى الجام فوجدهما بحكاية

واحدة فضحك ولم يجسر الرجل أن يسأله عن سبب ضحكه اجلالا له واعظاما فقال ملك الروم الشاة اعقل من الانسان اذ كانت تخفى مديتها وتدفنها وانما أهديت اليناميدتك بيدك فقال للرجل تغديت قال لا قال قربوا له طعاما قال أيها الملك أنا عبد والعبد لا يأكل بحضرة الملك قال الملك أنت عبد مادمت عند ملك الروم مطلعاً على أموره متتبعاً لاسراره ملك اذا قدمت بلاد فارس وتديم ملكها اطعموه فاطعم وسقى الخمر حتى اذا ثمل قال من سير ملوكنا ان لا نقتل الجاسوس الا فى أعلا موضع نقدر عليه ولا نقتله جائعاً ولا عطشانا فامر به فاصعد الى سطح كان يشرف منه على كل من كان فى المدينة اذا صعد فضربت عنقه هناك وألقيت جثته من ذلك السطح ونصب رأسه للناس فلما بلغ ذلك كسرى أمر صاحب الجرس أن يضرب باجراس الذهب ويمر على دور نساء الملك وجواريه ويقول كل نفس ذائقة الموت كل أحد اذا وجب عليه القتل ففى الارض يقتل الا من تعرض لحرمة الملك فانه يقتل فى السماء فلم يدر أحد من اهل المملكة ما أراد به حتى مات

﴿ ومثله من أخبار العرب ﴾ ذكروا انه كان لطسم وجديس ملك يقال له عمليق ظلوم غشوم وكانت لا تزف جارية الى زوجها إلا بدأ وهبها فافترعها وردها الى بعلها ثم أن رجلا من جديس تزوج غفيرة بنت غفار عظيم جديس ورئيسها فلما أرادوا أن يهدوها اليه بدأ وابها عمليق فادخلوها عليه ومعها القيان يتغنين ويضربن بالدفوف ويقلن

إبدى بعمليق ومعه فاركبى * وبادرى الصبح بأمر مُعجِبِ
فسوف تلقين الذى لم تطلبى * ولم يكن من دونه من مذهب

فجعلت تقول وهى تزف

ما أحدٌ أذلُّ من جديسِ * أهكذا يفعلُ بالعَرُوسِ
يرضى بهذا يا لقومى حُرُّ * من بعدِ ما أهدى وسيق المهرُ
لأن يُلاقى المرءُ موتَ نفسِهِ * خيرٌ له من فعل ذا بعرسه

فلما دخلت عليه افترعها ثم خلى سبيلها فخرجت ووقفت على أخيها الاسود بن غفار وهو قاعد فى نادى قومه وقد رفعت ثوبها عن عورتها وأنشأت تقول

أيصلحُ ما يُؤتى إلى فتياتكمْ * وأنتم رجالٌ كثرةً عددُ الرَّملِ
وترضون هذا يا لقومى لأختكم * عَشيةَ زُفت أفى النساء إلى البعل
فإن أنتمُ لم تغضبوا بعدَ هذه * فكونوا نساءً فى المنازل والحجل
ودونكمُ طيبَ النساء وانما * خُلقتمْ جميعاً للتزيُّنِ والكحلِ

فلو أننا كنا رجالا وكنتمُ * نساءً لكنّا لا نقيمُ على ذحل
فقبحاً لبعلٍ ليسَ فيهِ حميّةٌ * ويختالُ يمشي بيننا مشيةَ الفحل
فمونوا كراماً أو أصيبوا عدوّكمْ * بداهيةٍ تُورى ضراماً من الجزل
وإلا نخلّوا داركمْ أو ترحّلوا * إلى بلدٍ قفرٍ خلاءٍ منَ الاهلِ
ولا تخرجوا للحربِ يا قومِ إنها * تقومُ بأقوامٍ شدادٍ على رجل
فيهلك فيها كلُّ وغدٍ مُوَاكل * ويَسلَمُ فيها ذو الطعانِ وذو القتل

فلما سمعت جديس شعرها أنفت أنفاً شديداً وأخذتهم الحمية فتآمروا بينهم وعزموا على اغتيال الملك وجنوده فقالوا ان نحن بادئناهم بالحرب لم نقو عليهم لكثرة جندهم وانصارهم فاتفقوا على ذلك ثم ان الاسود أتى الملك فقال . انى احب ان تجعل غداءك عندى أنت وجنودك، فقال عملیق ان عدد القوم كثير وأحسب ان البيوت لا تسعهم فقال الاسود . فنخرج لهم الطعام الى بطن الوادى فقال لقومه اذا اشتغل القوم بالاكل فسلوا سيوفكم واعملوا على ان تحملوا حملة رجل واحد واقتلوهم عن آخرهم وهيأ الاسود ما احتاج اليه من الطعام وجاء الملك فلما أكب القوم على الاكل بادرت جديس الى سيوفهم ثم حملت على الملك وعلى جنوده والاسود يرتجز ويقول

يا صُبْحَةً يا صبحةَ العروس * حتى تمشّتْ بدمٍ جميسِ
يا طَسْمَ ما لقيتِ من جديس * هلكتِ يا طسمَ فهيسى هيسى

فقتلوه وجنوده جميعاً ، ومثله القطيون ملك تهامة والحجاز فانه سلك مسلك عملیق فى ملك طسم وجديس فى امر النساء فأمر أن لا تزف من اليهود فى مملكته امرأة إلا بدأوه بها فلبث على ذلك عدة أحوال حتى زوجت امرأة من اليهود على ابن عم لها وكانت ذات جمال رائع وكانت أخت مالك بن عجلان من الرضاعة فلما أرادوا أن يهدوها الى زوجها خرجت الى نادى الاوس والخزرج رافعة توبها الى سرتها فقام اليها مالك بن العجلان فقال ويحك وما دهاك فقالت وما يكون من الداهية أعظم من ان ينطلق بى الى غير بعلى بعد ساعة فأنف من ذلك أنفا شديدا فدعا ببزة امرأة فلبسها فلما انطلقوا بالمرأة الى القطيون صاركوا حدة من نسائها اللواتى ينطلق بها متشبها بامرأة وقد أعد سكينا فى خفه فلما دخلت المرأة على القطيون مال مالك الى خزانة فى ذلك البيت فدخلها فلما خرج النساء ودخلت المرأة قام اليها ليفترعها فخرج اليه مالك بالسكين فوجأه فقتله ثم قال لليهود دونكم جنوده فاقتلوهم فاجتمعت عليهم فقتلوهم عن آخرهم

﴿ومنه أخبار وأمثال﴾ ذكروا ان اول من قال العجب كل العجب بين جمادى ورجب عاصم بن المقشعر الضبى وذلك ان الحنيفس بن خشرم كان اغير اهل زمانه واشجعهم

وكان لعاصم أخ يقال له عبيدة عزيز فى قومه فهوى امرأة كانت تأتى الخنيفس فبلغ الخنيفس ذلك فتواعد عبيدة وركب الخنيفس فرسه وأخذ رمحه وانطلق يتربص عبيدة حتى وقف على ممره فاقبل عبيدة وقد قضى من المرأة وطراً وهو يقول

ألا إن الخُنَيْفِسَ فاعلموه * كما سَمَّاهُ والدُهُ لعينُ
بَهِيمُ اللونِ مُحتقَرٌ ضئيلٌ * لئيمٌ خلائقُهُ ضنينُ
أيوعدُنى الخُنَيْفِسُ من بعيدٍ * ولما يلقَ مأبضهُ الوتينِ
لهوتُ بجارَتيهِ وحادَ عنى * ويزعمُ أنهُ أنفٌ شفونُ

فعارضه الخنيفس وهو يقول

أيا ابنَ المقشعرِّ لقيتَ ليثاً * له فى جوفِ أيكتِهِ عَرينُ
تقولُ لهُ صدَدْتَ حِذارَ حينٍ * وأنكَ نَشْوَ أبطالٍ مبينُ
وأنكَ قد لهوتَ بجارَتينا * فهاكَ عُبيدَ لاقاكَ القرينُ
ستعلمُ أيُنا أحمى ذِماراً * إذا قصُرَتْ شمالُكَ واليمينُ
لهوتَ بها لقد أبدلتَ قبراً * وباكيةً عليكَ لها رَنينُ

فقال عبيدة أذكرك الله وحرمة خشرم فقال والله لاقتلنك فقتله فلما بلغ أخاه عاصما خرج اليه ولبس أطمارا وركب فرسه وكان فى آخر يوم من جمادى فاقبل يبادر دخول رجب لانهم كانوا لا يقتلون فى رجب أحداً فانطلق حتى وقف بباب خنيفس ليلا وقال أجب المرهوق قال وماذاك قال العجب كل العجب بين جمادى ورجب وانى رجل من ضبة غصب أخ لى امرأة فخرج يستنقذها فقتل وقد عجزت عن قاتله فخرج الخنيفس مغضباً وأخذ رمحه وركب وانطلق معه فلما تحى به عن قومه دنا منه فقنعه بالسيف فابان رأسه ، ويقال ان أول من قال سبق السيف العذل ضمضم بن عمرو اللخمى كان يهوى امرأة فطلبها بكل حيلة فأبت عليه وطلبها عزيز بن عبيد بن ضمضمة فاتته وتأبت على ضمضم وكان ضمضم من أشد قومه بأسا فاغاظ ذلك وانطلق ليلة وهو متقلد سيفه حتى صار بمكان يراهما اذا اجتمعا ولا يرياه فلما نام الناس وطال هدو ضمضم اذا العزيز قد أقبل على فرسه وهو يقول

أمامُ تُوَلِّينى ونابى بنفسها * على ضمضمٍ نعساً ورغماً لضمضمِ

وضمضم يسمع فنزل وربط فرسه ونزل الى ناحية خبائها فصدح صدوح الحمام وكان آية ما بينهما فخرجت اليه فعانقها وضمضم ينظر ثم واقعها فلما رآهما مشى اليهما بالسيف وهو يقول

ستعلمُ أنى لستُ أعشقُ مبغِضاً * فكان بنا عنها وعنكَ عَزاءُ

وقتله فعلم القوم بضمضم فأخذوه فلما أصبح ابرز الى النادى ليقتل فجعلوا يلومونه على قتله ابن عمه فقال سبق السيف العذل ، و يقال ان أول من قال خير قليل وفضحت نفسى فاثرة امرأة مرة الاسدى وكانت من أجمل النساء فى زمانها وكان زوجها غاب عنها أعواما فهويت عبدا له حبشيا يرعى إبلها فأمرته ان يحضر مضجعها وكان زوجها منصرفا قد نزل تلك الليلة منها على مسيرة يوم فبيناهو يطعم ومعه أصحابه اذ نعق غراب فأخبره ان امرأته لم تعهر قط ولا تعهر الا تلك الليلة فركب فرسه ومر مسرعا وهو يرجوان هو منعها تلك الليلة أمنها فيما بقى فانتهى اليها حين قام العبد عنها وندمت وهى تقول خير قليل وفضحت نفسى فسمعها زوجها وهو يرعد لما به من الغيظ فقالت له ما يرعدك فقال يعلمها انه قد علم خير قليل وفضحت نفسى فشهمت شهمة خرت ميتة فقتل زوجها العبد وجعل يقول

لعمرك ما تعادنى منك لوعة * ولا أنا من وجد بذكراك أسهد

قيل وكانت هند بنت عتبة تحت الفاكه بن المغيرة المخزومى وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت ضيافة يغشاه الناس من غير اذن فخلا ذلك البيت يوما فضجع الفاكه وهند فيه فخرج الفاكه لبعض حوائجه وأقبل رجل ممن كان يغشى ذلك البيت فولجه فلما رأى المرأة ولى هاربا فرآه الفاكه وهو خارج من البيت فاقبل الى هند فضربها برجله وقال من هذا الرجل الذى خرج من عندك قالت ما رأيت احدا ولا انتبهت حتى نبهتنى فقال لها الحقى باهلك فتكلم الناس فيها فقال لها أبوها يا بنية ان الناس قد أكثروا فيك فاصدقينى فان كان الرجل فى قوله صادقا سببت له من يقتله فتنقطع عنك القالة وان كان كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فحلفت له بما يحلفون به فى الجاهلية انه لكاذب فقال عتبة للفاكه يا هذا إنك قد رميت ابنتى بامر عظيم فحاكمنى الى بعض كهان اليمن فخرج عتبة فى جماعة من بنى عبد مناف وخرج الفاكه فى جماعة من بنى مخزوم وأخرجوا معهم هندا ونسوة معها فلما شارفوا البلاد قالوا غدا نرد على الكاهن فتغيرلون هند فقال لها أبوها انى أرى ما بك فهلا كان هذا قبل خروجنا قالت لا والله يا أبتاه ما ذلك لمكروه ولكن سنا ثنى بشر أتخطى و يصيب فلا نأمن أن يسومنى مما يكون فيه سبة على باقى عمرى قال انى سوف اختبره قبل ان ينظر فى أمرك فاخذ حبة من حنطة فادخلها فى احليل فرسه وأوكى عليها بسير فلما دخلوا على الكاهن قال له عتبة ما كان منى فى طريقى قال ثمره فى كمره قال احتاج الى أبين من هذا قال حبة بر فى احليل مهر قال صدقت فما بال حال هؤلاء النسوة فجعل يدنو من احداهن فيضرب بمنكبها حتى أتى الى هند فضرب بمنكبها وقال انهضى غير رسحاء ولا فاحشة ولتلدن ملكا يقال له معاوية فوثب اليها الفاكه فأخذ بيدها فنزعت يدها من يده وقالت اليك عنى والله لاجهدن ان يكون ذلك من غيرك فتزوجها أبوسفيان بن حرب فجاءت بمعاوية ، قيل وكان عمر

ابن الخطاب رضى الله عنه يمس بنفسه فسمع امرأة تقول

ألا سبيلٌ إلى خمرٍ فأشربها * أم هل سبيلٌ الى نصر بن حجاج

إلى فتىً ماجدِ الاخلاقِ ذى كرمٍ * سهل المحيّا كريمٍ غير ملجاجِ

فقال عمر أما مادام عمر إماما فلا، فلما أصبح قال على بنصر بن الحجاج فاتى به فاذا هو رجل جميل فقال اخرج من المدينة ، قال : ولم وماذنبى ، قال اخرج فوالله ما تسا كننى فخرج حتى أتى البصرة وكتب الى عمر رضى الله عنه

لعمرى لئن سيّرتنى وحرمتنى * ولم آتِ إنماً إنّ ذا لحرامُ

ومالىَ ذنبٌ غيرَ ظنٍّ ظننته * وبعضُ تصاديقِ الظنونِ إثامُ

وإن غنّتِ الدّلفاءُ يوماً بمنيتى * فبعضُ أمانىّ النساءِ غرامُ

فظنّ بىَ الظنّ الذى لو أتيته * لما كانَ لى فى الصّالحينَ مُقامُ

وتمنعُنى مما تمنّتْ حفيظتى * وآباءُ صدقٍ سالفونَ كرامُ

وتمنعُها مما تمنّتْ صلاتُها * وبيتٌ لها فى قومها وصيامُ

فهذا ن حالا نافهل أنتَ مُرجعى * فتدجُبٌ منّى غاربٌ وسنامُ

قال .. فردّه عمر بعد ذلك لما وصف من عفته ، وروى أيضاً ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يمس بالمدينة ذات ليلة اذ سمع امرأة تهتف وتقول

تطاوَلَ هذا الليلُ واسوَدّ جانبهُ * وأرّقنى إذ لا خليلَ ألاعبُهُ

فوالله لولا اللهُ لا ربَّ غيرُهُ * لزُعزعَ من هذا السّريرِ جوانبهُ

ولكنّ ربى والحياءُ يكُفنى * وأكرمُ بعلى أن تُوطّا مراكبه

قال فرجع عمر الى منزله فسأل عن المرأة فاذا زوجها غائب فسأل ابنته حفصة كم تصبر المرأة عن الرجل فسكتت واستحيت وأطرقت فقال أربعة اشهر خمسة أشهر ستة أشهر فرفعت طرفها فعلم أنها لا تصبر اكثر من ستة اشهر فكتب الى صاحب الجيش ان يقفل من الغزو الرجال اذا أتت ستة أشهر الى أهاليهم ، وغزا رجل من الانصار وله جار يهودى فأتى امرأته واستلقى ذات ليلة على ظهره وأنشأ يقول

وأشعثَ غرّهُ الإسلامُ منى * خلوتُ بعرسهِ ليلَ التّمامِ

أبيتُ على ترائبها ويُضحى * على جرداءَ لاحقةِ الحزامِ

فسمع ذلك جاره فضربه بالسيف حتى قطعه فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال انشد الله رجلا كان عنده من هذا علم الا قام ، فقام الرجل فحدثه فقال : أحسنت أحسنت ،

وتمام الابيات

كأنّ مجامع الربلات منها * فئامٌ قد جُمعنَ إلى فئام

﴿ ومنه أخبار الشعراء ﴾ قيل لما خرج امرؤ القيس بن حجر الى قيصر ملك الروم ليسأله النصرة على بنى أسد لقتلهم أباه حجر بن الحارث راسل بنت قيصر وأرادان تخدعها عن نفسها و بلغ ذلك قيصر وأرادان يقتله فتندم من ذلك وأمر بقميص فغمس فى السم وقال لامرىء القيس البس هذا القميص فانى أحببت ان أوثرك به على نفسى لحسنه و بهائه فعمل السم فى جسمه وكثرت فيه القروح فمات منها فسمى ذا القروح وقد كان قيل لقيصر قبل ذلك انه هجاه فعندها يقول

ظلمتُ له نفسى بأنْ جئتُ راغباً * إليه وقد سيَّرتُ فيه القوافيا

فإنّكَ مظلوما فقدما ظلمتهُ * و بالصّاع يُجزَى مثلَ ماقد جزَانيا

قيل وكان النابغة يشبب بالمتجردة امرأة النعمان بن المنذر وكانت أكمل اهل عصرها جمالا فبلغ ذلك النعمان فهم بقتل النابغة فهرب منه وسار حتى أتى الشام والملك بها جبلة بن الايهم الغسانى فنزل عليه واقام عنده وكتب الى النعمان

حلفتُ ولم أترُكْ لنفسكَ ريبةً * وليسَ وراءَ اللهِ للمرءِ مذهبُ

لئنْ كنتَ قد بُلِّغتَ عنى خيانة * لَمُبلِغُكَ الواشى أغشُّ وأكذبُ

قيل وكانت امرأة شداد أبى عنترة ذكرت له أن عنترة اراد ها عن نفسها فاخذه أبوه فضربه ضرب التلف فقامت المرأة فالقت نفسها عليه لما رأت مابه من الجراحات و بكته وكان اسمها سمية فقال عنترة

أمِنْ سُميةَ دمعُ العينِ مذروفُ * لوكانَ ذامنكِ قبلَ اليومِ معروفُ

كانها يومَ صدَّتْ ماتُكلّمنا * ظبيٌ بعسفانَ ساجى العينِ مطروفُ

قامت تجلانى لمّا هوَى قبَلى * كانها صنمٌ يعتادُ مَعكوفُ

المالُ مالكمُ والعبدُ عبدُكمُ * فهلْ عذابكِ عنى اليومَ مصروفُ

قيل ولما انشد عبد بنى الحسحاس عمر بن الخطاب رضى الله عنه قصيدته التى يقول فيها

تُوسِّدُنى كفا وتمضى بمعصمٍ * علىَّ وتنحو رجلها من ورائيا

فما زالَ بردى طيباً من ثيابها * إلى الحولِ حتى أنهجَ البُردُ بالياً

وهبَّتْ لنا ريحُ الشمالِ بقوَّةٍ * ولا بُرْدَ إلاّ دِرعها ورِدائيا

أميلُ بهاميلَ الرَّديفِ وأتّقى * بها الرّيحَ والشفّانَ من عن شماليا

رأت قتباً رثاً وأخلاق شملة * وأسود مما يلبس الناس عاريا
تجمعن شتى من ثلاث وأربع * وواحدة حتى كملن ثمانيا
سليمى وسلمى والرباب وتربها * وأروى وريا والمنى وقطاميا
وأقبلن من أقصى البلاد يعدنني * إلا إنما بعض العوائد دائيا

قال عمر رضى الله عنه أنت مقتول فلما قال

ولقد تحدر من كريمة معشر * عرق على متن الفراش وطيب

وجدوه شاربا عملا فعرضوا عليه نسوة حتى مرت به التى يطلبونها فأهوى اليها فقتلوه

﴿ مساوى شدة الغيرة والعقوبة عليها ﴾

حكى عن سليمان بن عبد الملك انه كان فى بعض أسفاره فسمر معه قوم فلما تفرقوا عنه دعا بوضوء فجاءته جارية فبينا هى تصب الماء على يده اذا استمدها وأشار اليها مرتين أو ثلاثا فلم تصب عليه فأنكر ذلك ورفع رأسه فاذا هى مصغية بسمعها مائلة بجسدها الى صوت غناء من ناحية العسكر فأمرها فتنحت فسمع الصوت فاذا رجل يغنى فانصت له حتى فهم ما غنى فدعا بجارية غيرها فتوضأ فلما أصبح أذن للناس فاجرى ذكر الغناء فلم يزل يخوض فيه حتى ظن القوم انه يشتهيه فأفاضوا فيه وذكروا ما جاء فى الغناء والترخيل لمن سمعه وذكروا من كان يسمعه من سروات الناس فقال هل بقى أحد يسمع منه فقال رجل من القوم عندى رجلان من اهل الابلة محكمان قال فاين منزلك من العسكر فأومأ الى ناحية الغناء فقال سليمان ابعث اليهما ففعل فوجد الرسول احدهما وأقبل به وكان اسمه سمير فسأله عن الغناء وكيف هو فيه قال محكم قال متى عهدك به قال البارحة قال وفى اى النواحى كنت فذكر الناحية التى سمع منها الصوت قال وما اسم صاحبك قال سنان قال فاقبل سليمان على القوم فقال هدر الفحل فضربت الناقة وذب التيس فشكرت الشاة وهدل الحمام فزافت الحمامة وغنى الرجل فطربت المرأة ثم امر به فخصى وسأل عن الغناء أين اصله قالوا بالمدينة وهم المخنثون فكتب الى عامله ان أخص من قبلك من المخنثين وحدث الاصمعى ان الشعر الذى سمعه سليمان يتغنى به هو

تحجوبة سمعت صوتى فارقها * من آخر الليل لما بلها السحر
تدنى على الخد منها من معصفرة * والحلى باد على لباتها خصر
فى ليلة البدر ما يدرى مضاجعها * أوجهها عنده أبهى أم القمر
لم يمنع الصوت أبواب ولا حرس * فدمعها لطروق اللحن يتحدر

لو تستطيع مُشَتْ نحوى على قدمٍ * تكادُ من رقةٍ فى المشى تنفطرُ

ثم دخل سليمان مضرب الخدم فوجد جارية على هذه الصفة قاعدة تبكى فوجه الى سنان فاحضره ووجهت الجارية رسولا الى سنان تحذره وجعلت للرسول عشرة آلاف درهم ان سبق رسول سليمان فلما حضر أنشأ يقول

إستبقنى إلى الصباح أعتذرْ * إنَّ لسانى بالشرابِ مُنكسر

فأرسلِ المعروفَ فى قومٍ نُكُرْ

فامر به فخصى وكان بعد ذلك يسمى الخصى ، وعن على بن يقطين قال كنت عند موسى الهادى ذات ليلة مع جماعة من أصحابه اذ أتاه خادم فسار ه بشئ فنهض سريعاً فقال لا تبرحوا فمضى قابطأ ثم جاء وهو يتنفس ساعة حتى استراح ومعه خادم يحمل طبقا مغطى بمنديل فقام بين يديه فاقبل يرعد وعجبنا من ذلك ثم جلس وقال للخادم ضع ما معك فوضع الطبق وقال ارفع المنديل فرفعه فاذا على الطبق رأسا جاريتين لم أر والله أحسن من وجهيهما قط ولا من شعورهما فاذا على رأسيهما الجوهر منظوم على الشعر واذا رائحة طيبة تفوح فاعظمنا ذلك فقال أتدرون ما شأنهما قلنا لا قال بلغنى أنهما تحابا فوكلت هذا الخادم بهما ليهدى إلى اخبارهما فجاءنى وأخبرنى انهما قد اجتمعتا فجئت فوجدتهما كذلك فى لحاف فقتلتهما ثم قال ياغلام ارفع ورجع فى حديثه كانه لم يصنع شيئاً ، وحدثنا ابراهيم بن اسماعيل عن ابن القداح قال ، كانت للربيع جارية يقال لها أمة العزيز فاهداها للمهدى فلما رأى حسنها وجمالها وهيأتها قال هذه لموسى أصلح فوهبها له فكانت أحب الخلق اليه وولدت له بنيه الاكابر ثم ان بعض أعداء الربيع قال لموسى انه سمع الربيع يقول ما وضعت بينى وبين الارض مثل أمة العزيز فغار موسى فدعا الربيع فتغدى معه وناوله كاسا فيه شراب فقال الربيع فعلمت أن تقسى فيها وانى إن رددتها من يدى ضرب عنقى فشربتها وانصرفت فجمع ولده وقال انى ميت فقال الفضل ابنه ولم تقول ذلك جعلت فداك قال ان موسى سقانى شربة فانا أجد عملها فى بدنى ثم أوصى بماله ومات فى يومه ،، قيل وطرب الرشيد الى الغناء فخرج متنكراً ومعه خادمه مسرور حتى انتهى الى باب اسحاق بن ابراهيم الموصلى فقال يامسرور إقرع الباب فخرج اسحاق فلما رأى الرشيد انكب على رجله فقبلها ثم قال ان رأى أمير المؤمنين أن يدخل منزل عبده فنزل الرشيد فدخل فرأى أثر الدعوة فقال ياإسحاق انى أرى موضع الشرب من كان عندك قال ما كان عندى ياأمير المؤمنين سوى جاريتى كنت أطارحهما قال فهما حاضرتان قال نعم قال فاحضرهما فدعا الجاريتين فخرجتا مع احداهما عود حتى جلستا فامر الرشيد صاحبة العود أن تغنى فغنت

بُنِيَ الحُبُّ على الجورِ فلوْ * أنصفَ المعشوقُ فيهِ لَسُمِجْ
ليسَ يُستحسَنُ في وصفِ الهوى * عاشقٌ يُكثِرُ تأليفَ الحُجَجْ
فقليلُ الحُبِّ صِرْفاً خالصاً * هوخيرٌ من كثيرٍ قدْ مُزِجْ

فقال الرشيد يا اسحاق لمن الشعر والغناء فيه قال لا علم لى به يا أمير المؤمنين فنكس رأسه ساعة ينكت فى الارض ثم رفع رأسه وأخذ العود من حجر هذه فوضعه فى حجر الاخرى ثم قال لها غنى فغنت

إنْ يُمسِ حبلُكَ بعدَ طولِ تواصُلٍ * خَلَقاً وأصبحَ بيتُكمْ مهجوراً
فلقدْ أراني والجديد إلى بلًى * زَمناً بوصلِكَ راضياً مَسروراً
كنتَ الهوَى وأعزَّ من وطئَ الحصى * عندِى وكنتُ بذاكَ منكَ جديرًا

فقال يا اسحاق لمن الشعر والغناء فيه قال لا علم لى يا سيدى فرد المسألة على الجارية فقالت لستى قال ومن ستك قالت علية أخت أمير المؤمنين فنكس رأسه ساعة ثم وثب وقال لمسرور خادمه امض بنا الى منزلة علية فلما وقف بالباب قال استاذن يا مسرور فخرجت جارية فلما رأت الخليفة رجعت تبادر تعلم ستها فخرجت تستقبله وتعديه فقال يا علية هل عندك ما نأكل قالت نعم يا سيدى قال وما نشرب قالت نعم فدخل وجلس فقدمت اليه الطعام فاكل حاراً وباردًا ورطبا ويابساً ثم رفع الطعام ووضع الشراب والطيب وأنواع الرياحين ودعت جواريها وكان عندها ثلاثون جارية يغنين فالبستهن أنواع الثياب وصفتهن فى الايوان وتناول الرشيد الشراب فامر الجوارى يغنين ثم سقى أخته حتى اخذ الشراب منها واحمرت وجنتاها وفترت اجفانها وكانت من اجل النساء فضرب الرشيد الى حجر بعض الجوارى فى اخذ العود وقال يا علية بحياتى غنى

بُنِيَ الحُبُّ على الجَوْرِ فلوْ

فعلمت انها داهية فبكت فصاح الرشيد فخرج الجوارى وبقى هو وهى فدفعها واخذ وسادة فجعلها على وجهها وجلس عليها فاضطربت اضطرابا شديداً ثم بردت فنحى الوسادة عنها وقد قضت نحبها فخرج وقال للخادم اذا كان غداً فادخل وعزنى وركب متوجهاً الى قصره فلما كان الغد عزاه مسرور فبكى فقال

قبرٌ عزيزٌ علينا * لوْ أن منْ فيهِ يُفدَى
أسكنتُ قرَّة عينى * ومهجة النفسِ لحدًا
ماإنْ أرَى لى عليها * منَ التوجُّعِ بُدًّا

ومنه ما حكى عن البهائم قال شيخ من بنى قشير كنا فى نتاج فامتنع فرس من حجرة فشددنا عينه فنزا عليها فلما فرغ فتحنا العصابة فرأى الحجرة وكانت أمه فعمد الى ذكره باسنانه فقطعه،، ومنه فى خفة الغيرة قال سليمان بن داود الهاشمى لابنه لا تكثر الغيرة على أهلك فتُرمى بالشر من أجلك وان كانت بريئة ولا تكثر الضحك فيستخفك فؤاد الرجل الحليم وعليك بخشية الله فانها غلبت كل شئ وقال عبد الله بن جعفر لابنته: اياك والغيرة فانها مفتاح الطلاق واياك وكثرة العتب فانه يورث البغضاء وعليك بالكحل فانه أزين الزينة وأطيب الطيب الماء، قيل وكان كسرى ابرويز يتعشق امرأة رجل كان من مرازبته يقال له البارجان وكانت تأتيه سراً فبلغ زوجها ذلك فامسك عن امرأته واجتنبها ودخل الى كسرى ذات يوم فقال له كسرى بلغنى ان لك عين ماء عذبة وانك قد اجتنبتها فلا تقربها، فقطن فقال له: أيها الملك بلغنى ان الاسد ينتاب تلك العين فاجتنبتها خوفا منه فاعجب كسرى بفطنته وأمر أن يتخذ له تاج لا قيمة له ثم دخل كسرى دار نسائه فقاسمهن نصف حليهن فاجتمع من الجوهر ما لا يحصى فبعث به الى امرأة البارجان بالقادسية ووقع ذلك الجوهر الى السائب بن الاقرع وكان على المقسم فباعه وجُعل للمسلمين بكتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وقال بعضهم كنت أغار على امرأتى فاشرفت على يوم وانا مع جارية لى فلقيت منها اذا حتى حلفت ان ابيع الجارية فخرجت اريد شراء حوائج لى ومعى الجارية فاتيت دكان خلال لشرى الخل فوجدته خاليا فقلت له ياهذا تأذن لى فى ملامسة جاريتى هذه فى دكانك فانى أريد بيعها قال نعم جعلت فداك ادخل حيث شئت فدخلت فاصبت من الجارية فلما خرجت اذا الخلال قد كمن ناحية وهو فى قميص قد أنعظ فقال فرغت قلت نعم قال بسم الله اتأذن لى جعلت فداك قلت ويلك ماتريد قال اقضى وطرى منها قلت يا ابن الفاعلة حرمتى قال لا يضرك شيئاً فانى اسرع ثم وثب كانه السبع فضاربته حتى تخلصت الجارية بعد كل جهد، قال ودخل رجل من بنى زهرة من اهل المدينة على قينة فسمع غناءها عند مولاها فخرج مولاها فى حاجة ثم رجع فاذا جاريته على بطن الزهرى فقامت مذعورة فقعدت تبكى فقال مايبكيك قالت لانك لا تقبل لاجله عذرا قال يازانية لو رايتك على قفاك قلت صريع مغلوب ولو رأيتك على وجهك لقلت وعاء مكبوب انما رأيتك فارسا مصلتا، وحكى عن ثمامة انه قال للمهدى ان النساء شُقّفن شقاوان هشيمة نُقبت نقبا وكانت هشيمة امرأة ثمامة فسأله المهدى ان ينزل عنها ففعل واقام المهدى حتى انقضت عدتها ثم تزوجها وبنى بها ثم طلقها وخرج الى بيت المقدس فلما انقضت عدتها راجعها وتزوجها وقال أبو ظاهر أنشدنى بعض الشعراء يهجو بنى القعقاع

بنى القعقاعِ أكرَمكم لئيمٌ * وأعظمُ مجدِكم ركبٌ حليقُ
وأنتمْ فى نسائكمُ اتساعٌ * وفى أخلاقكمْ نكدٌ وضيقُ

وعن عبدالله بن ياسين قال ، كان فى المهدى غزل وشدة حب للخلوة بالنساء فبلغه عن ابنة لابى عبيدالله كاتبه جمال فقال للخيزران ، استزيرها ، فزارتها وجاءت اليها فقالت لها ، هل لك فى الحمام قالت نعم فلما دخلت الحمام وافاها المهدى فبرزت له ولم تستتر عنه فقال لها المهدى انا وليك فز وجينى نفسك فقالت انا امتك فتزوجها ونال منها فلما انصرفت اخبرت اخوتها بما كان فقالوا امسكى عنه فلما كان بعد مدة قالوا لها استزيرى الخيزران فاستزارتها فلما صارت اليها قالت هل لك فى الحمام قالت نعم فلما دخلتا معا ما شعرت الخيزران الا ببنى أبى عبيدالله قد عمدوا عليها فاستترت عنهم فقالوا لوارد نا نفعل كما فعلم بحرمتنا لفعلنا ولكنا لا نستحل ، فقالت لهم والله لو رمتم ذلك لامرت الخدم بقتلكم فانصرفوا فلما رجعت الخيزران أخبرت المهدى بذلك فكان السبب فى قتل المهدى محمد بن أبى عبيدالله على الزندقة ، و بلغه أيضا عن عونة بنت أبى عون جمال وهيئة فقال للخيزران استزيرها فاستزارتها فقالت لها الخيزران : هل لك فى الحمام قالت نعم ، فلما دخلتا ما شعرت الا بالمهدى قد وافاها فاستترت بالخيزران وقالت والله لئن دنوت منى لاضربن بالكرنيب وجهك ، فقال و يلك انما أردت ان أتزوجك قالت لا سبيل الى ذلك فانصرف عنها فاخبرت أباها فقال أحسنت فى فعلك

— محاسن القيادة —

الحسن الجرجانى قال حدثنى سهم بن عبدالحميد الحنفى قال خرجت من الكوفة اريد بغداد فلما نزلت بسط غلمانا وهيئوا غداءنا فاذا نحن برجل حسن الوجه والهيئة على برزون فاره فصحت بالغلمان فاخذوا دابته فدعوت بالغداء فبسط يده غير محتشم وما أكرمته بشئ الا قبله وكنا كذلك اذ جاء غلمانه بثقل كثير وهيئة جميلة فتنا سبنا فاذا هو طريح بن اسماعيل الثقفى فارتحلنا فى قافلة منا لا يدرك طرفاها فقال طريح ما حاجتنا الى هذا الزحام وليست بنا اليهم وحشة ولا علينا خوف فاذا خلونا بالخانات والطرق كان أروح لابداننا قلت ذلك اليك فنزلنا من الغد الخان وتغدينا والى جانبنا نهر ظليل بالشجر فقال هل لك ان تستنقع فيه فمررنا اليه فلما نزع ثيابه اذا بين جنبيه آثار ضرب كثير فوقع فى نفسى منه شر فنظر الى فقطن وتبسم وقال قد رأيناذعرك بما ترى وحديث ذلك يجرى اذا سرنا بالعشية فلما سرنا قلت له الحديث قال نعم قدمت من عند الوليد بن يزيد بالغناء واليسار وكتب الى يوسف بن عمر فلما أتيته ملأ يدى خيرا فخرجت مبادرا الى الطائف فلما امتدبى الطريق وليس يصحبنى فيه أحد عن لى اعرابى على قعود له فحدث أحسن الحديث و روى الشعر فاذا هو راوية فانشد فاذا هو شاعر فقلت ، من أين أقبلت ، قال : لا أدرى : قلت وما القصة قال : انا عاشق لامرأة قد افسدت على عيشى وقد حذرنى اهلها وجفانى لها أهلى وانما

استريح بان انحدر الى الطريق مع منحدر واصعد مع مصعد، قلت فأين هي، قال، تنزل غدا بازائها فلما نزلنا أراني طريقا عن يسار الطريق فقال ترى ذلك الطريق فقلت أراه قال فترى الخيم التي هناك قلت، نعم قال، فانها في الخيمة الحمراء فأدركتني اريحية الحدث فقلت، والله آتيها برسالتك فمضيت حتى انتهيت الى الخيم فاذا امرأة ظريفة جميلة كانها مهرة عربية فذكرته لها فزفرت زفرة كادت تنتقض أضلاعها قالت أوحي هو قلت نعم تركته في رحلي وراء هذا الطريق قالت بأبي أنت وأمي أرى لك وجها حسنا يدل على الخير فهل لك في أمر قلت نعم فقير اليه قالت البس ثيابي فاقم مكاني ودعني حتى آتيه وذلك عند مغيب الشمس فانك اذا اظلم الليل أتاك زوجي فقال لك يا فاجرة و يا هنة ابنة الهنة فيوسعك شتما فأوسعه صمتا ثم يقول في آخر كلامه اقعي سقاءك يا عدو الله فضع القمع في هذا السقاء واياك وهذا السقاء الاخر فانه واه قلت نعم فاجبتها الى ما سألت فجاء الزوج على ما وصفت وقال اقعي سقاءك فخبرني الله ان تركت الصحيح وقعت الواهي فما شعر الا باللبن يتسبب بين رجليه فعدا الى كسر الخيمة وحل متاعه وتناول رشاء من قد مدبوغ ثم ثناه باثنتين فجعل لا يتقي رأسا ولا وجها ولا رجلا حتى خشيت أن يبدو له وجهي فتكون الاخرى فالزمت وجهي الارض فعمل بظهري ما ترى فلما تغيب عني جاءت المرأة باكية فرأت ما بي من الشر واعتذرت وأخذت ثيابي وانصرفت قال وحدث بهذا الحديث محمد بن صالح بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بسر من راى سنة أربعين ومائتين وكان حمل من البادية الى المتوكل فاطلقه وكان اعرابيا فصيحا فعجب منه وكان حسن الوجه نجيبا قل ما رأيت في الفتيان مثله قال كان منافق يقال له الاشتر بن عبد الله وكان سيد بني هلال وأحسنهم وجها وأسخاهم كفا وكان معجبا بجارية يقال لها جيداء بارعة الجمال فلما اشتهر أمرهما وظهر خبرهما وقع الشر بين اهل بيتيهما حتى قتل بينهما القتلى فافترقوا فريقين فلما طال على الاشتر البلاء جاءني يوما وقال يا نمير هل فيك خير قلت عندي ما أحببت قال فساعدني على زيارة جيداء قلب بالحب والكرامة فانهض اذا شئت قال فركبنا وسرنا يوما وليلة والغداة حتى المساء فنظرنا الى أدنى سرب لهم فانخنا راحلتنا في شعب وقعدنا هناك وقال يا نمير اذهب وانشد واذكر لمن يلقاك انك طالب ضالة ولا تعرض بذكري بشفة ولا لسان الى أن تلقى جاريتها فلانة راعية الضأن فتقرئها مني السلام وتسألها عن الخبر وتعلمها بمكاني قال فخرجت لا أتعدى ما أمرني به حتى لقيت الجارية فابلغتها الرسالة واعلمتها بمكانه وسألتها عن الخبر فقالت هي مشدد عليها محتفظ بها وعلى ذلك فوعدكما عند الشجرات اللواتي عند أعقاب البيوت مع صلاة العشاء فانصرفت فاخبرته ثم قدنا راحلتنا حتى أتينا الموعد في الوقت الذي وعدتنا فيه فلم نلبث الا قليلا حتى اذا جيداء تمشي قد نتت منا فوثب اليها الاشتر فتصافحا وسلم

عليها و وثبت مولياً عنهما فقالا أقسمنا عليك الا رجعت فوالله ما بيننا من ريبة ولا قبيح نخلوا به دونك فانصرفت اليهما وجلست معهما فقال الاشتر ما فيك حيلة يا جيداء فتزود منك الليلة قالت لا والله ما الى ذلك سبيل الا ان أرجع الى الذى تعلم من البلاء والشر فقال لابد من ذلك ولو وقعت السماء على الارض قالت فهل بصاحبك خير قلت بلى وهل الخير الا عندى فاسأل عما بدا لك فانى منته اليه ولو كان فى ذلك كله ذهاب نفسى فلبستنى ثيابها وأخذت ثيابى ثم قالت اذهب الى خبائى فادخل فى سترى فان زوجى ياتيك مع العتمة فيطلب منك القدح ليحلب فيه فلا تعطه من يدك فكذلك كنت افعل فيحلب ثم ياتيك بالقدح ملآن لبناً فيقول هاك فلا تاخذه منه حتى يطيل عليك نكدك ثم خذه أو ذره حتى يضعه ثم يستبد بردائه ولست تراه حتى يصبح فذهبت ففعلت ما أمرتنى به حتى جاء بالقدح فيه اللبن فاطلت نكدى عليه ثم أهويت لاخذه فاختلفت يدى و يده وانكفأ القدح فاندفق منه اللبن فقال ان هذا لطماح مفرط وضرب يده الى جانب الخباء فاستخرج سوطاً فضربنى مقدار ثلاثين سوطاً حتى جاءت أمه وأخواته فانتزعونى منه ولا والله ما فعلوا ذلك حتى زايلتنى روحى وهممت أن أوجره بالسكين فلما خرجوا عنى - وهو معهم قعدت كما كنت والله فما لبثت ان جاءت أم جيداء، فحدثتنى وهى تحسبنى ابنتها فالقيتها بالسكوت وتغطيت بثوبى دونها فقالت يا بنية اتقى الله ولا تتعرضى للمكروه من زوجك فذلك أولى بك ثم خرجت من عندى فقلت سارسل اليك أختك تؤنسك وتبيت الليلة عندك فلم ألبث ان جاءت الجارية تبكى وتدعو على من ضربنى وأنا لا أكلمها ثم اضطجعت الى جانبى فلما استمكنت منها شددت يدى على فمها وقلت يا هذه تلك أختك مع الاشتر وقد قطع ظهرى بسببها وانت اولى من ستر علينا فاختارى لنفسك ولها فوالله لئن تكلمت لتكونن فضيحة شاملة ثم رفعت يدى عن فيها فاهوت مثل القصبة من الروع وباتت معى ونلت منها الشهوة التامة و رافقتنى اصلح رفيق رافقته ولم أذق شيئا الذ مما ذقت منها قط فلم تزل تحدث وتضحك منى ومما بليت به حتى برق النور وجاءت جيداء فلما رأتنا ارتاعت وقالت من هذا عندك قلت أختك قالت وما السبب قلت هى تخبرك فانها عالمة به وأخذت ثيابى وأتيت صاحبى فاخبرته بما أصابنى وكشفت له عن ظهرى فاذا فيه ما الله به علم فقال لقد عظمت منتك عندى ووجب شكرك وخاطرت بنفسك فلا حرمنى الله مكافاتك ،، وعن رجل من بنى عامر انه خرج وهو غلام ما بقل وجهه وكان ذا جمال وهيئة صاحب غزل فهجم على قوم يحملون وقد شدوا أثقالهم و برز واذا امرأة جميلة قد تخلفت على جمل لها لا صلاح شأنها قال فوقفت عليها فاذا هى أحسن خلق الله وجها واغزله واملحه فتلاقينا كلاما غير كثير فقالت أسألك شيئا فهل لك به علم قلت سلى فقالت ايها الحسن جردة الرجل أم المرأة قلت بل المرأة فان احببت ان تعلم

ذلك علمته قلت وكيف اعلمه قالت انجرّ ذلك من ثيابي وارمبها عني ثم امشي حتى ابلغ الاكمه ثم اقبل حتى آتيك فتعطيني عهد الله وميثاقه لتفعلن كما فعلت فقلت لك عهد الله ان فعلت لا فعلنه قال فالقت ثيابها عن احسن ما نظرت اليه قط بياضا ونظافة وحسنا فلما انتهت الى قالت الوفاء قلت الوفاء ونعمة عين فخلعت ثيابي وانا كابهى الفتيان وأهيأهم حتى مضيت بعد الغاية فلما انتصف بي المدى سمعت خرخرة جملي فاذا هي قد جالت على ظهره لابسة ثيابي متنكبة قوسي قد لزمت المحجة فناديتها فلم تعرج علي ولبست ثيابها وتخمرت بخمارها وركبت بعيرها وزجرته فانبعث بي أثر الحي وأخذت شق الوحشي حتى ما أراها وجعلت أكف عن الجمل اذ خشيت ان ألحق الظعن حتى رأوني من بعيد وجعلوا ينادون ويحك اقبلي وانا صامت لا أتكلم ولا أتقدم فلما طال عليهم أمري بعثوا بجارية لهم مولدة فاقبلت تعدو حتى أتتني ونشطت خطام الجمل من يدي وأنا متبرقع أحسن الناس وجها وعينا فنظرت الجارية في وجهي ساعة ثم قالت لقد أمسيت جديدة الطرف وقادت الجمل حتى أتت الحي فقالت أم الجارية يابنية لقد استحيت من الناس مما دعوتك العشية ثم تأملت ونظرت وسائر النساء وقالت احداهن والله انه لرجل وفطن وانزلتني العجوز وادخلتني الستر وقالت من أنت لا أفلحت قلت بل ابنتك لا أفلحت ولا انجحت وقصصت عليها قصتها فقالت نشدتك الله الا اعرتني نفسك هزيعا من الليل فانا كنا على ان نبني بابنتي صاحبة الجمل الليلة وما في الحي رجل غير زوجها وهو انسان فيه لوثة ولا بد من ان أدخلك عليه فانك غلام أمرد فلا ينكرك ولا أراه اقوى منك ان اعتركنا فلك عندي يد بيضاء وأقبلت واخت لابنتها وخالتها فالبستني ثوب العروس وطيبتني ثم دلفن بي نحو الرجل بعيد العمة وقالت أمها انا لك الفداء تجلد ساعة بالامتناع فانه منصرف عنك وستأتيك الكافرة فادخلتني على مثل الاسد الا ان به لوثة كما قالت فاعتركنا حتى اعيي وكف عني وطال بي الليل حتى سمعت خرخرة جملي فلم ألبث الا هنيهة حتى جاءت أمها وخالتها وهي معهما فجعلتها مكاني وفتشت عن سرها فاذا هي قد ظلت مع انسان كانت تهواه وأتيت ثيابي فنهضت مبادر الا ألوي على شيء حذرا مما لقيت ،، قيل وملك النعمان بن المنذر أربعين سنة فلم ترمنه سقطة غير هذه وهو انه ركب يوما فبصر بجارية قد خرجت من الكنيسة فاعجبته فجاء فدعا بعدي بن زيد وكان نديمه ووزيره فقال له يا عدي لقد رأيت جارية لئن لم اظفر بها انه الموت ولا بد من ان الطف أو تتلطف لي حتى تجمع بيني وبينها قال ومن هي ، قال : سألت عنها فقيل هي امرأة حكم بن عمر ورجل من اشراف الحيرة ، قال ، فهل اعلمت احدا ، قال : لا ، قال : فاكتمه فاذا اصبحت فجدد لحكم كرامة وبرا فاذا أذن للناس بدأ به فاجلسه معه على سريره وكساه فاستعظم الناس ذلك فلما اصبح بدأ ايضا بالاذن له وجعله فانكر الناس ذلك فقالوا ، ما هذا الا لامر فصنع به ذلك اياما ثم قال له عدي ، ايها الملك عندك عشر نسوة فطلق

احداهن ثم قل له فليتزوجها ففعل فلما دخل عليه قال ياحكم ما كانت تسمى تسمح بهذا لولد ولا لوالد فتزوج فلانة فقد طلقتها فخرج حكم الى عدى فقال يا أبا عمرو ما صنع الملك باحد ما صنع بى وما أدرى بما أكافيه قال له عدى طلق امرأتك كما طلق لك امرأته ففعل وحظى بها عدى عنده وعلم حكم انه قد مكر به فى امرأته وفيه يقول الشاعر

ما فى البرية من أنثى تعادلها * إلا الذى أخذ النعمان من حكم

وحدث الفضل بن العباس عن الزبير بن بكار عن محمد بن بشير الخارجى قال ، قدم علينا رجلان من اهل المدينة يصيدان ومعهما نسوة والفساطيط مضروبة وكان سليمان بن عبد الله الاسلمى وابن اخ له مقيمين بناحية الروحاء فارسل النسوة الى سليمان وابن أخيه اما لكما حاجة فى الحديث فرد الرسول ان يكن لنا فيه حاجة فكيف لنا بذلك مع ازواجكن فقلن انما خرج ازواجنا للصيد وقد بلغنا ان لكم صاحبا يعرف من طلب الصيد مالا يعرفه غيره فلو طرح لهم شيئاً من ذكره لاسرعوا اليه وتخلفتم وتحدثتم ماشئتم يعنين به محمد بن بشير فمضى اليه سليمان وابن اخيه فقالا ، يا أبا محمد ارسل الينا النسوة بكذا وكذا وسألونى ان اخرجك الى الصيد فقلت لا والله لا افعل ولا اتعب ولا انصب وانتم تظلمون وتتحدثون انا الذى أشد حباً وأكثر صبابة وشوقا فارسلا الى النسوة بمقالتى فارسلن الى رسولا وعاهدننى لئن أخرجتهم ليحتلن لى حتى اخلو معهن ليلة حتى الصبح فصرت اليهم وذكرت لهم الصيد فخرجوا معى فما زلت احدثهم بالصدق حتى اخذت فى الكذب مما يضارع الصدق حتى افنيته فقمت معهم ثلاثة ايام وليالى ثم انصرفوا من غير ان اصطدنا شيئاً فقلت فى ذلك

إنى انطلقت معى قوم ذوو حسب * ما فى خلائقهم زهو ولا حمق
إنى لأعجب منهم كيف أخدعهم * أم كيف آفك قوماً مابهم رهق
أظل فى الارض أنهيهم وأخبرهم * أخبار قوم وما كانوا ولا خلقوا
ولو صدقت لقلت القوم قد دخلوا * حين انطلقنا وإنى ساعة انطلقوا
فلو أجاهد ماجاهدت دونكم * فى المشركين لأدركت الأولى سبقوا
إن كنت أبدأ جارى من خلائقكم * والدهر ذو عنف أيامه طرق
فإن كلّ جديد عائد خلقاً * فلن يعود جديداً ذلك الخلق

قال فظفر اصحابى بالحديث والمعازلة وانا بالجهد والخيبة مع أتم القيادة والتعب وكذب المحادثة ، وحدثنا وهب بن سليمان عن عمه الحسن بن وهب قال خرج محمد بن عبد الملك الزيات من عند الواثق ومزيد بن محمد بن ابى الفرج الهارونى وكيل عبد الله بن طاهر فاذا بجارية حسناء

فى منظرة لها فلما بصرت به ورأت موكبه وكان جميلا ظريفا أومأت اليه بالسلام وأومأت بيدها الى صدرها فاعجب بها فلما صار الى منزله دخلت اليه فرأيته بخلاف ماعهدت وكان لا يكتمنى شيئاً فقلت مالى أراك مدلها يا أبا الحسن قال رأيت شيئاً أنا فيه مفكر ثم أنشأ يقول

وا بانى مُخَضَّبٌ * أومى الينا بيده
أومى بها يُخبرُنى * راحتُهُ فى كبده
أنَّ الضنى فى جسدى * يُخبرُنى عن جسده
فليسَ للحاسد إلا * خصلةٌ من حسده

ثم شرح لى القصة ثم انصرفت من عنده ووافيت مولى الجارية فسألته أن يبيعها فقال اشتريتها للامير عبد الله بن طاهر وليس الى بيعها من سبيل فلم أزل به حتى اشتريتها بخمسين الف درهم ووجهت بها اليه وكتبت اليه

هذا محبُّكَ مطويٌّ على كَمَدِهْ * عبرى مدامعُهُ تجرى على جسدهْ
لهُ يدٌ تسألُ الرَّحمنَ راحتَها * مما بهِ ويدٌ أخرى على كبدهِ

فقبلها وحسن موقعها عنده فولانى خراج ديار ربيعة فاصبت فيها الف الف درهم : قال السجستانى : أرق الرشيد ذات ليلة فوجه الى عبد الملك الاصمعى والى الحسين الخليع فاحضرهما وشكا اليهما مدافعة نومه وشدة أرقه وقال لهما . عللانى باحاديثكما وابدأ أنت ياحسين ، قال : نعم يا أمير المؤمنين خرجت فى بعض السنين منحدرا الى البصرة وممتد حالآل سليمان فقصدت محمد بن سليمان بقصيدتى فقبلها وأمرنى بالمقام فخرجت ذات يوم الى المربد وجعلت المهالبة طريق فأصابنى حرّ وعطش فدنوت من باب دار كبير لاستسقى فاذا أنا بجارية أحسن ما يكون كانها قضيب يتثنى وسناء العينين زجاء الحاجبين مهفهفة الخصر حاسرة الرأس مفتوحة الجُرْ بان عليها قميص لاذٌ جلنارىّ ورداء عدنى قد علت شدة بياض بدنها حمرة قميصها تتلألأ من تحت القميص بثديين كرمانتين وبطن كطى القباطى وعكن مثل القراطيس لها حاجة جمدة المسك محشوة وهى يا أمير المؤمنين متقلدة خرزا من ذهب والجوهر بزهر بين ترائبها وعلى صحن جبينها طرة كالسبج وحاجبان مقرونان وعينان كحلاوان وخدان أسيلان وأنف أقنى تحته ثغر كاللؤلؤ وأسنان كالدر وقد غلب جربانها سواد المسك والغالية ودابر العود النهدى على لبنها عبق الخلوق وهى والهة حيرى واقفة فى الدهليز وجائية تخطر فى مشيتها قد خالط صرير نعلها أصوات خلخالها كانها تخطر على أكباد محبيها فهى كما قال الافوه الاودى

ليس منها ما يقالُ لها * كملت لو أنَّ ذا كملا

كلُّ جُزءٍ من محاسنِها * كائنٌ من حسنِها مثلاً
لو تمنّتْ فى براعتها * لم تجد فى حسنها بدلا

فهبتها والله يا أمير المؤمنين ثم دنوت منها لاسلم عليها فاذا الدار والدهليز والشارع قد عبقت بالمسك فسلمت عليها فردت السلام بلسان منكسر وقلب حزين محرق فقلت لها ياسيدتى أنى شيخ غريب أصابنى عطش فامرى لى بشربة من ماء تؤجرى . قالت : اليك عنى ياشيخ فانى مشغولة عن سقى الماء وادخار الاجر ، فقلت لها ، ياسيدتى لاية علة ، قالت ، لانى عاشقة من لا ينصفنى وأريد من لا يريدنى ومع ذلك فانى ممتحنة برقباء فوق رقباء ، قلت لها ، ياسيدتى هل على بسيط الارض من تريدينه ولا يريدك ، قالت ، انه لعمرى على ذلك الفضل الذى ركب الله فيه من الجمال والدلال ، قلت لها ، ياسيدتى فما وقوفك فى الدهليز ، قالت ، هو طريقه وهذا أوان اجتيازه ، قلت لها ، ياسيدتى هل اجتمعتما فى خلوة فى وقت من الاوقات أم حبّه مستحدث ، فتنفست الصعداء وأرخت دموعها على خديها كطلّ على ورد ، وأنشأت تقول .

وكنا كغصنى بانةٍ وسط روضةٍ * تَشُمُّ جنا اللذّاتِ فى عيشةٍ رَغَد
فافردَ هذا الغصنَ من ذاك قاطعٌ * فيا منْ رأى فرداً يحنُّ إلى فردِ

قلت لها ، ياهذه ما بلغ من عشقك هذا الفتى ، قالت ، أرى الشمس على حائطهم أحسن منها على حائط غيرهم وربما أراه بغتة فاهبت وتهرب الروح عن جسدى وأبقى الاسبوع والاسبوعين بغير عقل ، قلت لها ، عز علىّ وأنت على ما بك من الضنى وشغل القلب بالهوى وانحلال الجسم وضعف القوى ما أرى بك من صفاء اللون ورقة البشرة فكيف لو لم يكن بك من الهوى شىء أراك كنت مفتتنة فى أرض البصرة ، قالت ، كنت والله ياشيخ قبل محبتى لهذا الغلام تحفة الدلال والجمال والكمال ولقد فتنت جميع ملوك البصرة وفتنى هذا الغلام ، فقلت ياهذه ما الذى فرق بينكما ، قالت ، نوائب الدهر وأوابد الحدثان ولحديثى وحديثه شان من الشان وأنبيك أمرى انى كنت افتصدت فى بعض أيام النيروز فامرت فزين لى وله مجلس بانواع الفراش وأوانى الذهب ونضدنا الرياحين والشقائق والمنثور وأنواع البهار وكنت دعوت لحبيبى عدة من متظرّفات البصرة فمنهن من الجوارى جارية شهران وكان شراؤها عليه من مدينة عمان ثمانمائة الف درهم وكانت الجارية ولعت بى وكانت اول من اجابت الدعوة وجاءتنى منهن فلما حصلت عندى رمت بنفسها علىّ تقطعنى عضاً وقرصاً ثم خلونا تمزز القهوة الى ان يدرك طعامنا ويجتمع من دعونا فتارة هى فوقى وتارة انا فوقها فحملها السكر على ان ضربت يدها على

تكتني فحلها ونزعت هي سراويلها وصارت بين فخذي كصير الرجال من النساء فبينا نحن كذلك اذا دخل على حبيبي وقد انزق قرطي بخلخالي فلما نظر الينا اشمأز لذلك وصدف عني وعنها صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل اللجم وعض على أنامله وولى خارجا فانا ياشيخ منذ ثلاث سنين أسل سخيمته واستعطفه فلا ينظر إلي بعين ولا يكتب إلي بحرف ولا يكلم لي رسولا : قلت لها . ياهذه أمن العرب هو أم من العجم . قالت . هو من جلة ملوك البصرة . قلت . من أولاد نيابها أو من أولاد تجارها . قالت . من عظيم ملوكها . قلت لها . أشيخ هو أم شاب . فنظرت إلي شزراً وقالت . انك لاحمق أقول هو مثل القمر ليلة البدر امرد اجرد وطرة رقعاء كحنك الغراب تعلوه شقرة في بياض عطر لباس ضارب بالسيف طاعن بالرمح لاعب بالنرد والشطرنج ضارب بالعود والطنبور يغني وينقر على أعدل وزن لا يعيبه شيء إلا انحرافه عني لانقصاً لي منه بل حقداً لما رآني عليه . قلت . ياهذه وكيف صبرك عنه . فانشأت تقول

أما النهار فمستهام والهٌ * وجفون عيني ساجفات تدمعُ
والليل أقدر عى النجوم مفكرًا * حتى الصباح ومقلتي لا تهجعُ
كيف اصطباري عن غزال شادنٍ * في لحظ عينيه سهامٌ تصرعُ
وجهٌ يضيء وحاجبان تقوسا * وكأن جبهته سراجٌ يلمعُ
وبياض وجهٍ قد أشيب بحمرةٍ * في وجنتيه كأنه مستجمعُ
والقد منه كالقضيب إذا زهى * والغصن في قنوائه يترعرعُ
تمت خلائقه وأكمل حسنه * كمثال بدرٍ بعد عشرٍ أربعُ

قلت لها ياسيدتي ما اسمه وأين يكون ، قالت تصنع به ماذا قلت اجهد في لقائه واتعرف الفضل بينكما في الحال قالت على شريطة قلت ، وما هي قالت تلقانا اذا القيته وتحمل لنا اليه رقعة قلت لا أكره ذاك قالت ، هو ضمرة بن المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة يكنى بابي شجاع وقصره في المربد الاعلى وهو اشهر من ان يخفى ثم صاحت في الدار ياجواري دواة وقرطاسا وشمرت عن ساعدين كانهما طومارا فضة ثم حملت القلم وكتبت بسم الله الرحمن الرحيم سيدي تركي الدعاء في صدر رقعتي بنيء عن تقصيري ودعائي ان دعوت يكون هجنة فلولا ان بلوغ المجهود يخرج عن حد التقصير لما كان لما تركته خادمتك من كتب هذه الرقعة معنى مع اياسها منك وعلمها بتركك الجواب سيدي فجد بنظرة وقت اجتيازك في الشارع الى الدهليز تحيي بها انفسا ميتة

اسرى وأخطط بخط يدك بسطها الله بكل فضيلة رقعة فاجعلها عوضا من تلك الخلوات التى كانت بيننا فى الليالى الخاليات التى اناذا كرتها سيدى الست لك محبة وبك مدنفة فان رجعت مولاى الى الاشبه بك وانقذتنى من عوارض التلف كنت لك خادمة ولك شاكرة فلما فرغت من الكتاب يا أمير المؤمنين ناولته اياى فقلت لها ياسيدتى قد وجب حقك على ولزمتك حرمتى لطول وقوفى عليك وكنت قد سألت شربة ماء قالت استغفر الله ما فهمنا عنك ثم صاحت فى الدار اخرجنا الينا شرابا من ماء وغير ماء فما كان الا ان اقبل ثلاثون وصيفة بايديهن الطاسات والجامات واقداح مملوءة ماء وثلجا وفقاعا وشرابا فشربت الماء ثم قلت ياسيدتى مع قدرتك على هذا من استواء الحال وكثرة الخدم والعبيد والجوارى فلم لا تأمرين احدى الجوارى ان تقف مراعية للغلام حتى اذا مر اعلمتك فتخرجين اليه قالت لا تغلط ياشيخ فتمثلت

عَبالةَ عُنقِ اللّيثِ مِن أجلِ أنهُ * إذا رامَ أمرًا قامَ فيهِ بنفسهِ

ثم انصرفت عنها يا امير المؤمنين فلما اصبحت غدوت على محمد بن سليمان فوجدت مجلسه محتفلا بالملوك وابناء الملوك ورايت غلاما قد زان المجلس وفاق من فيه حسنا وجمالا قد رفعه الامير فوقه فسألت عنه فقيل ضمرة بن المغيرة فقلت فى نفسى بالحقيقة حلّ بالمسكينة ما حل هو والله قاتلها فيما أرى ثم قمت فقصدت المربد ووقفت على باب داره فاذا هو قد ورد فى موكب جليل فوثبت اليه وبالغت فى الدعاء والثناء ثم دنوت منه وفاوضته فى الذى جرى بينى وبينها وناولته الرقعة فلما قرأها ضحك ثم قال ياشيخ قد استبد لنا بها فهل لك فى ان تنتظر الى البديل قلت نعم فصاح فى الدار ياجوارى اخرجن الينا الذى أفما كان ألا إن طلعت جارية وضيئة الكمين ناهدة الثديين تمشى مشية مستوحل نرتع من دقة خصرها على كبر عجزها ذات لحظين وعجيزتين تختطفان الانفس اختطافا على رأسها بطيخة من الكافور مكتوب على جبينها

آهٌ منَ الحُبِّ آهْ * ما أقتلَ الحبَّ وأضناهُ

ودون ذلك مكتوب

عَيّارةٌ مِيّاسةٌ فى الخَطْوِ * رخيمةُ الدّلِّ صَيُودٌ للرِّجالِ

وقد كتبت بالغالية على عصابتها ثلاثة أسطر وهى

إذا غضبتْ رأيتَ الناسَ قَتْلى * وإنْ رَضيتْ فأرواحٌ تعُودُ

لها فى عينِها لحظاتُ سِحرٍ * تُميتُ بها وتُحيى منْ تُريدُ

وتَسْبى العالمينَ بمُقلتيها * فكلُّ العالمينَ لها عبيدُ

فناولها الرقعة وقال اقرئى واجبى صاحبك فلما قرأت الرقعة اصفرت وعرقت ومزقتها

وضربت بها فى وجه الغلام وغابت فى الستر فقال لى اما انت ياشيخ فاستغفر الله مما مشيت فيه قلت بل انت استغفر الله من هجرانك اياها وتركك اتيانها والله ما ارى لها فى البشر نظيرا قال لا افعل ولوانها فى حسن يوسف وكمال حواء فخرجت ياامير المؤمنين وانا اجر ذيلى حتى وردت عليها فاستاذنت ودخلت فبدأت بى فقالت ماوراءك الشيخ قلت البؤس والياس قالت لا عليك فان الله والقدر ثم امرت لى بخمسمائة دينار وعشرة اثواب وخرجت من عندها وانا ممتدح لآل سليمان فلم يكن لى والله الا معرفة خبرها فى العام الذى عدت فيه الى البصرة فوردت عليها فوجدت على بابها امرا ونهيا واسبابا لا تكون الا على باب الخلفاء فاستاذنت فدخلت فاذا فوق راسها ثلاثون رجلا من شيوخ وشبان وخدم وقوف بسيوفهم فلما نظرت الى عرفتنى ووثبت الى وقبلت راسى وقالت ياشيخ الحمد لله الذى جعل العبيد بالصبر ملوكا وجعل الملوك بالتيه عبيدا ان الذين تراهم وقوفا اصحاب ضمرة يسلون سخيمتى ويسالوننى الرجوع له والله لا نظرت اليه فى وجه ولوانه فى حسن يوسف وكمال حواء فسجدت ياامير المؤمنين شمانة بضمرة وتقربا الى الجارية فقال بعض حجاب ضمرة مهلا ياشيخ فمن طاب محضره طاب مولده ثم انصرفوا فانا ولتنى خريطة فيها اوراق فقالت هذا اول ما ورد علينا منه فاذا فيها ثوب خز ابيض بقق مكتوب فيه بماء الذهب بسم الله الرحمن الرحيم لولا تقاضى عليك ادام الله حياتك لوصفت شطرا من غدرك ولبسطت سوط عتبى عليك وحكمت سيف ظلامتى فيك اذ كنت الجانية على نفسك والمظهرة لسوء العهد وقلة الوفاء المؤثرة علينا غيرنا فخالفت هواى وفرشت نفسك لها على حالتى جد وهزل وصحو وسكر والمستعان الله على ما كان من سوء اختيارك ولقد ضمنت رقعتى هذه ابيات شعر انت المتفضلة بالنظر اليها وهى

قطعَ قلبى فراقُكم قِطَعاً * وكدتُ أقضى لبينكم جزَعا
ما تكحلُ العينُ بالرُّقادِ ولا * يَنامُ جَنبى فى الليلِ مُضطجعاً
لا عيشَ لى مذ نأتْ ولا وجدتْ * عَيناىَ فى الارْضِ قط متسعاً

قلت لها فلا تحدثينى كيف سليت عنه وابتلى قالت كيف لا احدثك افتصدت تفاحة جارية محمد بن سليمان فدعينا الى خورنق لمحمد بن سليمان فلما طعمنا دعت لنا بالشراب فبينا نحن كذلك اذا بحراقة سلطانية قد وردت وفيها عدة من ابناء الملوك وفيهم هذا العيار ولا علم لى بمكانه وكنت حملت العود وغنيت

أبلى فؤادى وشَفنى الارَق * والدَّمعُ مِنْ مُقلتىَّ يَستبقُ
من حُبِّ ظبى أغنَّ ذى دَعج * وقلبُهُ للشفاءِ مُنطبِقُ

فلما وجبت العتمة انصرفنا وأبطأت الجارية وأتانى هؤلاء القوم من عنده يسلون سخمتى ويستعطفونى عليه ثم انصرفت عنها يا أمير المؤمنين ودخلت الحمام من ساعتى فما كان الا أن دخلت حتى أتانى غلامى فقال جماعة من جلة الناس قد طرقوا دارك يطلبونك فلبست ثيابى وخرجت مسرعا فاذا بضمرة قد كبس دارى فى عدة من الرؤساء فقال والله لا برحنا حتى تنفق علينا الخمسمائة دينار التى أخذتها من الجارية سيدتى قلت أى والله بالسمع والطاعة ثم جذبنى الى نفسه فلم يزل يناظرنى فى أمرها حتى أقبل المساء ثم انصرف الى رحله فلما كان من الغد وردت له رقعة مع خادم وكيس فيه ألف دينار واستزارنى فقبلت ذلك وصرت معه اليه فلما نظر الى تنحى عن مقعده وأقعدنى ثم قال هذا قد أعددته للنيروز لسيدتى هدية وانت أولى من تحشم مع الخادم اليها قلت السمع والطاعة ثم صاح فى الدار هاتوا الهدية فاذا مائة تخت من ثياب وصندوق من ذهب مقفل عليه فقال لى فى التخت والصندوق مبلغ ثلاثين ألف دينار وانت أولى من تفضل بالايصال فصرنا اليها واستأذنا فلما مثلنا بين يديها أنكرتنى وقالت من الشيخ قلت الخليع شاعر العراق ومعى هدية عبدك ضمرة فصاحت فى الدار تلك فاذا جارية كأنها الظبية المنفلتة من الشبكة قالت لها خذى هذه الهدايا وفرقيها على جوارى الدار ثم قالت أيطمع الخصوص من أن يجتمع معى بعد قبولى الهدية فى ثلاثين سنة قلت لها العفو عند المقدرة بعدل عتق رقبة قالت ففى خمس عشرة سنة قلت لها انقصيها أولى بك قالت ففى ثلاثة سنين قلت لها حطة أخرى وقد اجتمعنا قالت لا والله لا آكل ولا أشرب حتى آتيه وأمرت ان يسرج لها وبادرت الى باب ضمرة مبشرا فما وصلت أو سمعت صلاصل اللجم فاذا هى قد سبقتنى فى جوارها وخدمها فدخلت فاذا هما يتعانقان ويتعاتبان فقلت ياسيدتى ما أتيتها الى شئ أحوج منكما الى خلوة قالا هو ذاك فانصرفت عنهما ثم بكرت عليهما فاذا هى فى المرقد الاول جالسة عليها جبة وشئ مطير وهى تعصر الماء عن ذوائبها وتصلح قرونها فاستحيتنى وقالت لا تفكرن فى ريبة فوالله ما صلينا البارحة حتى بعثت الى عبد الرحمن بن أبى ليلى القاضى فزوجت نفسى سيدى ولكن صر اليه فانه فى المرقد الثانى فصعدت اليه فلما نظر الى وثب الى وقبل بين عينى وقال ياشيخ قد جمع الله بينى وبين سيدتى بك ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب الى ابن نوح الصيرفى فى ثلاثة آلاف دينار فرجعت اليها فقالت بماذا برك سيدى فاقرأتها الرقعة فقالت نعجل اليك مثلها فدعت بمال وطيار ووزنت ثلاثة آلاف دينار ودعت بعشرة أثواب من ثياب مصر وقالت هذه وظيفتك علينا كل عام فخرجت من عندها وأخذت مرفوعى من آل سليمان وانصرفت الى العراق وكان الرشيد متكئا فاستوى جالسا وقال أوه ياحسين لولا أن ضمرة سبقنى اليها لكان لى ولها شان من الشان

﴿ ومنه مع الشعراء ﴾ قال استأذنت بنت لعبد الملك بن مروان فى الحج فاذن لها وكتب

الى الحجاج يأمره بالتقدم الى عمر بن أبي ربيعة ان لا يذكرها في شعره فلما بلغ عمر مقدمها لم يكن له همة الا ان ينهيا باجمل ما يقدر عليه من الحلل والثياب وضربت لها قبة في المسجد الحرام فكانت تكون فيها نهارا فاذا أمست تحولت الى منزلها لتنظر اليه وتجلس بازاء القبة وقد خبر عمر بشانها فاذا أرادت الطواف أمرت جواريها فيسترنها بالمطارف فكانت تتطلع الى عمر كثيرا وكانت تسأل من دخل عليها عنه رجاء أن يكون قد قال شيئا فلم يفعل حتى قضت الحج ورحلت ونزلت من مكة على أميال فأقبل راكب من مكة فسألته من أين أقبلت ، قال من مكة ، قالت عليك وعلى فرقة أنت منها لعنة الله قال ولم يا ابنة عبد الملك قالت قدمنا مكة فاقمنا أشهرا فما استطاع الناسك عمر بن أبي ربيعة أن يزودنا من شعره أبياتا كنا نلهو بها في سفرنا هذا قال فلعله قد فعل قالت فاذهب اليه واسأله ولك في كل بيت تأتيني به منه عشرة دنانير فاقبل الرجل وأتى عمر ابن أبي ربيعة فاخبره الخبر فقال له قد فعلت ولكن أحب أن تسكتم علي قال افعل ثم انشده

رَاعَ الفؤادَ تفرُّقُ الاحبابِ * يومَ الرَّحيلِ فهاجَ لي أطرابي
فظلمتُ مكتئباً أُكفكِفُ عبرةً * سَحّاً تفيضُ كوابلَ الانسابِ
لمّا تنادَوْا للرَّحيلِ وقرّبوا * بُزُلَ الجمالِ لطيّةٍ وذهابِ
كادَ الاسى يقضي عليكِ صبابةً * والوجهُ منكِ لبينِ إلفِكِ كابي
قالتْ سُعيدَةُ والدموعُ ذوارفٌ * منها على الخدّين والجلبابِ
لَيْتَ المُغيرِيَّ الذي لم نجزِهِ * فيما أطالَ تصيدّي وطلابي
كانتْ تردُّدُنا المنى أيامنا * إذ لا نُلامُ على هوىً وتصابي
أيامَ نكتمُ وِدّنا ونودُّهُ * سِرًّا مخافةَ منطقِ المُغتابِ
أُخبرْتُ ما قالتْ فبتُّ كأنما * يُرمى الحشا بنوافذِ النشّابِ
فبعثتُ جاريتي وقلتُ لها اذهبي * قولي لها في خفيةٍ وتقرابِ
أسعيدَ ما ماءُ الفراتِ وطيبُهُ * مني على ظمإٍ وطيبِ شرابِ
بألذّ منكِ وإنْ نأيتِ وقلّما * ترعى النساءُ أمانةَ الغيابِ
إنْ تبذُلي لي نائلاً أشفي به * سَقَمَ الفؤادِ فقدْ أطلتِ عذابي
وعصيتِ فيكِ أقاربي فتقطعتْ * بيني وبينهمُ عُرَى الأسبابِ
فبقيتُ كالمهريقِ فضلةَ مائهِ * في حَرّها جرةٍ للمعِ سرابِ

ثم أتى اليها بالابيات فاعجبت بها وأمرت جواريها بحفظها ثم وفت له بما وعدت وسلمت اليه في كل بيت عشرة دنانير وقال أخبرنا محمد بن خلف قال أخبرني ابو بكر العامري قال حدثني

موسى بن عمر بن أفلح مولى فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قال حدثني بلال مولى ابن أبي عتيق قال قام الحارث بن عبد الله بن عباس بن ابي ربيعة من الحج فاتاه ابن ابي عتيق ، فقال ، كيف تركت ابا الخطاب فقال هجرت الثريا عمر فقال

مَنْ رَسولي إلى الثريا فإني * ضِقْتُ ذَرْعاً بهجرِها والكتابِ
سَلبتني مُجاجةُ المِسْكِ عقلي * فسلوها بما يحلُّ اغتصابي
أبرَزُوها مثلَ المَهاة تهادى * بين خمسٍ كواعبٍ أتراب
وهي ممكورةٌ تحيَّر منها * في أديمِ الخدَّينِ ماءُ الشباب
وتكنفنها كواعبُ بيضٌ * واضحاتُ الخدودِ والاقراب
في سِخابٍ من الفَرَنْفُلِ والدُّ * رُّ نفيسٍ واهاً لهُ من سِخاب
قلتُ لما ضَرَبْنَ بالسَّجفِ دوني * ليسَ هذا لودِّنا بثواب
فتبدَّتْ حتى إذا جُنَّ قلبي * حالَ دوني ولائذٌ بالثيابِ
حين شبَّ القتولُ والعنقُ منها * حُسْنُ لونٍ يلف كالزِّرْيابِ
ذكَّرتني بهجةِ الشمسِ لمَّا * طلعتْ في دُجُنَّةٍ وسحاب
دُمْيةٌ عندَ راهبٍ وقَسيس * صوَّرُوها في مذبح المحراب
فارْجَحَنَّتْ في حُسنِ خَلقٍ عميمٍ * تتهادى في مَشيها كالحباب
ثمَّ قالوا تُحبُّها قلتُ بَهْرًا * عددَ الرَّملِ والحصا والتُّراب

وقال لغلامه انطلق بكتابي هذا الى ابن ابي عتيق بالمدينة فادفعه اليه فاقبل الغلام بالكتاب حتى دفعه اليه فلما قرأه قال والله ما رسوله اليها فسار حتى قدم مكة لا يعلم به اهله فاتى منزله فوجده غائبا فانطلق غلام عمر الى عمر ، فقال ، ان رجلا قدم وهو يطلبك من شأنه وهيئته كذا ، قال ، ويحك ذلك ابن ابي عتيق اذهب اليه فقل له ان مولاي ياتيك الآن وكان عمر على فرسخين بل على راس ثلاثة اميال من مكة فاتاه الغلام فاخبره فقال اسرج لي انت برذون عمر فان دابتي قد تعبت وكلت فاسرجه له فركب واتى الحي فصهل البرذون وسمعت الثريا صهيله ، فقالت لجوار يها هذا هو برذون الخبيث عمر ثم دعت ببغلة لها فوضعت عليها رحلها فخرجت فاذا هي بابن ابي عتيق فقالت مرحبا بعمي ما جاء بك يا عم ، قال ، انت والفاسق جئتما بي قالت اما والله لو بغيرك تحمل علينا ما اجبناه ولكن ليس لك مدفع امر ر بنا نحوه فاقبل حتى انتهى الى عمر فخرج عمر اليه وقبل يده ثم قال انزل جعلني الله فداك ، فقال ما بمكة على حرام حتى اخرج منها ثم دعا ببغلته فركبها وانصرف الى المدينة وخلا عمر بالثريا . وحدث الزبير ابن بكار عن

أبى محرم عن ابراهيم بن قدامة قال قال عمر بن أبى ربيعة ألا أحدثك حديثاً حلواً ، قال قلت نعم قال بينا أنا جالس اذ جاءنى خالد الحريت ، فقال يا أبا الخطاب هل لك فى هند وصواحبها فقد خرجن الى نزهة ، قلت وكيف لى بذلك قال تلبس لبسة أعرابى وتعتم عمامته وتركب مركبه كأنك ناشد ضالة ، قال فعلت وجئت حتى وقفت عليهن أنشد ضالتى فقلن إنزل فنزلت وقعدت أحادثهن وأغازلهن فلما رمت النهوض قالت لى هند اجلس لا جلست أنت ألا ترى أنك وقفت علينا غريبا ونحن والله وقفنا على غربتك نحن بعثنا خالداً وخدعناه وأطمعناه فى أنفسنا حتى جاء بك فقال خالد صدقن والله خدعنى وخدعنك فجلست وتحدثنا فانشدتهن ، فقالت هند يا سيدى لقد رأيتنى منذ أيام وقد أصبحت عند أهلى فادخلت رأسى فى جيبى ونظرت الى هنى فاذا هو مل الكف ومنية المتمنى فناديت يا عمراه يا عمراه يا عمراه ، قال عمر : فقلت يا لبيك يا لبيك يا لبيك ثلاثا ومددت فى الثالثة صوتى فضحكت وحادثتهن ساعة ثم ودعتهن وانصرفت فذلك قولى

عَرَفْتُ مَصِيفَ الحَيِّ والمتربعا * ببطنِ حُلَيَّاتٍ دَوَارِسَ بلقعاً
إلى السَّفحِ من وادى المغمّسِ بُدِّلَت * مَعالِمُهُ وبلاً ونكباءَ زعزعا
لهندٍ وأترابٍ لهندٍ إذِ الهوَى * جميعٌ وإذْ لم نخشَ أنْ يتصدَّعا
وإذْ نحنُ مثلُ الماءِ كان مزاجُهُ * إذا صفَّقَ السّاقى الرَّحيقَ المشعشعا
وإذْ لا نطيعُ الكاشحين ولا نرى * لِواشٍ لدينا يطلُبُ الصَّرْمَ مطمَعا

وقال عمر ما رأيت يوما غابت عوادله وحضرت عواذره بأحسن من يومنا ولا صبوة كصبوتنا ولا قيادة كقيادة خالد ولا أملح ولقد وصفت ذلك فى شعر ، فقلت فى تمام ما تقدم

أتانى رَسولٌ منْ ثلاثٍ حرائرٍ * ورابعةٍ يزْكولها الحسنُ أجمعا
فقلتُ لِمُطْرِيهنَّ فى الحسنِ إنما * ضرَرْتَ فهلْ تستطيعُ نفعاً فتنفعا
لئنْ كانَ ماحدَّثْتَ حقّاً لَمَا أرَى * كمثلِ الاولى أطريتَ فى الناسِ أربعا
وهيَّجْتَ قلباً كانَ قدْ ودَّعَ الصِّبا * وأشياعَهُ فاشفعْ عسى أنْ تُشفعا
فقالَ تعالَ انظرْ فقلتُ فكيفَ لى * أخافُ مَقاماً أنْ يَشِيعَ ويَشْنَعا
فقالَ اكْنفلْ ثمَّ التثمْ وأتِ باغيا * فسلِّمْ ولا تُكثرْ بأنْ تتورَّعا
فإنى سأخفى العينَ عنكَ ولا تُرَى * مخافةَ أنْ يفشُو الحديثُ فيُسمَعا
فاقبلتُ أهوى مثلَ ماقالَ صاحبى * لموعدِهِ أزجى قَموداً موقَّعا
فلمّا تواقفنا وسلَّمتُ أشرقتْ * وُجوهٌ زهاها الحُسنُ أنْ تتقنّعا

تبالهنَ بالعرفان لمّا عرفنني * فقلن آمرُو باغٍ أضلّ وأوضعا
فلما تنازعن الاحاديث قلن لى * أخفتَ علينا انْ نُغرَّ ونُخدعا
فما جئتنا إلا على وفق موعدٍ * على ملاءٍ منا خرجنا لهُ معا
رأينا خلاءً من عيونٍ ومجلسا * دميثَ الثرى سهلَ المحلةِ ممرعا
وقلنَ كريمٌ نالَ وصلَ كرائمٍ * وحقَّ لهُ فى اليومِ أن يتمتعا
وفيهنَّ هندٌ تُكملُ الهمَّ والمنى * وإخداعَ عينى كلما رُمتُ مهجعا

قال ولما أنشد عمر بن أبى ربيعة بن أبى عتيق قصيدته التى يقول فيها :

فاتتها طِبَّةٌ عالمةٌ * تخلطُ الجدَّ مرارًا باللعبْ
ترفعُ الصوتَ إذ لانتْ لها * وتُراخى عند سورات الغضبْ

قال ابن أبى عتيق امرأتى طالق ان لم يكن الناس فى طلب مثل هذه منذ قتل عثمان يجعلونها خليفة فلم يقدروا علمها وأنت تريدها قوادة ، قال ولما هجا كثير بنى ضمرة فقال

ويُحشرُ نورُ المسلمينَ أمامهمْ * ويُحشرُ فى أستاهِ ضمرةَ نورُها

اشتدت بنو ضمرة عليه وعلى عزة وأرادوا قتله ووضعوا له العيون فمكث شهراً لا يصل اليها فالتقى جميل وكثير فشكى أحدهما الى صاحبه ما يلقى ، فقال جميل أنا رسولك الى عزة فاخبرنى ما كان بينكما ، قال آخر ما لقيتها بالطلحة مع أتراب لها قال فاتاهم جميل وهو ينشد ذود أله فعطنت عزة ، فقالت تحت الطلحة ألتمس ذودا هناك فانصرف جميل فاخبر كثيرا فلما كان فى بعض الليل أتيا الطلحة وأقلت عزة وصاحبة لها فتجدنا مليا وجعل كثير يرى عزة تنظر الى جميل وكان جميلا وكثير دميما فغضب كثير وغار عليها وقال لجميل انطلق بنا قبل أن يصبح علينا الصبح فانطلقا فعند ذلك يقول

رأيتُ ابنةَ الشبلىِّ عزةَ أصبحتْ * كمخطبِ ما يلقى بالليلِ يخطبِ
وكانتْ تُمنّينا وتزعمُ أننا * كبيضِ الأنوقِ فى الصفا المتغيبِ

ثم قال كثير لجميل متى عهدك ببثينة ، قال فى أول الصيف بوادى الدوم ومعها جوار يها يغسلن ثيابا نخرج كثير حتى أناخ بهم وهو يقول

وقلتُ لها يا عزَّ أرسلَ صاحبى * على بُعدِ دارٍ والرسولُ موكلُ
بأنْ تجعلى بينى وبينكِ موعدًا * وأنْ تأمرينى بالذى فيهِ أفعلُ
أما تذكرينَ العهدَ يوم لقيتكم * بأسفلِ وادى الدومِ والثوبُ يُغسلُ

فعلمت بثينة ما أراد فصاحت اخسأ اخسأ فقال عمها مادهاك يا بثينة ، قالت ان كلبا يأتينا

من وراء هذا التل فيأكل ما يجد ثم يرجع فرجع كثير . وقال لجميل قد وعدتك التل فدونك فخرج جميل وكثير حتى انتهيا الى الدومات وقد جاءت بثينة فلم تزل معه حتى برق الصبح وكان كثير يقول ما رأيت مجلسا قط أحسن منه . عمر بن شبة عن اسحق ابن ابراهيم الموصلي . قال حدثني شيخ من خزاعة قال ذكرنا الرمة وعندنا عصمة بن مالك الفزاري وهو يومئذ ابن عشرين ومائة سنة فقال اياي فاسألوا عنه كان من أظرف الناس خفيف العارضين آدم حلو المضحك اذا أنشد اختصر وأتاني يوما فقال ان مية منقربة وان بني منقر أخبث حي واعلمه بالشر فهل عندك من ناقة تزورها عليها قلت أي والله عندي اثنتان قال فسرنا فخرجنا حتى أشرفنا على الحي وهم خلوف فعرف النساء اذا الرمة فعدلن بنا الى بيت مي وأنخنا عندهن فقلن لذي الرمة أنشدنا يا أبا الحارث فقال أنشدهن فانشدتهن قوله

نظرتُ الى أظعان مَيٍّ كأنها * ذُرى النخلِ أو أثلٌ تميدُ ذوائبهْ

فأشعلتِ النيرانُ والصدرُ كاتمٌ * بمغرورقٍ تمتْ عليه سواكبهْ

بكى وامقٌ جاءَ الفراقُ وملَّ تجْـ * ـلدْ جوائلها أسرارَهُ ومعايبهْ

فقالت ظريفة منهن ابكى اليوم فمررت فيها حتى انتهيت الى قوله

إذا سرحتْ من حبِّ مَيٍّ سوارحٌ * على القلبِ آبتْهُ جميعاً عوازبهْ

فقالت الظريفة قتلته قتلك الله فقالت ما أصحه وهنيئاً له فتنفس ذو الرمة تنفسا كادت حرارته تساقط لحمي ثم مررت فيها حتى انتهيت الى قوله

وقد حلفتْ بالله مَيةُ ما الذي * أقول لها إلا الذي أنا كاذبهْ

إذا فرَّ مني الله من حيث لا أرى * ولا زال في أرضي عدوٌّ أحاربهْ

فالتفت مي الى ذي الرمة فقالت ويحك خف عواقب الله ثم أنشدت الى أن انتهيت الى قوله

إذا نازعتك القولَ مَيَّةُ أو بدا * لك الوجهُ منها أو نضا الدرعَ سالبهْ

فيالكَ من خدٍّ أسيلٍ ومنطقٍ * رخيمٍ ومن خَلقٍ يُملُّ جاذبهْ

فقالت تلك الظريفة أما القول فقد نازعتك والوجه فقد بدا لك فمن لنا بان ينضو الدرع سالبه فقالت لها مي قاتلك الله ما أنكر ما تحيئين به اليوم فتحادثنا ساعة ثم قالت تلك الظريفة ما أحوج هذين الى الخلوة فنهضت وسائر النساء فصرت الى بيت قريب منهما حيث أراهما فما ارتبت بشيء ولا رأيت أمراً كرهته فلبث ساعة ثم أتاني ومعه قارورة وثلاث قلائد فقال هذا طيب زودتناه مي وقلائد أتحفتك بها ابنة الجودي فكنا نختلف اليها حتى انقض المربع ودعانا الصيف فرحلوا قبلنا وأتاني ذو الرمة فقال قد ظعنت مي فلم يبق الا الديار والنظر الى الآثار فاخرج

بنا الى دارها فخرجت معه حتى اذا وقفنا عليها أنشأ يقول

ألا فاسلمي يادارَ مَيٍّ على البلى * ولا زالَ مُنهلاً بجرعائكِ القطرُ

حتى أتى على آخرها ثم انهملت عيناه بعبرة . فقلت له ماهذا فقال . انى لجليد وان كان منى ماترى فما رأيت أحدا أحسن شوقا وصبابة وعزاه منه : وعن سليمان راوية أبى نواس . قال كنت مع ابى نواس أسير حتى انتهينا الى درب القراطيس فخرج من الدرب شيخ نصرانىّ وخلفه غلام كانه غصن بان يثنى كاحسن ما رأيت فقال ياسليمان اماترى الدرة خلف البعرة ثم قال هل لك ان تاخذ منى رقعة فتوصلها اليه قلت بلى فكتبها ودفعها الى فاوصلتها اليه فاذا الملح غلام واخفه ر وحافقال من صاحب الرقعة قلت ابونواس . قال أين هو . قلت على باب درب القراطيس قال فليقف مكانه حتى ار وح وكان فى الرقعة

ثمرٌ فاستحييكَ أن أتكلما * ويثنيكَ زَهوَ الحسنِ عن أن تُسلّما
ويهزُّ فى ثوبيكَ كلَّ عشيةٍ * قضيبٌ من الرَّيحانِ أضحى منعماً
فحسبكَ أنَّ الجسمَ قد شفهُ الهوى * وأنَّ جُنونى فيكَ قد ذرفتْ دَما
أليسَ عجيبٌ عندَ كلِّ موحّدٍ * غزالٌ مسيحىٌّ يعذّبُ مسلماً
فلولا دخولُ النارِ بعدَ تنصُّرٍ * عبدتُ مكانَ اللهِ عيسى بن مريما

وحدثنا الجماز قال كنت يوما على باب عدى الدراع فمر بى ابونواس شبيها بالمجنون فاذا خلفه غلام كانه مهر عربى فقلت له مالك فقال

إنَّ الرَّزيَّةَ لا رزيَّةَ مثلُها * عَوزُ المكانِ وقد تهيا المركبُ

فعدلت به و بالغلام فاقاما سائر يومهما قال وكان عبيد الله بن يحيى يتعشق غلاما من دار المتوكل يقال له رشيق فلا يصل اليه حتى طال ذلك عليه وكان ابوالاخطل يخلفه فى الموكب وينبسط اليه فقال له عبيد الله يوما ياابا الاخطل من لى برشيق فقال الصفر الصغار والبيض الصحاح وجعل عبيد الله يلقى رشيقا فى الدار فيخلو به و يساره و يعطيه مائة دينار فى كل لقية الى ان علم رشيق بما فى نفس عبيد الله وكان يتعذر عليهما الاجتماع لقضاء الوطر واللذة . فركب أمير المؤمنين يوما ومعه أبوالاخطل فطلب عُبيد الله وتعمد أبوالاخطل رشيقا فرده اليه فلما ظفر به فى منزله خاليا قضى حاجته منه وركب بريد أمير المؤمنين مسرعا فوصل الى الموكب وقد تصبب عرقا فقال ابوالاخطل:

لا خيرَ عندى فى الخليلِ ينامُ عن سهرِ الخليلِ
قولوا لكلِّ مُعرِّفٍ من رأيتُ لكلِّ معروفٍ جليلِ

هل تشكرنّ لى الغدا * ة تلطفى لك فى الرّسول
إذ نحنُ فى صيدِ الجبا * لِ وأنتَ فى صيدِ السهول

﴿ ماقيل فيه من الشعر ﴾

وتمشّيتَ فى الجميلِ فأسرَعْتَ * وإنْ كنتَ لستَ ذاتَ جميلا
إنّ من مدّ للقيادة رِجلاً * لحرِيٌّ بأنْ يكون نبيلا

وقال آخر

لهواهُ لا ئتلافِ * وملاهُ لا ختلافِ
ليس يقرأ من كتاب الله إلا لا ئتلافِ

وقال آخر

إنّ الرّقاشىّ من تكرُّمه * بلّغهُ اللهُ منتهى هِمَمِهْ
يبلّغُ من بِرِّهِ ورأفته * حُملانُ أضيافه على حُرَمِهْ

﴿ ومن محاسن ذلك ﴾ حدثنا علىّ بن الحسين بن على بن عثمان بن على بن الحسن قال كانت ضمير جارية مولدة لميمونة بنت الحسن بن علىّ بن زيد فادبتها وعلمتها الغناء فبرعت فيه وكانت من أحسن الناس وجها وبدنا وأبرعهم غناء وضربا فأعطيت بها مولاتها عشرة آلاف دينار فلما رادت ان تبيعها وأحضر المال بكت وقالت ياسيدتى ربيتينى واتخذتينى ولدا ثم تريدين بيعى فاتغرب عنك ولا أرى وجهك قالت أشهد الله ومن حضر أنك حرة لوجه الله فلما ماتت ميمونة خطبها آل أبى طالب وغيرهم فغلب عليها جعفر بن حسن بن حسين فتزوجها وأحبها حبا شديدا فقدم بها البصرة فقال على بن الحسين وكان يجالسها ويسمع غناءها فأردت الخروج الى الرضى بخراسان فودعت جعفرا وخرجت فأقمت بالاهواز أياما أتهيأ للخروج على طريق فارس فورد على كتاب جعفر أنه قد وقع بينه وبين ضمير شر وأنها قد أغلظت له حتى تناولها ضربا وانها على مفارقته وسالنى القدوم لاصلح بينهما فقال على بن الحسين وكانت لى حاجة بالرضى وكنت أرجو لذلك فى وجهى منه ومن المأموم الغنى فلما قرأت كتابه لم أعط صبرا حتى انصرفت راجعا الى البصرة فجئت الى جعفر افاوقعت به شتما وعذلا ثم أرسلت اليها أقسمت عليك بحقى الا رجعت فخرجت مرهاء شعثة وسخت الثياب حتى جلست فجلست بينهما فاقبل جعفر يعطينى من قسمه لها كل ما أريد وهى ساكتة ثم قلت ياجارية هاتى العود فاخذته فاصلحت منه حتى تغنت وهى تبكى ودموعها تكف

أرتجى خالقى وأعلمُ حقاً * أنهُ مايشاءُ ربى كفانى

لا تلمني وارفق خليلي بشاني * إنه ما عناك يوما عناني

قال علي بن الحسين فوالله ما رأيت أحسن منها ولا أرق من غنائها بهذا الصوت فما برحت حتى اصطلحا وألهتني والله عن الغنى فقمت بالبصرة وعن الكلبي قال بينا عمر ابن أبي ربيعة يطوف بالبيت في حال نسكه فاذا هو بشاب قد دنا من شابة ظاهرة الجمال فالتفت اليها كلاما فقال له عمر يا عدو الله في بلد الله الحرام وعند بيته تصنع هذا فقال يا عماه انها ابنة عمي وأحب الناس الي وانى عندها لكذلك وما كان بيني و بينها من سوء قط أكثر مما رأيت قال ومن أنت قال أنا فلان ابن فلان قال أفلا تتزوجها قال أبي علي أبوها قال ولم قال يقول ليس لك مال فقال انصرف والقني فلقيه بعد ذلك فدعى ببغلته فركبها ثم أتى عم الفتى في منزله فخرج اليه فرحا بمجيئه و رحب وقرب فقال ما حاجتك يا أبا الخطاب قال لم أرك منذ أيام فاشتقت اليك قال فانزل فانزل وألطفه فقال له عمر في بعض حديثه انى رأيت ابن أخيك فاعجبني تحركه وما رأيت من جماله وشبابه قال له اجل ما يغيب عنك افضل مما رأيت قال فهل لك من ولد قال لا الا فلانة قال فما يمنعك ان تزوجه اياها قال انه لا مال له قال فان لم يكن له مال فلك مال قال فانى اضن به عنه قال لكني لا اضن به عنه فزوجه واحتكم قال مائة دينار قال نعم فدفعها عنه وتزوجها الفتى وانصرف عمر الى منزله فقامت اليه جارية من جواريه فاخذت رداءه والقى نفسه على فراشها وجعل يتقلب فاتته بطعام فلم يتعرض له فقالت اظنك والله قد وجدت بعض ما كان يعرض لك من حكم النساء فلا تكتمها فقال هاتي الدواة فكتب

تقولُ وليدتي لما رأتني * طربتُ وكنتُ قد أقصرتُ حينا
أراكَ اليومَ قد احدثتَ شوقا * وهاجَ لك الهوى داءً دفينا
وكنتَ زعمتَ انكَ ذو عزاءٍ * إذا ما شئتَ فارقتَ الغرينا
بعيشكَ هلْ أتاك لها رسولٌ * يسرُّكَ أمْ لقيتَ لها خدينا
فقلتُ شكا إليَّ أخٌ محبٌّ * كبعضِ زماننا إذْ تعلمينا
وذو القلبِ المصابِ ولوْ تعزّى * مشوقٌ حين يلقى العاشقينا
فقصَّ عليَّ ما يلقى بهندٍ * وأشبهَ ذاك ما كنا لقينا
فكم من خلةٍ أعرضتُ عنها * وكنتُ بودِّها دهراً ضنينا
أردتُ فراقها فصبرتُ عنها * ولو جنَّ الفؤاد بها جنونا

قال . وقال عمر بن ابي ربيعة بينا انا خارج محرما اذ اتتني جارية كانها دمية في صفاء اللجين في ثوب قصب كقضيب على كثيب فسلمت علي وقالت انت عمر بن ابي ربيعة فتى

قريش وشاعرها قلت أنا والله ذاك قالت فهل لك أن أريك أحسن الناس وجها قلت ومن لى بذلك قالت أنا والله لك بذلك على شريطة قلت وما هى قالت أعصبك وأربط عينيك وأقودك ليلا قلت لك ذاك قال فاستخرجت معجرا من قصب عجرتنى به وقادتنى حتى أتت بى مضربا فلما توسطته فتحت العجارة عن عينى فاذا أنا بمضرب ديباج أبيض مزرر بحمرة مفروش بوشى كوفى وفى المضرب ستارة مضروبة من الديباج الاحمر عليها تماثيل ذهب ومن ورائها وجه لم أحسب أن الشمس وقعت على مثله حسنا وجمالا فقامت كالخجلة وقمدت قبالتى وسلمت علىّ فخيل لى أن الشمس تطلع من جبينها وتغرب فى شقائق خدها قالت أنت عمر بن أبى ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت أنا ذلك يا منتهى الجمال قالت أنت القائل

بينما يَنعتنى أبصرتنى * دون قيد الميل يعدُو بى الاغرّ
قالت الكبرى أما تعرفنّ ذا * قالت الوسطى بلى هذا عمرْ
قالت الصغرى وقد تيمتها * قد عرفناهُ وهل يخفى القمرْ

قلت أنا والله قائلها يا سيدتى قالت ومن هؤلاء قلت يا سيدتى والله ما هو عن قصد منى ولا فى جارية بعينها ولكنى رجل شاعر أحب الغزل وأقول فى النساء قالت يا عدو الله يا فاضح الحرائر أنت قد فشا شعرك بالحجاز وأنشده الخليفة والامراء ولم يكن فى جارية بعينها يا جوارى أخرجنه فخرجت الوصائف فاخرجننى ودفعننى الى الجارية فعجرتنى وقادتنى الى مضربى فبت بليلة كانت أطول من سنة فلما أصبحت بقيت هائما لا أعقل ما أصنع فما زالت ارقب الوقت فلما كان وقت المساء جاءتنى الجارية وسلمت علىّ وقالت يا عمر هل رأيت ذلك الوجه قلت اى والله قالت فتحب ان اريكه ثانية قلت اذا تكرمت فتكونين اعظم الناس علىّ منة فقالت على الشريطة فاستخرجت المعجر وعجرتنى وقادتنى فلما توسطت المضرب فتحت العصابة عن وجهى فاذا انا بمضرب ديباج احمر مدثر بياض مفروش بفرش ارمنى فقعدت على نمرقة من تلك النمارق فاذا انا بالشمس الضاحية قد اقبلت من وراء الستر تتهايل من غير سكر فقعدت كالخجلة فسلمت علىّ وقالت انت عمر بن ابى ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت انا ذاك قالت انت القائل

وناهدة الثديين قلت لها اتكى * على الرمل فى دعموة لم توسّدِ
فقالت على اسم الله أمرك طاعة * وإن كنت قد كلفت ما لم أعوّد
فما زلت فى ليل طويل ملثما * لذيذ رضاب المسك كالمتشهد
فلما دنا الإصباح قالت فضحتنى * فقم غير مطرود وإن شئت فازدد

ثم ازدادت منها واشتحت بمرطها * وقلت لعيني انسفحا الدمع من غدِ
فقامت تعشى بالرداء مكانها * وتطلب شذرا من جمان مبدد

قلت أنا قائلها قالت فمن الناهدة الثديين قلت ياسيدتي قد سبق في الليلة الاولى والله ما هو مني قصد ولا في جارية بعينها ولكني رجل شاعر احب الغزل واقول في النساء قالت ياعدو الله انت قد فشا شعرك بالحجاز وروا ه الخليفة وتزعم انه لم يكن في جارية بعينها ياجواري ادفعنه فوثبت الجواري فأخرجنني ودفعنني الى الجارية فعجرتني وقادتني الى مضربي فبت في ليلة كانت اطول من الليلة الاولى فلما اصبحت امرت بخلوق فضرب لي وبقيت ارقب الوقت هائما فلما كان وقت المساء جاءتني الجارية فسلمت عليّ وقالت ياعمر هل رايت ذلك الوجه قلت اي والله قالت افتحب ان اريكه الثالثة قلت اذا تكونين اعظم الناس عليّ منة قالت على الشريطة قلت نعم فاستخرجت المعجر وعجرتني به وقادتني حتى اتت بي المضرب فلما توسطته فتحت العصابة عن عيني فاذا انا في مضرب ديباج اخضر مدثر بحمرة مفروش بخز احمر واذا انا بالشمس الضاحية قد اقبلت من وراء الستر كحور الجنان فسلمت عليّ وقالت انت عمر بن ابي ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت انا ذاك قالت أنت القائل

نعب الغراب ببين ذات الدملج * ليت الغراب ببينها لم يشحج
مازلت أتبعهم وأتبع عيسهم * حتى دفعت إلى ربيبة هودج
قالت وعيش أخي وحرمة والدي * لأنبهن الحي إن لم تخرج
فلثمت فاها آخذا بقرونها * شرب النزيف ببرد ماء الحشرج
فتناولت كفي لتعرف مسها * بمخضب الاطراف غير مشنج

قلت أنا قائلها : قالت : ياعدو الله أنت الذي فضحتها ونفسك وجهي من وجهك حرام ان عدت الي ياجواري أخرجنه فوثب اليّ الوصائف وأخرجنني ودفعنني الى الجارية فعجرتني وقادتني وقد كنت عند خروجي من مضربي ضربت يدي بالخلوق وأسدلت عليها ردائي فلما صرت الى باب مضربها اخرجت يدي ووضعتها على جانب المضرب وضعا بينا فلما أصبحت تحت بغلماني وعبيدي ولي الف عبد من اتاني بخبر المضرب الذي ضرب فيه بكذا وكذا فهو حر لوجه الله فلما كان في وقت المساء اتت وليدة سوداء ، فقالت . قد عرفت المضرب وهو لرملة اخت عبد الملك بن مروان فاعتقتها وامرت لها بمائتي دينار وامرت بمضربي فقلع وضرب بحذاء مضربها وكتب بالخبر الى عبد الملك بن مروان فكتب اليها بالرحيل فركبت هودجها وركبت فرسي فزاحمتها في بعض الطريق فاشرفت عليّ من هودجها ، فقالت . اليك

عنى أيها الرجل، قلت. خاتم أو قميص اذكرك به، فقالت، لبعض جواريها التى اليه قميصا من قمصى فاخذته وانا أقول

فلا وأبيكَ ماصوتُ الغوانى * ولاشربُ التى هى كالفصوصِ
أرَدْتُ برحلتى وأريد حظا * ولا أكلَ الدَّجاج ولا الحبيصِ
قميصٌ ما يُفارقنى حيانى * أنيس فى المُقام وفى الشُّخوص

وجعلت أنزل بنز ولها وأركب بركوبها حتى كنا من الشام على ثلاث مراحل فاستقبلها عبد الملك فى خاصته فدخل اليها، ثم قال يا رملة ألم أنهك أن تطوفى بالبيت الا ليلا يخفك الجوارى ويحف الجوارى الخدم الوكلاء لئلا يراك عمر بن ابى ربيعة، قالت والله وحياة أمير المؤمنين ما رآنى ساعة قط فخرج من عندها فبصر بضربى، فقال، لمن المضرب قيل لعمر بن ابى ربيعة قال على به فاتيته بلارداء ولا حذاء فدخلت عليه وسلمت عليه فقال يا عمر ما حملك على الخروج من الحجاز من غير اذنى، قلت شوقا اليك يا امير المؤمنين وصبابة الى رؤيتك فاطرق مليا ينكت فى الارض بيده ثم رفع رأسه فقال يا عمر هل لك فى واحدة، قلت وما هى يا أمير المؤمنين قال رملة از وجكها قلت يا امير المؤمنين وان هذا الكائن، قال أى ورب السماء ثم قال قد زوجتك فادخل اليها من غير أن تعلم فدخلت عليها فقالت من انت هبلتك امك فقلت ياسيدتى انا المعذب فى الثلاث فارتحلت وانا عديلها فانشأت اقول

لَعَمْرى لقد نلتُ الذى كنتُ أرتجى * وأصبحتُ لا أخشى الذى كنتُ أحذر
فليسَ كمثلى اليومَ كسرَى ومُرْمزٌ * ولا المَلِكُ النُّعمانَ مثلى وقيصر

فلم ازل معها باحسن عيش وغبطة

﴿ محاسن الدبيب ﴾

الاصمعى. قال، اخبرنى رجل من بنى اسد انه خرج فى طلب ابل قد ضلت فبينا هو يسير فى بلاء وتعب وقد امسى فى عشية باردة اذ رفعت له أعلام. قال. فقصدت بيتا منها فاذا انا بامرأة جميلة ذات جزالة فسلمت فردت على السلام ثم قالت ادخل فدخلت فبسطت لى ومهدت واذا فى حجرها صبى اطيب ما يكون من الولدان فبينا هى تقبله اذ أقبل رجل امام الابل دميم المنظر ضئيل الجسم كانه بعرة دمامة واحتقارا فلما بصر به الصبى هش اليه وعدا فى تلقائه فاحتمله وجعل يقبله ويفديه. فقلت. فى نفسى أظنه عبدا لها فجاءنى ووقف بباب الخيمة وسلم فرددت عليه السلام، فقال، من ضيفكم هذا فاخبرته فجلس الى جانبها وجعل يداعبها فطفقت أنظر اليها تارة واليه أخرى اتعجب من اختلافهما كانها الشمس حسنا وكانه القرد قبحا فقطن لنظرى. وقال.

يا أخا بني اسد اترى عجبا . قال . تقول احسن الناس وجها واقبح الناس وجها فليت شعري كيف جمع بينهما أخبرك كيف كان ذلك . قلت ما أحوجني الى ذلك : قال . كنت سابع اخوتي كلهم لو رأيتني معهم ظننتني عبدا لهم وكان أبي واخوتي كلهم أصحاب ابل وخيل وكنت من بينهم مطرحا لكل عمل دني للعبودية نارة ولرعي الابل أخرى فبينا أنا ذات يوم تعب مكتئب اذ ضلت لنا بعير فتوجه اخوتي كلهم في بغائه فلم يقدروا عليه فأتوا أبي وقالوا ابعث لنا فلانا ينشد لنا هذا البعير فدعاني أبي وقال اخرج فانشد هذا البعير . فقلت والله ما أنصفتني ولا بنوك أما اذا الابل درت ألبانها وطاب ركوبها فأنتم جماعة اهل البيت أربابها واذا ندّت ضلالها فانا باغيها . فقال قم يالكع فاني أراد آخر يومك فغدوت متهورا خلق الثياب حتى أتيت بلادا لا أنيس بها فطفقت يومي ذلك اجول القفر فلما أمسيت رفعت لي أبيات فقصدت اعظم بيت منها فاذا امرأة جميلة مخيلة للسؤدد والجزالة فبدأتني بالتحية وقالت انزل عن الفرس وأرح نفسك فاتتني بعشاء فتعيشت وأقبلت هذه تسخر مني وتقول ما رأيت كالعشية أطيب ريحا منك ولا انظف ثوبا ولا اجمل وجها ، فقلت ، ياهذه دعيني وما أنا فيه فاني عنك في شغل شاغل فابت علي . وقالت هل لك أن تاجر علي السجف اذا نام الناس فاغراني والله الشيطان فلما اشبعت من القرى وجاء ابوها واخوتها فضجعوا أمام الخيمة قمت وركبتها برجلي قالت ومن أنت قلت الضيف ، قالت لاحياك الله اخرج عليك لعنة الله فعلمت اني لست في شيء من أمرها فوليت راجعا فوا ثبني كلب لهم كانه السبع لا يطاق فأرادا كلي فانشب أنيابه في مدرعة صوف كانت علي وجعل يمزقني فرددني القهقرى وتعذر علي الخلاص فأهويت أنا والكلب من قبل عقبي في بئر فاحسن الله الي اذ لا ماء فيها فلما سمعت المرأة الواغية أتت بحبل فادلته وقالت ارتق لعنك الله فوالله لولا انه يقبض اثري غدا لوددت انها قبرك فاعتنقت الحبل فلما كدت ان اتناول يدها قضى أن تهور ما تحت قدميها فاذا انا وهي والكلب في قرار البئر بئر أيما بئر انها هي حفرة لا طي لها ولا مرقاة كاشد بلية بنا عضا الكلب ينبح من ناحية وهي تدعى بالويل والثبور من ناحية وانا منقبع قد برد جلدي على القتل من ناحية فلما اصبحت امها فقدتها فلما لم ترها اتت اباها فقالت ياشيخ اتعلم ان ابنتك ليس لها اثر يحس وكان ابوها عالما بالآثار تابعا لها فلما وقف على شفير البئر ولى راجعا فقال لولده يا بني اتعلمون ان اختكم وضيفكم وكلبكم في البئر فبادروا كالسباع فمن بين آخذ حجرا وآخر سيفا او عصا وهم يومئذ يريدون ان يجعلوا البئر قبري وقبرها فلما وقفوا على شفير البئر قال ابوهم ان قتلتم هذا الرجل طرلبتم بدمه وان تركتموه افتضحتم وقد رأيت ان ازوجها اياه فوالله ما يقدح لها في نسب ولا في حسب ثم قال لي افيك خير فلما شممت روح الحياة وثاب الى عقلي ، قلت وهل الخير كله الا في فهات اختكم فقال . مائة بكرة

وبكرة وجارية وعبد، فقلت لك ذلك وان شئت فازدد فاخرجت أولا والكلب ثانيا وأخرجت ثالثا فاتيت أبى ، فقال لا : أفلحت فاين البعير ، قلت أربع عليك أيها الشيخ فانه كان من القصة كيت وكيت ، قال افعل والله ولا أخذلك فدعا بالابل فاعدّ منها مائة بكرة وبكرة وسقناها مع جارية وعبد وأخذت منه هذه غرة نفسها ، قال هى والله كذلك وجعلت تصدف عن حديث زوجها صدوف المهرة العربية سمعت لجامها وربما قالت لا أطاب الله خبرك

— ضده مساوى الديب —

قال وقيل لخراش الاعرابى حدثنا ببعض هناتك ، قال : خرجت فى بغاء ذود لى فدفعت فى عيشة شانية الى أخبية كثيرة فضافوا وحيوا ورحبوا فلما أردت النوم أقاموا فتاة لهم من موضع مبيتها وجعلوني مكانها ليلا أتاذى بالغم وانى لمضطجع اذا أنا بيد انسان بجامشنى ويريد فى الظلمة مؤاتاتى فقعدت فاذا أنا برجل بديده ومعه علبة فيها أرنب مشوية فاخذتها وجعلتها فى شئ كان معى ثم مديده ثانيا فناولته يدى فاقبضنى على غرمول كمثل الوتد فلم أنفر منه ولم أره وحشة وجردت ماعندى وتناولت يده فاقبضته على مثل ما أقبضنى عليه فقطن ورمى بملحفة خز كانت عليه ووثب مدعورا فنفرت الابل وهاجت الغنم وكدت أغشى لما بى من الضحك وأخفيت ما بى وكمنته فلما أصبحت ركبت راحلتى ومعى الملحفة والعلبة والارنب فلما امتد الضحى اذا أنا بابل فاخذت نحوها فاذا شاب حسن الهيئة فسلمت فرد السلام ثم قال ان كان معك ما تاكل نصب من هذا الوطب فاخرجت العلبة فلما رآها عرفها وقال انك هو ، قلت وما هو ، قال صاحب البارحة قلت نعم ان كنت اياه قال الحمد لله الذى أتى بك اذ لولم تات لظننت انى أوسوس وذلك انى لصاحبة الستر عاشق وتعلم ما فعلت وفعلت البارحة ولا تطيقت له حتى ابتلانى الله بك البارحة وجعلت أقول حين أقبضتنى عليه أراها تحولت رجلا وانى لفى شك من أمرى حتى أتانى الله بك : فاكلت أنا وهو الارنب وشربنا من اللبن وصرنا أصدقاء : الاصمعى قال أتى خالد بن عبد الله اعرابى فأضافه وأحسن اليه وبذل له صحن الدار فلما كان فى بعض الليل أشرف عليه يتعاهد منه ما كان يتعاهد من ضيفه فاذا هو قد دب على جارية وهو على بطنها فأعرض عنه فما لبث الاعرابى ان فرغ وقام يمسح فيشلته بالحائط فضربته عقرب فصاح واستغاث وأشرف خالد عليه وهو يقول

ودارى إذا نام سكانها * تقيم الحدود بها العقرب
إذا غفل الناس عن دينهم * فإن عتاربنا تغضب

قال وكان اعرابى ضيفا لقوم فنظر الى جارية جميلة فدب اليها فاذا عجوز فى صحن الدار

تصلى فعاد الى فراشه ثم عاودها فنبح الكلب ثم عاد اليها فاذا القمر قد طلع فانشأ يقول

لم يخلق الله خلقا كنت أكرهه * إلا العجوز وعين الكلب والقمر
هذا يصيح وهذا يستضاء به * وهذه شيخة قوامة السحر

وقال وشرب سعيد بن حميد البصري عند راشد فدب على غلامه فكتب اليه سعيد

ما سمعنا من قبلها باديب * بارع الظرف ماجد قمقام
ضل عنه وهو المهذب علما * فتكات الكؤس بالأحلام
أين ما جاء من حديث رسول الله * مولاي سيد الحكام
ما على مثقل من النوم والسكرا * ن عيب فيما أتى من آثام
ثم أين الذي به حكم الما * مون في الظرف منه والاسلام
أيما ماجد أراد سرورا * باجتماع من معشر الندام
فعليه طي البساط بما قد * سنه السكر من قبيح وذام
حلت بيني وبين عقلي بأرطا * لك والمترعات من كل عام
ثم وكلت في العسوف رشيقا * فسقاني بطرفه والمدام
ثم باكرتني بعتيك واللو * م لقد حدت عن سبيل الكرام
وتغضبت أنني قدت عمرا * ثم ثنيت بعده بغرام
هل رأيت الإله يأخذ مجنو * نا بسكر أو حالما في منام
لن ترانى معاشرا لك ما عشت * ولو دمت عائشا ألف عام
أو ترى تائبا وتستغفر الله * لما كان من شنيع الكلام

فأجابه راشد فقال

يا أبا جعفر سليل المعالى * ونجيب الاخوال والاعمام
إن يكن قد أتاك عني مزح * لم يكن عن حقيقة في الكلام
أو أكن فيه كالذي كان يغدو * على لام عليك في اللوام
إنني عالم بأنك لم تأ * تِ قبيحا ولا ارتكاب الاثام
هو ذنب المدام لا ذنب خل * لم يزل حافظا لعهد الذمام
ثم ذنب العيون يا ابن حميد * فله الذنب بعد إست غرام
قعدا في طريق أبرك حتى * عرضاه للظن والاتهام

فتغمّد أخاك بالصفح فالصفح دليل على سجايا الكرام
إنّني تائب وأستغفر الله لما كان من شنيع الكلام

ماقيل فى ذلك من الشعر

فما أعين عشر على ساق نرجس * تضاحك عين الشمس بالمقل الصفر
بأحسن ممّن زارنى بعد هجعة * يميس هوينا فى الظلام على ذعر

قال ودب رجل على قينة فى مجلس فغنت

ماذا يشوّش طرّتى * ياقوم فى وقت السحر
ما ذا يعالج تكتى * ويلاه عذّبنى السهر

وقال علىّ بن حمزة

متورّد الخدّين من خجل * متخاذل الاعضاء من كسل
خاض الدجا والشوق يحمله * وأتاك يمشى غير متّئل
ما راعنى إلا تدافعه * كالغصن بين الصدر والكفل

وقال عمر بن أبى ربيعة المخزومى :

قالت وأبثثتها سرّى وبحت به * قد كنت عندى نحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولى فقلت لها * غطى هواك وما ألقى على بصرى

— محاسن الباه —

حكى عن عالج جارية مكشوح أنها حدثت مولاتها انها كانت تغتسل كل يوم فسألتها عن ذلك ، فقالت ياهذه أنه يجب على المرأة مايجب على الرجل بعد احتلامه ، قالت أو تحتلمين قالت انه لا تأتى على ليلة لا أجامع فيها الا وأحتلم ، قالت فكيف يكون ذلك قالت أرى كان رجلا جامعنى ولقد رأيت ليلة كانى مررت بدكان أبى مالك الطحان و بغل له واقف قد أدلى ورمانى تحته وأولجه فاحتلمت ثم انتبهت وأنا أجد معكة فى مراق بطنى ولذة فى سويداء قلبى وكان هذا البغل اذا أدلى حك الارض برأس ايره وضرب به فى بطنه فترى الغبار يتطاير عن يمينه وشماله ، قال وكانت مهدية بنت جبير التغلبية تقول مافى بطن الرجل بضعة أحب الى المرأة من بضعة تناط بعقد الحالبين ومنفرج الرجلين ، حدثنى جهم قال قلت لامرأة من كلب ماأحب الاشياء من الرجال الى النساء قالت مايكثر الاعداد و يزيد فى الاولاد حربة فى غلاف تناط بحقوى رجل جاف اذا غافس أو هى واذا جامع أنجى ، قال وقال أبو ثمامة لامرأة من زبيد وهى

تبكى عند قبر من الميت قالت كان يجمع بين حاجبي والساق ويهزنى هز الصارم الاعناق ووالله لولا ماذكرنه لك ماسمحت بالدموع عيناى وقد كذبتك امرأة تبكى على زوجها لغير ما أعلمتك قال وركب الرشيد حمار أمصر باوطاف على جواريه ، فقالت له واحدة يامولاى ما أكثر ما تركب هذا الحمار ، قال لانه يسب طيفور ، قالت فمن يسب طيفور يركب قال نعم قالت فى حر أم طيفور قال فنزل وواقعها وأنشد فى مثله

نظرتُ اليها حين مرّتْ كانها * على ظهر عادىٍّ فتاة من الجنّ
ولى نظرةٌ لو كان يحبل ناظرٌ * بنظرته أنثى لقد حبلت منى

— ضده فى مسارى العنين —

قال بعضهم تزوج العجاج امرأة يقال لها الدهناء بنت مسحل فلم يقدر عليها فشكت ذلك الى أهلها فسالوه فراقها فابى وقال لابيها تطلب لا بنتك الباه قال نعم عسى أن ترزق ولداً فان مات كان فرطا وان عاش كان قرة عين فقدموه الى السلطان فاجله شهرا ثم قال

قد ظننتِ الدهناء وظنٌ مسحَلُ * أن الامير بالقضاء يُعجلُ
عنّ كسلانى والحصانُ يكسلُ * عن السفادِ وهو طرفٌ هيكلُ

ثم أقبل على امرأته فضمها الى صدره فقالت

تنحَّ لن تملكنى بضمّ * ولا بتقبيل ولا بشمّ
إلا بزعزاعٍ يُسلى همّى * يسقطُ منهُ فتخى فى كمّى
يطيرُ منهُ حزنى وغمّى

ابن أبى الدنيا ان اعرابيا أخبره ان امرأة منهم زفت الى رجل فعجز عنها فتذاكر الحى أمر الضعفاء من الازواج عن الباه وامرأة الاعرابى تسمع فتكلمت بكلام ليس فى الارض اعف منه ولا ادل على عجز الرجل عن النساء فقالت مثله

تبيتُ المطايا حائداتٍ عن الهدى * إذا ما المطايا لم تجدْ من يُقيمُها

الرقاشى قال حدثنى أبو عبيدة قال سمعت ناسا من الحجاز يقولون تزوج رجل منا امرأة فعجز عنها الا انه اذا لامسها ابتأر فيها فقضى ان حملت وما مكثت الا ان رأس ولدها فجلس فى المجلس فقال له قائل لقد جئت من بلل قليل قال جئت من بلل لو أصاب مغيض أمك لكان كما قال الشاعر

رَطْبُ الطباعِ إذا حرّكتَ جوهرَه * وجدتُ أعضاءَهُ غرقى من البللِ
ولم أُهجّنهُ إلا أنهُ رجلٌ * قلتُ سلامتُهُ من جانبِ الكفلِ

الهلالى قال رأيت وافر بن عصام يسايرالمهدى فحدثه بحديث فضحك فقلت له حدثنى ماحدثت به المهدى قال سألنى ماعندك للنساء فقلت ماهن عندى الا حديث ابن حزم قال وماحديثه قلت عمر حتى بلغ الثمانين فتزوج ابنة عم له فلما أهديت اليه قعد بين شقيها فاكسل وأراق على بطنها فأقبل عليها كالمعتذر فقال هذا خير من الزناء قالت كل ذلك لاخير فيه قال وشكت امرأة زوجها وأخبرت عن عجزه أنه اذا استقط عليها انطبق والنساء يكرهن وقوع الرجل على صدورهن فقالت زوجى عياياه طباقاء وكل داء له دواء وقيل فى ذلك

جزاك الله شرًا من رفيق * إذا بلغت من ركب النساء
رماك الله من عرق بأفعى * ولا عافاك من جهد البلاء
أجبنا فى الكريهة حين تلقى * ونعظا حين تغبر فى الخلاء

﴿ محاسن النيروز والمهرجان ﴾

قال الكسروى كان أول من أبدع النيروز وأسس منازل الملوك وشيد معالم السلطان واستخرج الذهب والفضة والمعدن واتخذ من الحديد آلات وذلل الخيل وسائر الدواب واستخرج الدر وجلب المسك والعنبر وسائر الطيب وبنى القصور واتخذ المصانع وأجرى الانهار كيا خسرو بن أبرويزجهان وتفسيره حافظ الدنيا ابن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وكان الاصيل فيه أنه فى النيروز ملك الدنيا وعمر أقاليم ايران شهر وهى أرض بابل فيكون النيروز فى اول ما اجتمع ملكه واستوت أسبابه فصارت سنة وكان فى ملكه ألف سنة وخمسين سنة ثم قتله البيوراسف وملك بعده الف سنة الى أفريدون بن أثفيان وفيه يقول حبيب

وكانه الضحاك فى فتكاته * بالعالمين وأنت أفريدون

فطلب البيوراسف وملك بعده الف سنة وخمسين سنة وأسره بارض المغرب وكبله وسجنه بجبل دنباوند واستوفى عدة ماكتب الله له من عمره وانفق لافريدون سجن البيوراسف يوم النصف من مهر ماه ومهروز فسمى ذلك اليوم المهرجان فالنيروز لهم والمهرجان لافريدون والنيروز أقدم من المهرجان بالفى وخمسين سنة وقسم جم أيام الشهر وجعل الخمسة الايام الاولى الاشراف وبعدها خمسة أيام نيروز الملك يهب فيها ويصل ثم بعدها خمسة أيام لخدم الملك وخمسة أيام لخواص الملك وخمسة أيام لجنده وبعدها خمسة أيام للرعاع فذلك ثلاثون يوما وابتدع المهرجان أفريدون لما أسر البيوراسف روز مهر وكان الملك اذا لبس زينته ولزم مجلسه فى هذين اليومين أتاه رجل رضى الاسم مختبر باليمن طلق الوجه ذلق اللسان فيقوم قبالة الملك ويقول إئذن لى بالدخول فيسأله من أنت ومن أين جئت وأين تريد ومن سار بك ومع من قدمت وما

الذى معك فيقول جئت من عند الايمنين وأريد الاسعدين وسار بى كل منصور واسمى خجسته أقبلت معى السنة الجديدة وأوردت الى الملك بشارة وسلاما ورسالة فيقول الملك ائذنوا له فيقول له الملك ادخل ويضع بين يديه خواناً من فضة قد جمع فى نواحيه أرغفة قد خبزت من أنواع الحبوب من البر والشعير والدخن والذرة والحمص والعدس والارز والسمسم والباقلى واللوبيا وجمع من كل صنف من هذه الحبوب سبع حبات فجعل فى جوانب الخوان ووضع فى وسطه سبعة من قضبان الشجر التى يتفائل بها وباسمها ويتبرك بالنظر اليها كالخلاف والزيتون والسفرجل والرمان منها ما يقطع على عقدة ومنها على عقدتين ومنها على ثلاثة ويجعل كل قضيب باسم كورة من الكور ويكتب فى مواضع أبزودوابزائدوابزون وبروار وفراخى وفراهية تأويله زادو يزيد وزيادة ورزق وفرح وسعة ويوضع سبع سكرجات بيض ودراهم بيض من ضرب سنته ودينار جديد وضغث من أسبند ويتناول ذلك كله ويدعوا له بالخلود ودوام الملك والسعادة والعز ولا يؤامر يومه فى شىء اشفاقا من أن يبدو منه ما يكره فجرى على سنته وكان أول ما يقدم اليه صينية ذهب أو فضة عليها سكر أبيض وجوز هندى مقشر رطب وجامات فضة أو ذهب ويبتدى باللبن الحليب الطرى منه قد انقع فيه تمر طرى فيتناول بالنار جيل تميرات ويتحف من أحب منه ويذوق ما احب من الحلوى وكان يرفع فى كل يوم من أيام النيروز باز أبيض وكان ممن يتيمن بابتدائه فى هذا اليوم لقمة من اللبن الصرف الطرى والجبن الطرى وكان جميع ملوك فارس يتبركون بذلك وكان يسرق له فى كل يوم نيروز ماء فى جرة من حديد أو فضة ويقول استرق هذا الاسعدين ويتحمل الايمنين وجعل فى عنق الجرة قلادة من يواقيت خضر منظمة فى سلك الذهب ممدود فيها خرز من زبرجد أخضر ولم يكن يسرق ذلك الماء الا الابكار من أسافل دارات الارحاء وصنائع الغنى فكان متى اجتمع النيروز فى يوم سبت أمر الملك لرأس الجالوت بار بعة آلاف درهم ولم يعرف له سبب أكثر من ان السنة جرت منهم بذلك فصارت كالجزية فكان يبنى قبل النيروز بخمسة وعشرين يوما فى صحن دار الملك اثنتا عشرة اصطوانة من لبن تزرع اصطوانة منها براً واصطوانة شعيراً وأخرى أرزاً وأخرى عدساً وأخرى باقلى وأخرى قرطماً واخرى دخناً واخرى ذرة واخرى لوبيا واخرى حمصاً واخرى سمسما وأخرى ماشاً ولم يكن يحصد ذلك الا بغناء وترنم ولهو وكان يوم السادس من يوم النيروز اذا حصد تنثر فى المجلس ولم يكسر الى رومهر من ماه فرودين وانما كانوا يزرعون هذه الحبوب للتفاؤل بها ويقال أجودها نباتا واشدها استواء دليل على جودة نبات ما زرع منها فى تلك السنة فكان الملك يتبرك بالنظر الى نبات الشعير خاصة وكان مؤدب الرماة يناول الملك يوم النيروز قوسا وخمس نشابات ويناول الملك قيمه على دار المملكة أترجة فكان فيما يغنى بين يدى الملك غناء

المخاطبة وأغانى الربيع وأغانى يذكر فيها أبناء الجبابرة وتوصف الانواء وأغانى أفرين والخسروانى والماذراستانى والفهلبد وكان أكثر ما يغنى العجم الفهلبد مع أيام كسرى أبرويز وكان من أهل مرو وكان من اغانيه مديح الملك وذكر أيامه ومجالسه وفتوحه وذلك بمنزلة الشعر فى كلام العرب يصوغ له الالحان ولا يمضى يوم الا وله فيه شعر جديد وضرب بديع وكان يذكر الاغانى التى يستعطف بها الملك ويستميحه لمرازبته وقواده ويستشفع لمذنب وان حدثت حادثة أو ورد خبر كرهوا انهاءه اليه قال فيه شعرا أو صاغ له لحنا كما كان فعل حين ثقل مركوبه شبديز ولم يجسروا على انهاء ذلك فغنى بها وذكر أنه ممدود فى آريه ماد قوائمه لا يعتلف ولا يتحرك فقال الملك هذا قد ثقل اذا قال أنت قلت ذلك أيها الملك وكان يضطر باشماره أن يتكلم بالذى يكره عماله ان يستقيلوه به

(العلة فى صب الماء) ذكروا أن العلة فى صب الماء انه كان اول من تكلم فى المهد قبل المسيح زوبن طهماسب وكان مات أبوه على قحط شديد قد شمل الاقاليم فتكلم ودعا الله تبارك وتعالى فسقى الناس الغيث واخصبت أرضهم وعاشت مواشيهم فجعلوا صب الماء فيه سنة، وقد حكى أيضا عن ابى جعفر محمد بن على بن الحسين صلوات الله عليه انه قال فى ذلك ان ناساً من بنى اسرائيل أصابهم الطاعون فخرجوا من مدينتهم هاربين الى أرض العراق فبلغ كسرى خبرهم فامر ان يبنى لهم حظيرة يجعلون فيها لترجع انفسهم اليهم فلما صاروا فى الحظيرة ماتوا وكانوا أربعة آلاف نفس ثم ان الله تبارك وتعالى أوحى الى نبى ذلك الزمان ان رأيت محاربة بلاد كذا فحاربهم يبنى فلان فقال يارب كيف أحاربهم وقد ماتوا فاوحى الله اليه أنى أحييهم لتحارب بهم وتظفر بعدوك فمطر الله عز وجل ليلة صب الماء فاصبحوا احياء فهم الذين قال الله تعالى فيهم «ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم» قال هؤلاء قوم أصابهم محنة من الازل فخطوا زمانا فهزلوا واجدب بلدهم فغيثوا فى هذا اليوم برشة من مطر فعاشوا واخصبت بلادهم فجعله الفرس سنة

(صفة الايام) قال كسرى يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للهو والشرب وقال غيره يوم السبت يوم مكر وخديعة والاحد يوم غرس وبناء ويوم الاثنين يوم سفر وطلب رزق والثلاثاء يوم حجامة والاربعاء يوم ضنك ونحس والخميس يوم الحج والجمعة يوم مسجد ونساء وكساء

(فى البرد) سئل بعض الحكماء عن البرد أيه اشد فقال اذا اصبحت السماء نقية والارض ندية والريح شامية

﴿ محاسن الهدايا ﴾

قال وكتب الناس فى الهدايا فأكثر وامن الكلام المنثور والشعر الموزون وكل يكتب ويقول بمقدار عقله وعلمه حتى قالوا أنها قرابة وصلة كالرحم الماسة والقرابة القريبة وكلحمة النسب وأكثر وامن الشفيع لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم تهادوا وتحابوا وقيل الهدية تفتح الباب المصمت وتسل سخيمة القلب وروى عن عائشة أنها قالت اللطفة عطفة وتزرع فى القلوب المحبة، قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ما هو خير منها وقال عليه الصلاة والسلام. لو أهدى الى ذراع لقبلت ولو دعيت الى كراع لاجبت، وقال عليه الصلاة والسلام. الهدية رزق من الله عز وجل فمن أهدى اليه شيء فليقبله، وقال صلى الله عليه وسلم نعم الشيء الهدية أمام الحاجة ما ارضى الغضبان ولا استعطف ولا استميل الهاجر ولا توقى المحذور بمثل الهدية والبر وقال الله عز وجل (وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون) وروى أن عاملا لعلى رضى الله عنه قدم من بعض الاطراف فاهدى الى الحسن والحسين سلام الله عليهما ولم يهد الى ابن الحنفية فقال متمثلا

وما شرُّ الثلاثة أمَّ عمرو * بصاحبك الذى لا تصحبينا

فاهدى العامل اليه كما أهدى الى أخويه وروى من امير المؤمنين على عليه السلام ان قوما من الدهاقين اهدوا اليه جامات فضة فيها الاخبصة فقال ماهذا قالوا يوم نيروز فقال نيروز نا كل يوم فاكلوا الخبيص واطعم جلسائه وقسم الجامات بين المسلمين وحسبها لهم فى خراجهم وقيل ان جلساء المهدى اليه شركاؤه فى الهدية والهدية تجلب المودة وتزرع المحبة وتنفى الضغينة وتركها يورث الوحشة ويدعو الى القطيعة والهدية تصير البعيد قريباً والعدو صديقاً والبغيض وليا والثقيل خفيفا والعدو حراوالحر عبداوفيها قول الشاعر

مهما تصدق وإنْ أبدى مودَّتَهُ * يوماً بأنجح فى الحاجات من طبقِ
إذا تقنَّع بالمنديلِ مُنطلقاً * لم يخشَ نبوةَ بوَّابٍ ولا غلقِ
لا تُكثرنَّ فإنَّ الناسَ مذْ خلقوا * لرَغبةٍ كلما يُعطون أوفرقِ

وقال آخر

إذا أردتَ قضاءَ الحاجِ من أحدٍ * قدِّم لنجواكَ ما أنجبتَ من سببِ
إنَّ الهدايا لها حظٌّ إذا وردتْ * أحظى من الابنِ عند الوالدِ الحدبِ

وقد قيل كل يهدى على قدره. وذكروا أن سليمان بن داود عليهما السلام بينا يسير بالريح

اذ أتى على عش قنبرة فيها افراخ لها فامر الريح فعدلت عن العش فلما نزل وافق يومه ذلك النيروز فجاءت تلك القنبرة حتى رفرفت على رأس سليمان وألقت فى حجره جرادة فقيل له فى ذلك فقال كل يهدى على قدره . وكان مما تهديه ملوك الامم الى ملوك فارس طرائف ما فى بلدهم فمن الهند الفيلة والسيوف والمسك والجلود ومن تبت والصين المسك والحرير والسك والاوانى ومن السند الطواويس والببغاء ومن الروم الديباج والبسط وكان الفواد والمرازبة والاساورة يهدون النشاب والاعمدة المصمتة من الذهب والفضة والوزراء والكتاب والخاصة من قرابتهم جامات الذهب والفضة المرصعة بالجوهر وجامات الفضة الملوحة بالذهب والعظماء والاشراف البزاة والعقبان والصقور والشواهين والفهود والسروج والانتها وربما أهدى الرجل الشريف سوطاً فقبله وكانت الحكماء يهدون الحكمة والشعراء الشعر واصحاب الجوهر الجوهر واصحاب نتاج الدواب الفرس الفاره والشهرى النادر والحمار المصرى والبغال الهملاج والظرفاء قرب الحرير الصينى مملوءة ماء وردا والمقاتلة القسى والرماح والنشاب والصيارفة والزرادون تحمل السيوف والدروع والجواشن والبيض والاسنة وكانت نسوة الملك تهدى احداهن الجارية الناهدة والوصيفة الرائعة والاخرى الدرة النفيسة والجوهرة المثمنة وفص خاتم ومالطف وخف واصحاب البزا الثوب المرتفع من الخز والوشى والديباج وغير ذلك والصيارفة تقر الذهب والفضة وجامات الفضة مملوءة دنانير واوساط الناس دنانير ودراهم من ضرب سنتهم مودعة ارجة أو سفرجلة أو تفاحة والكاتب واقف يكتب كل مهد وجائزة كل من جيزه الملك على هديته ليودع ذلك ديوان النيروز .

ومن الهدايا التى لم يسمع السامعون بمثلها هدية ابرويز الى ملك الروم بعقب محاربة بهرام جوبين وقد شارف الروم فانفذ رسولا يستنجده وبعث اليه مائة غلام من ابناء الاتراك مختارين فى صورهم ونفوسهم فى آذانهم اقرطة الذهب معلق فيها حب الدر على مراكب بسروج الذهب منظمة باليواقيت والزمرد وبعث معه مائدة من عنبر فتحها ثلاثة اذرع مكللة المستدار بالدر لها ثلاث قوائم من ذهب احداها ساعد أسد مع كفه والاخرى ساق وعمل مع ظلفه والثالثة كف عقاب فى كف الاسد ياقوتة خضراء وبين ظلفى الوعل ياقوتة حمراء وفى كف العقاب قبجة من اللازورد عيناها ياقوتتان حمرا وان تتوقدان حمرة وفى وسط المائدة جام من جزع يمانى فاخر فتحه شبر فى شبر مملوء بواقيت حمر وسفط ذهب فيه مائة درة كل درة مثقال ومائة لؤلؤة كل لؤلؤة مثقال ومائة خاتم من ذهب مرصع بالجوهر مشبك الاعلى حشوه مسك وعنبر ووصل رسل ابرويز الى ملك الروم بهذه الهدية فانجده وارسل اليه عشرين الف فارس بالسلاح الشاك وبعث اليه بألفى ألف دينار لارزاق جنده وألف ثوب منسوج

وعشرين جارية من بنات ملوك الصقالبة باقبية الديباج المطير فى آذانهن أقرطة الذهب المزينة بالدر والياقوت وعلى رؤسهن أكلة الجوهر وأهذا اليه عشرين مركباً على كل مركب صليب تحت كل صليب ألف فارس وألف برذون وألف شهرى والف بغلة والف نجيب بسروج مذهبة وأكف مذهبة ولجم من ذهب مصبوب وبرادع مذهبة وجلال وبراقع ديباج منسوج بالذهب واللؤلؤ وأوقر البغال من السندس والاستبرق والذهب واللؤلؤ وبعث اليه مساحة جريب ارض من ذهب فيه نخل من ذهب سعفه الزمرد وطلعه اللؤلؤ وشماريخه الياقوت الاحمر وكربه الجزع وبعث اليه الف الف لؤلؤة كل لؤلؤة بالف دينار وبعث اليه الف الف درهم مثاقيله الف الف دينار خسر وانى وانى به واعتذر اليه من التقصير فقابله ملك الروم عامة المقبل يوم النيروز بفارس من ذهب على شهرى من فضة عينا الشهرى جزع أبيض محدق بسواد وناصيته وعرفه وذنبه شعر اسود يد الفارس صولجان من ذهب والى جانبه ميدان من فضة فى وسط الميدان كرة عقيق أحمر يحمل الميدان ثوران من فضة والشهرى يبول الماء فاذا بال انحط الصولجان على الكرة فضربها الى اقصى الميدان فتحرك بحركتها الثوران والميدان ويركض الفارس على عجل تحت حوافر الشهرى ، فاما أهل الاسلام فلم يسمع مثل هدية حسان النبطى الى هشام بن عبد الملك فانه اهدى اليه والى امهات اولاده هدية كثيرة من الكساء والعطر والجوهر وغيرها فاستكثرها هشام وقال بيت المال احق بهذا تم امر فنودى عليها فبلغت مائة الف دينار فبعث حسان أثمانها وقال يا أمير المؤمنين قد طابت الان هذه مائة الف دينار تحمل الى بيت المال فاقبل هديتى فقبلها ونادى على مناديه حسان سيد موالى امير المؤمنين قد طابت الآن هذه ، واستملح المامون من ابى سلمة ذكر هدية لطيفة قال اهدى الى امير المؤمنين خوانا من جزع ميلا فى ميل فقال المامون اوقبضت الهدية قيل نعم قال اهى فى دارى ام دارى فيها قال بل هى فى منديل قد غابها هديته فاذا خوان من جزع عليه ميل من ذهب قد صنع من مائة مثقال بطول الخوان وعرضه فاستملحه وقبله ، واهدت اسماء بنت داود الى اسماء بنت المنصور مائة مركن من فضة فيها انواع اللخالخ والريحان المطيب ومائة جفنة مطيبة وانواع من الاطعمة والاشربة وعشر أمن الوصائف فى قد واحد فقومت هديتها فبلغت خمسين الف دينار ، وبعث الحسن بن وهب الى المتوكل بجام من ذهب فيه الف مثقال من العنبر وكتب اليه

يا إمام الهدى سعدت من الدهـ ـر بركن من الاله عزيز
وبظل من النعيم مديد * وبحرز من الليالى حريز
لازل ألف حجة مهرجان * أنت تقضى به الى النيروز

ونعيم ألذ من نظر المعشوق من بعد نبوة ونشوز

قال خالد المهلبي أهديت الى المتوكل فى يوم نيروز ثوب وشى منسوج بالذهب ومشمة عنبر عليها فصوص جوهر مشبك بالذهب ودرعامضاعفة وخشبة بخور نحو القامة وثوبا بغداديا فاعجبه حسنه ثم دعا بفلبسه : وقال يامهلبي انما لبسته لاسرك به فقلت ياأمير المؤمنين لو كنت سوقة لوجب على الفتيان تعلم الفتوة منك فكيف وأنت سيد الناس . وأحسن من جميع ماتقدم ذكره قول عبد الله العباسي والى الحرمين فانه قال هذا يوم يهدى فيه الى السادة والعظماء والواجب أن أهدى الى سيدى الاكبر ثم دعا بعشرة آلاف دينار فقسمها على اهل الحرمين فكانت فكرته فى هذا أحسن من فعله

﴿ التلطف فى الهدايا ﴾ كتب سعيد بن حميد الى بعضهم النفس لك والمال منك غير أنى كرهت أن اخلى هذا اليوم من سنة فاكون من المقصرين اوأدعى ان فى ملكى مابغى بحقك فاكون من الكاذبين وقد وجهت اليك بالسفرجل لجلالته والسكر لحلاوته والدرهم لنفاقه والدينار لعزه فلازلت جليلا فى العيون مهيباً فى القلوب حلواً لاخوانك كحلاوة السكر عزيزاً عند الملوك لاتحسن أفنيتهم الا بك ولازلت نافقاً كنفاق الدرهم : وأهدى احمد بن يوسف الى ابراهيم بن المهدى وكتب اليه الامراء أعزك الله تسهل سبيل الملاطفة فى البر فاهديت هدية من لايحتشم الى من لايغتم مالا فلاأكثره تبجحاً ولااقله رفعا

﴿ هدايا النيروز ﴾ قال كتب الحسن بن وهب الى المتوكل فى يوم نيروز بهذه الرقعة اسعدك الله ياأمير المؤمنين بكر الدهور وتكامل السرور و بارك لك فى اقبال الزمان و بسط بمين خلافتك الامال وخصك بالمزيد وأبهجك بكل عيد وشد بك أزر التوحيد ووصل لك بشاشة ازهار الربيع المونق بطيب أيام الخريف المغدق وقرب لك الفتح بالمهرجان والنيروز بدوام بهجة ايلول وعز و بمواقع تمكين لايجاوزه الامل وغبطة الهاتهاية ضارب المثل وعمر يبلائك الاسلام وفسح لك فى القدرة والمدة وامتع برأفتك وعدلك الامة وسر بلك العافية و ردائك السلامة ودرعك العز والكرامة وجعل الشهور لك بالاقبال متصدية والازمنة اليك راغبة متشوقة والقلوب نحوك سامية تلاحظك عشقا وترفرف نحوك طرباوشوقا وكتب فى آخره

فداك الزمان وأهل الزمان * إمام الهدى بك مستبشرينا
قد ألقوا اليك مقاليدهم * جميعاً مطيعين مستوسقينا
ولازلت زيناً لاعيادنا * وللدين كهفاً وحصناً حصينا
يعز بدولتك الصالحون * و يشقى بك الشرك والمشركونا

فيا رُبَّ مشكلةٍ أبرقتْ * فجلتها السيفَ حقاً يقينا
بصدقِ عزيمةِ مستبصرٍ * وضربٍ يقدُّ الطُّلى والمتونا
وسمتَ النصارى بشيطانها * وذللتَ منها الاغرَّ البطينا
وكم فعلةٍ لك فى المشركينَ * أقرَّتْ عيونا وأبكتْ عيونا

وكتب آخر

المهرجانُ لنا يومٌ نُسَرُّ بهِ * يومٌ تعظمهُ الاشرافُ والعجمُ
وأنتَ فيهِ لنا بدرٌ يضيءُ لنا * أنَّ السماءَ ببدرِ الليلِ تبتسمُ

وكتب آخر

عيدٌ جديدٌ وأنتَ جدَّتهُ * يامنْ به للزَّمانِ تجديدُ
لازالَ طولَ الزَّمانِ يرجعهُ * وظلُّ مُلكٍ عليكَ ممدودُ

وقيل للمازنى أى هؤلاء أظرف فى شعره الذى يقول

جُعلتُ فداكَ للنَّيروزِ حقٌّ * فأنتَ على أعظمُ منهُ حقا
ولوْ أهديتُ فيهِ جميعَ ملكى * لكانَ جليلُهُ لك مُستدقا
فأهديتُ الثناءَ بنظمِ شعرٍ * وكنتَ لذاكَ منى مُستحقا

أم الذى يقول

دخلتُ السوقَ أبتاعُ * وأستطرفُ ما أهدى
فما استطرفتُ للاهدا * ءِ إلا طُرفَ الحمدِ
إذا نحنُ مدحناكَ * رعينا حُرمةَ المجدِ

أم الذى يقول

وكم من مُرسلٍ لك قد أتانى * بما يُهدى الخليلُ إلى الخليلِ
فأظهرتُ السرورَ وقلتُ أهلا * وسهلا بالهديةِ والرَّسولِ

فقال أشعرهم جميعهم وأظرفهم الذى يقول

فوَاللهِ لا أنفكُّ أهدى شوارداً * اليكَ تُحمِّلنَ الثناءَ المبجَّلا
ألذَّ من السَّلوى وأطيبَ نفحةً * من المسكِ مفتوقاً وأيسرَ محملا

وبعث سعيد بن حميد الى احمد بن أبى طاهر قارورة ماء ورد وكتب اليه

وزائرةٍ حوريَّةٍ فارسيةٍ * كنشرِ حبيبٍ حادثٍ ما عن الصدِّ

تردُّ ربيعا فى مصيفٍ بنفحةٍ * إذا فقدتْ وردا تنوبُ عن الورد
حكى نشرُها منهُ خلائقَ نشرِهِ * كنشرِ نسيمِ الرَّوْضِ فى جنةِ الخلد
وشبَّهتُها فى صفوها بصفائه * لإخوانه فى القربِ منهُ وفى البعدِ
وأهدتْ لنا منهُ النسيمَ نسيمهُ * وإنْ كان إنْ حالت يدوم على عهْد

وعن اسحاق بن ابراهيم الموصلى . قال دار كلام بين الامين و بين ابراهيم بن المهدى . قال فوجد عليه الامين فهجره فوجه اليه ابراهيم بوصيفة مغنية مع عبد هندى فابى الامين أن يقبلهما فكتب اليه

هتكتَ الخمَّيرَ بردَ اللطفْ * وكشفتَ هجرَكَ لى فانكشفْ
فإنْ كنتَ تحقدُ شيئا مضى * فهبْ للخلافةِ ماقدْ سلفْ
وجدْ لى بعفوكَ عنْ زلتى * فبالفضلِ تاخذُ أهلَ الشرف

فرضى عنه ودعاه للمنادمة

﴿ هدايا القصد ﴾ قال ابن حمدون النديم اقتصد المأمون فاهدى اليه ابراهيم بن المهدى جارية معها عود و رقعة فيها

عفوتَ وكانَ العفوُ منكَ سجيَّةً * كما كانَ معقُوداً بمفرقكَ الملكُ
فإنْ أنتَ أتممتَ الرِّضى فهو الذى * وإنْ أنتَ جازيتَ المسىءَ فذا الهلكُ

فقال المأمون خرف الشيخ يوم مثل هذا يذكر الثواب والآخرة فلم يقبل الوصيفة واغتم ابراهيم وكتب اليه مع الوصيفة

لا والذى تسجُدُ الجباهُ لهُ * مالى بما دونَ ثوبها خبرُ
ولا بفيها ولا هممتُ بها * ما كانَ إلاَّ الحديثُ والنظرُ

فقال المأمون نعم الآن أقبلها فقبلها ، قال أبو القاسم بن أبى داود كنت عند أحمد بن محمد العلوى وقد اقتصد فخرج بعض الخدم ومعه طبق من فضة عليه تفاح طيب مكتوب حواليه بالذهب

سُرَّ الغداةَ بوجهكَ اللعبُ * وجرى بيُمنِ فصادِكَ الطربُ
وتداعتِ العيدانُ فى زجلٍ * وتناولتْ راحاتها النخبُ
فاشربْ بهذا الجام يا ملكى * شُربا حثيثاً إنهُ عجبُ
واجعلْ لمنْ قدْ خفَّ فى لطفٍ * منْ زورهُ يُخشى ويُرتقبُ

فقال للخادم اخرجها الى الستارة فخرجت وخلا ليلته بها . وقيل اقتصد المعتصم فاهدت

اليه شمائل صينية عتيق عليها قدح أسبل عليهما منديل مطيب مكتوب عليه بالعنبر فى كل ربع منه بيت شعر

خضب الخليفة كفه من فصده * بدم يحاكى عبرة المشتاق
ناة الفصاد فما يقام لتيهه * إذ صار مفتصدا أبو إسحاق
ووافت العيدان عند حضوره * قب البطون ذوابل الاعناق
ملك إذا خطر الشراب ببابه * لبس السرور غلائل الإشراق

فلما قرأه أمر باحضار اسحق بن ابراهيم الموصلى وأمره أن يجعل له لحنا وأمر مسروراً باخراجهما من وراء الستارة ثم لم يزل اسحاق يردد هذه الابيات حتى أحكمتها شمائل وغنت فكان سقط الدر يتناثر من فيها وأمر لاسحاق بمال وللجارية بخمس وصائف وخمسة آلاف دينار المبرد قال أهدى اليزيدى الى الرشيد يوم فصد جام بلور وشمامات غالية وكتب اليه يا أمير المؤمنين تفاءلت فى الشرب فى الجام بجمام النفس ودوام الانس والغالية للغلو فى السرور والازدياد من الخير والحبور وقلت

دم الفصد من يدك العاليه * يداعى لجسمك بالعافيه
كسا الدهر ثوبا من الارجوان * بديع الطراز بنى والحاشيه
وعصفر صفحة وجه الربيع * بصبغ من أسراره الجاريه
فكم روضة نشرت وشيها * وزهرة روض غدت زاهيه
إمام أسال دم المكرمات * فشجج أقنانها الحاميه
فلا زال فى عيشة راضيه * ودامت له النعمة الكافيه

قال اليزيدى افتصد المأمون فاهدت اليه رياحين أترجة عنبر عليها مكتوب بماء الذهب

تعالج من هويت بفصد عرق * فأضحى السقم فى خلع الخضوع
وجاءت تحفة الألباب تسعى * بورد فائض فيض الدموع

فقال المأمون لليزيدى ويحك ما تقول فيمن كتب هذين البيتين قال يكافأ بالدنيا وما استدق منها فامر لها بمال كثير ووصلنى ببعضه . قال وافتصد عبدالله بن طاهر فاهدى له أبو دلف جميع ما أصاب فى السوق من الورد وكتب اليه

تضاحك الورد فى وجهى فقلت له * لم ذا فقال أبو العباس مفتصد
فقمت أطلب ما أهديه من طرف * للفصد فى السوق حتى خاننى الجلد

يومُ الفصادِ لهُ أزرٌ مُطيّبةٌ * مخجوبةٌ لا يراها الجردُ والزَّردُ
فاشرَبْ على الوَرْدِ مسروراً بطلعته * يا ابنَ الكرامِ فأنتَ السيدُ النجدُ

قال عمر بن بابة اعتل المعتصم فأشار اليه بختيشوع بالفصد وأنا عنده فأخرجت اليه هدايا الفصد وكان فيما أخرج طبق صندل مكتوب عليه بجزع كابدو رعليه شمامات مسك وعنبر فأمر بقراءة ما عليه فاذا هو

فصد الإمامُ لعلةٍ في جسمه * فشفى الإلهُ السُّقمَ بالفصدِ
وجرى الى الطشتِ السنامُ مبادراً * وجرى الشفاءُ إليه بالسَّعدِ
يا مالكا ملك العبادَ بجوده * إسلمْ تسلمَ بعيشةٍ رغدِ

فقال يا عمر ومن يلومني على حب هذه الجارية والله ما أراها الا تزايدت في عيني وخليق أن تنجب فان لها همة فولدت له غلاما وكانت آثر جواريه عنده واحظاهن لديه ، وأخبرنا ابراهيم القاري قال كنت عند المأمون فاحتاج الى الفصد فقال له الاطباء البلد بارد فقال لا بد لي منه ففصدوه فلما كان وقت الظهر حضروا فراموا فجر العرق فاذا هو قد التحم فشدوا الرباط وفيهم ميخايل فباظهر الدم فقال له المأمون عمر تموني فحلوا الرباط وعلى رأسه بختيشوع وابن ماسويه فقال ما تقولون . قالوا ما ندري ما نقول . قال فاشاروا هناك أن جلالة الخليفة ربما أدهشت الحاذق بالصناعة والمتقدم في الرياسة فاعتزلوا ناحية وأبطؤا عليه فقال لاسود كان على رأسه ادن فصل الجرح ففعل فثار الدم فقال ادع هؤلاء الحاكة فجاؤا وشهدوا خروج الدم قال أين كنتم . قال ابن ماسويه لو فعل جالينوس ما زاد عليه . قال وافتصد أحمد بن عيسى بالري وهو أمير ها فكتب اليه جعفر الشيباني

فصدتَ بأرضِ الرَّيِّ طابَ لكَ الفصدُ * وفارقَ نجمَ النَّحسِ طالعكَ السَّعدُ
فأعقبكَ الحسنى التي لا مدى لها * ولا زالَ بُردَيكَ الجلالةُ والحمدُ
تَوَرَّدَتِ الدُّنيا بفصدِكَ مثلَ ما * بفصدِكَ يا ابنَ المصطفى ضحكَ الوردُ
فلا أبصرتْ عيناكَ ما عِشتَ شانياً * ومنْ كلِّ ما تهواهُ لا خانكَ العهدُ

وفي مثله

يا فاصداً من يدٍ جلّتْ أياديها * ونالَ منهُ الذي يرجوهُ راجيها
يدُ الندى هي فارفقْ لا ترقْ دمها * فإنَّ آمالَ طُلابِ الندى فيها

قال وكتب الحمدوني الى الفضل بن جعفر وقد افتصد

ألا يا طبيبَ الفصدِ هلْ أنتَ عالمٌ * بما صنعتْ كفاكَ في كفِّ ذي المجدِ

أسلمت دماً من ساعدٍ ينثني بها * حياءً ندى فاقصد بذرعك في الفصدِ
فداويت كفاً يعلم الناس أنها * دواء من الاعلال في الزمن النكدِ
ولما أتانا المخبرون بقصده * أردت بأن أهدي على قدر ماعندي
وشاورت فاستصحبت آلي وجيرتي * فلم أر أمرى من ثناء ومن حمدِ

وقال آخر

تو ثق من ثنائك في الهدايا * غداة أردت فصد الباسليقِ
فلم أر كالدعاء أتم نفعاً * وأجمل في مكافاة الصديقِ
وأكثرت الدعاء وقلت ربي * يقيك شرور آفات العروق

وقال آخر

على طيب أيام التمتع بالورد * فصدت فاصحبت السلامة في الفصد
ولا زلت لا زالت من الله أنعم * عليك قرير العين مغتبط الحسد
لقد زمت جهدي طرفة وهدية * إليك فكان الشكر أكثر ماعندي

وقال آخر

أيها الفاصد العليل الصحيح * بأبي ذلك الجراح الجريح
إن من علق الذراع من الفصد إلى الجيد ذاك شيء مليح
أيها الفاصد المهنا له الورد * دوفي وجنتيه ورد يلوح

وقال آخر

أيها السيد الذي فصد العز * ق وأرخى دوني ذيول السرور
كم تمنيت أن أكون طبيباً * ومنى الصب نزهات الغرور

وقال آخر

أجمل جعلت فداك بالجلد * وامنن علي بأجمل الرد
لو عاينت عينك مضطربي * وتفردي بالمد والشد
وتخشعي عند الطبيب كأنه * مولى يريد عقوبة العبد
كالنار مبضعه يقلبه * ويديره مقلة حازم جلد
حتى اعتزمت على محاجزة * وصددت عنه أتم صد
ما كان من ألم شعرت به * إلا كموقع شرطة الجلد

اذ سال مُنبعثاً سوابقُهُ * كالنارِ خارجة من الزَّندِ
فسلمتُ والرحمنُ سلَّمني * ذوالمنّ والآلاء والحمدِ
مابعدَ طباخي لمفتخرٍ * فخرٌ لمن قبلي ومن بعدي
نصبَ الدُّورَ بنفسه كرَماً * لنَصيبِ شهوَتنا على عمدِ
فاجادَ صنعتَها وعجّلها * من غيرِ مانعب ولا جَهدِ
ونبيذُنا صافٍ ومجلسنا * في الطيبِ يحكي جنةَ الخلدِ
فهلُمَّ وأحضرْ غيرَ محتشمٍ * واجعل غذاءَك سيدي عندي
لا تجمعنّ عليَّ محتسباً * ضعفَ العليلِ ووحشةَ الفردِ

— محاسن الوصائف المغنيات —

قال الاصمعي بعث الي هرون الرشيد وهو بالرقة فحملت اليه فانزلني الفضل بن الربيع ثم دخلني عليه وقت الغروب فاستدناني وقال. ياعبد الملك وجهت اليك بسبب جاريتين اهديتا الي وقد أخذتا طرفا من الادب احببت ان تبرز ماعندهما وتسير على الصواب فيهما ثم أمر باحضارهما فحضرت جاريتان مارأيت مثلهما قط فقلت لاحداهما ماعندك من العلم قالت ماأمر الله في كتابه ثم ماينظر فيه الناس من الاشعار والاخبار فسالتها عن حروف القرآن فاجابتني كانها تقرأ في كتاب الله ثم سالتها عن الاشعار والاخبار والنحو والعروض فاقصرت عن جوابي في كل فن أخذت فيه فقلت لهما فانشدتنا شيئا فانشدت

ياغياثَ البلادِ في كلِّ محلٍ * ماأريدُ العبادُ إلاّ رضاكَ
لا ومن شرَّفَ الإمامَ وأعلى * ماأطاعَ الإلهَ عبدٌ عصاكَ

فقلت ياأمير المؤمنين مارأيت امرأة في نسك رجل مثلها وخبرت الاخرى فوجدتها دونها فامرت ان تصنع تلك الجارية لتحمل اليه في تلك الليلة ثم قال لي ياعبد الملك اناضجر واحب ان تسمعني حديثا مما سمعت من أعاجيب الزمان تفرج به فقلت ياأمير المؤمنين كان لي صاحب في بدو بني فلان وكنت أغشاه وأتحدث معه وقد أتت عليه ست وتسعون سنة وهو أصح الناس ذهنا وأقواهم بدنا فغبت عنه ثم أتيته فوجدته ناحل البدن كاسف البال فسألته عن سبب تغيره فقال قصدت بعض القرابة فالفيت عندهم جارية قد طلت بالورس بدنها وفي عنقها طبل تنشد عليه

محاسنُها سِهامٌ للمنايا * مُريشةٌ بأنواعِ الخطوبِ
ترَى رَيبَ المنونِ بهنّ سَهماً * تُصيبُ بنَصلِهِ مُخَّ القلوبِ

فقلت

قِفي شَفتي من موضعِ الطَّبل ترتَعي * كما قد أبحتِ الطَّبلَ في جيدكِ الحَسَنْ
هَبيني عُودًا جوفُهُ تحتَ متنِهِ * يُتَغنى ما بينَ نحركِ والذقنْ

فلما سمعت شعري رمت بالطبل في وجهي ودخلت الخيمة فوقفت حتى حميت الشمس على مفرقي ولم تخرج فانصرفت قريح القلب فهذا التغير من عشقي لها فضحك الرشيد حتى استلقى وقال ويلك يا عبد الملك ابن ست وتسعين يعشق فقلت قد كان هذا فقال يا عباس أعط عبد الملك مائة ألف درهم ورده الى مدينة السلام فانصرفت ثم أتاني خادم فقال أنا رسول ابنتك - يعني الجارية - تقول لك ان أمير المؤمنين قد أمر لها بمال وهذا نصيبك فرفع الى ألف دينار ولم تزل تواصلني بالبر الواصل حتى كانت فتنة محمد وانقطع خبرها وأمر الفضل لي بعشرة آلاف درهم ، على بن الجهم لما افضت الخلافة الى المتوكل اهدى اليه الناس على اقدارهم فاهدى اليه ابن طاهر جارية اديبة تسمى قبيحة تقول الشعر وتلحنه وتحسن من كل علم احسنه فخلت من قلب المتوكل محلا جليلا فدخلت يوما للمنادمة وخرج المتوكل وهو يضحك وقال يا على دخلت فرايت قبيحة قد كتبت على خدها بالمسك جعفر فما رايت احسن منه فقل فيه شيئا فسبقتني محبوبة واخذت عودها فغنت

وكاتبةٍ بالمسكِ في الخدِّ جعفرًا * بنفسي خطُّ المسكِ من حيث أثَّرا
لئن أودعتْ سطرًا من المسك خدَّها * لقد أودعتْ قلبي من الوجدِ أسطُرا
فيا من لمملوكٍ يظلُّ مليكُهُ * مُطيعًا له فيما أسرَّ وأجهرَا
ويا من لعبدٍ من رأى مثل جعفر * سقى اللهُ صوبَ المسكراتِ لجعفرا

قال فتقلت خواطري حتى كأني ما احسن حرفا من الشعر وقلت للمتوكل أقل فقد والله غرب عني ذهني فلم يزل يعيرني به ثم دخلت عليه للمنادمة بعد ذلك فقال يا على اعلمت اني قد غاضبت محبوبة وامرتها بلزوم مقصورتها ومنعت اهل القصر من كلامها فقلت يا سيدي ان غاضبتها اليوم فصالحها غدا فدخلت عليه من الغد فقال ويحك يا على رايت البارحة في النوم كأني صالحت محبوبة . فقالت جاريته شاطر يا سيدي لقد سمعت الآن في مقصورتها هينمة فقال تنظر ما هي فقام حافيا حتى وصلنا مقصورتها فاذا هي تغني

أدورُ في القصرِ كي أرى أحدًا * أشكو اليه فلا يكلمني
فمن شفيعٍ لنا إلى مَلِكٍ * قد زارني في الكرا يعاتبني
حتى إذا ما الصَّباحُ عادَ لنا * عادَ إلى هجرِهِ ففارقني

فصفق المتوكل طربا فلما سمعته خرجت تقبل رجليه وتمرغ خدها في التراب حتى اخذ

بيدها راضيا عنها ، حدث أبو على بن الاسكرى المصرى واسكرهى القرية التى ولد فيها موسى عليه السلام ـ قال كنت من جلاس تميم بن تميم وممن يخف عليه فأتى من بغداد بجارية رائعة فائقة الغناء فدعا بجلسائه وقدمت الستارة فغنت

وَبدا لهُ من بعد ما اندمل الهوى * بَرْقٌ تألقَ مُوهِناً لمَعانُهُ
بَدُوا كحاشيةِ الرِّداءِ ودُونَهُ * صَعْبُ الذُّرَى ممتنعٌ أركانُهُ
وبدا لينظرَ كيف لاحَ ولم يطِقْ * نظراً اليهِ وهدَّهُ هيجانُهُ
فالنارُ ما اشتملتْ عليهِ ضلوعُهُ * والماءُ ما سَحَّتْ بهِ أجفانُهُ

قال فأحسنت ماشاءت فطرب تميم ومن حضرهم غنت

سَيَسْليكَ عما دُونَ دَوْلةِ مِنْضلِ * أوائلُهُ محمودةٌ وأواخرُهْ
ثنى اللهُ عطفَيْهِ وألَّفَ شخصَهُ * على البِرِّ مذ شدَّتْ عليهِ مآزرُهْ

فطرب تميم ومن حضرهم غنت

أستودعُ اللهَ فى بغدادَ لى قمرا * بالكرخِ من فلكِ الأزرارِ مطلعُهْ

فافرط تميم فى الطرب جدا وقال لها تمنى ماشئت فلك منالك قالت أتمنى أيها الامير عافيته وسلامته فقال والله لابد أن تتمنى ، فقالت على الوفاء أتمنى أن أغنى هذه النوبة ببغداد فتغير وجه تميم وتكدر المجلس وقمنا فلحقنى بعض خدمه فردنى فلما وقفت بين يديه قال ويحك أرأيت ما امتحنابه ولابد لنا من الوفاء ولم أثق فى هذا بغيرك فتأهب لحملها الى بغداد فاذا غنت هنالك فاصرفها فقلت سمعا وطاعة ثم أصحبها جارية سوداء تخدمها وتعادلها وأمر بناقة لى فحمل عليها هودج وادخلت فيه وسرنا مع القافلة الى مكة فقضينا حجنا ثم لما وردنا القادسية اتتنى السوداء فقالت تقول لك سيدتى أين نحن ، فقلت لها نحن الآن بالقادسية فاخبرتها فسمعت صوتا قد ارتفع ناشدا

لمَّا رأينا القادسيَّةَ حيثُ مجتمعُ الرِّفاقِ
وشممتُ من أرضِ الحِجا * زِ نسيمَ أنفاسِ العِراقِ
أيقنتُ لى ولمنْ أُحِبُّ بجمعِ شملٍ واتفاقِ
وضحكتُ من فرحِ اللقا * ءِ كما بكيتُ من الفراقِ

فصاح الناس من أقطار القافلة اعيدى بالله فلم يسمع لها كلمة فلما نزلنا الناصرية على خمس أميال من بغداد فى باتين متصلة تبيت الناس فيها ثم يبكرون ببغداد فلما قرب الصباح اذ السوداء قد اتتنى مذعورة فقالت ان سيدتى ليست بحاضرة فلم أجدها ولا وجدت لها ببغداد خبرا فقضيت حوائجى وانصرفت الى تميم وأخبرته خبرها فلم يزل واجما عليها واخبار القينات

كثيرة فنقتصر منها على هذا القدر

— محاسن الجوارى مطلقا —

قيل كان يقال من أراد قلة المؤونة وخفة النفقة وحسن الخدمة وارتفاع الحشمة فعليه بالاماء دون الحرائر ، وكان مسلمة بن مسلمة يقول : عجبت لمن استمتع بالسرارى كيف يتزوج المهائر ، وقال السرور باتخاذ السرارى وكان أهل المدينة يكرهون اتخاذ الاماء أمهات أولادهم حتى نشأ فيهم على بن الحسين بن على رضى الله عنهم وفاق أهل المدينة فقها وعلما وورعا فرغب الناس فى اتخاذ السرارى قال وليس من خلفاء بنى العباس من أبناء الحرائر الا ثلاثة السفاح والمنصور والامين والباقون كلهم أبناء الجوارى وقد علقت الجوارى لانهن يجمعن عز العرب ودهاء العجم

— ضده —

إذا لم يكن فى منزل المرء حرة * رأى خللا فيما تولى الولائد

فلا يتخذ منهن حرا قعيدة * فهن لعمر الله شر القعائد

وكان يقال ، الجوارى كخبز السوق والحرائر كخبز الدور ، ومن أمثال العرب لا تمازح أمة ولا تبك على اكمة . وقال بعضهم لا تفترش من تداولتها أيدى النخاسين ووقع ثمنها فى الموازين وقال لا خير فى بنات الكفر وقد نودى عليهن فى الاسواق ومرت عليهن أيدى الفساق

— محاسن الموت —

فى الحديث المرفوع الموت راحة وقال بعض السلف ما من مؤمن الا والموت خير له من الحياة لانه ان كان محسنا فالله يقول « وما عند الله خير للابرار » وان كان مسيئا فالله تعالى جده يقول أيضا « ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملى لهم خير لانفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما » وقال ميمون بن مهران أتيت عمر بن عبد العزيز فكثر بكاؤه ومسئلته الله الموت فقلت يا أمير المؤمنين نسأل ربك الموت وقد صنع الله على يدك خيرا كثيرا أحييت سننا وأمت بدعا وفعلت وصنعت ولبقائك رحمة للمؤمنين ، فقال ، الا أكون كالعبد الصالح حين اقر الله عينه له امره قال « رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تاويل الاحاديث » الى قوله « والحقنى بالصالحين » فما دار عليه اسبوع حتى مات رحمه الله قالت الفلاسفة لا يستكمل الانسان حد الانسانية الا بالموت لان حد الانسانية انه حد ناطق ميت وقال بعض السلف ، الصالح اذا مات استراح والطالح اذا مات استراح منه قال الشاعر

وما الموت إلا راحة غير انه * من المنزل الفانى إلى المنزل الباقى

وقال آخر

جزا اللهُ عنا الموتَ خيرًا فإنَّهُ * أبرُّ بنا من كلِّ برٍّ وأرأفُ
يُعجِّلُ تخليصَ النفوسِ من الأذى * ويُدنى منَ الدَّارِ التى هى أشرفُ

وقال منصور الفقيه

قد قلتُ إنْ مدحوا الحياةَ فأسرفوا * فى الموتِ ألفُ فضيلةٍ لا تُعرفُ
منها أمانٌ بقائه بلقائهِ * وفراقُ كلِّ معاشرٍ لا يُنصفُ

وقال أحمد بن أبى بكر الكاتب

منْ كان يرجو أن يعيشَ فإننى * أصبحتُ أرجو أنْ أموت فاعتقا
فى الموتِ ألفُ فضيلةٍ لو أنَّها * عُرفتْ لكانَ سبيلهُ أن يُعشقا

وقال لنكك البصرى

نحنُ واللهِ فى زمانٍ غشومٍ * لوْ رأيناهُ فى المنام فزعنا
أصبحَ الناسُ فيهِ من سوءِ حالٍ * حقَّ منْ مات منهمْ ان يُهنا

— ضده —

فى الحديثِ المرفوع أكثروا ذكرَ هاذم اللذات يعنى الموت ، قال الشاعر

يا موتُ ما اجتفاكَ من نازلٍ * تنزلُ بالمرءِ على رغمه
تستلبُ العذراءَ من خدرها * وتأخذُ الواحدَ من أُمَّهِ

وقال

وكلُّ ذى غيبةٍ لهُ إيابٌ * وغائبُ الموتِ لا يؤوبُ

وقال بعضهم الناس فى الدنيا اغراض تنتضل فيها سهام المنايا وقال ابن المعتز الموت كسهم مرسل اليك وعمرك بقدر سفره نحوك وقال بعضهم الموت أشد مما قبله وأهون مما بعده ونظر الحسن رضى الله عنه الى ميت يدفن فقال ان شيئا أوله هذا لحقيق ان يخاف آخره وان شيئا هذا آخره لحقيق أن يزهد فى أوله وسئل بعض الفلاسفة عن الموت فقال مفازة من ركبها ضل خبره وعفى اثره والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

﴿ تم الكتاب بعون الملك الوهاب ﴾

﴿ فهرس كتاب المحاسن والاضداد ﴾

صحيفه		صحيفه		صحيفه	
٠٢	مقدمة الكتاب	٣٦	محاسن الوفاء	١١٠	محاسن التزويج
٠٣	محاسن الكتابة والكتب	٣٨	ضده	١١٣	أمثال فى التزويج
٠٥	ضده	٣٩	محاسن السخاء	١١٥	فى الناشزة من النساء
٠٦	محاسن المخاطبات	٤٤	مساوى البخل	١١٨	ماجاء فى نساء الخلفاء
٠٨	ضده	٥١	محاسن الشجاعة	١١٩	ماجاء فى المطلقات
٠٩	محاسن المكاتبات	٥٦	ضده	١٢٢	محاسن وفاء النساء
١١	ضده	٥٩	محاسن حب الوطن	١٢٦	ضده
	محاسن الجواب	٦٣	ضده	١٣١	محاسن مكر النساء
١٢	ضده	٦٤	محاسن الدهاء والحيل	١٣٣	مساوى مكر النساء
١٣	محاسن حفظ اللسان	٦٧	ضده	١٣٤	محاسن الغيرة
١٤	ضده	٦٨	محاسن المفاخرة	١٣٨	أخبار الشعراء فى الباب
١٥	محاسن كتمان السر وضده	٨٠	ضده	١٣٩	أخبار وأمثال فى الباب
١٨	محاسن المشورة وضده	٨٢	محاسن الثقة بالله سبحانه	١٤٤	مساوى شدة الغيرة
١٩	محاسن الشكر		ضده	١٤٨	محاسن القيادة
٢٠	ضده	٨٣	محاسن طلب الرزق	١٦٩	محاسن الدبيب
٢٢	محاسن الصدق		ضده	١٧١	ضده مساوى الدبيب
٢٣	ضده	٨٥	محاسن المواعظ	١٧٣	محاسن الباه
٢٥	محاسن العفو	٨٦	ضده	١٧٤	ضده فى مساوى العين
٢٦	ضده	٨٦	محاسن فضل الدنيا	١٧٥	محاسن النيروز والمهرجان
٢٧	محاسن الصبر على الحبس	٨٧	ضده	١٧٨	محاسن الهدايا
٢٩	ضده	٩٠	محاسن الزهد	١٨١	التلطف فى الهدايا هدايا النيروز
٣٠	محاسن المودة	٩٢	ضده	١٨٣	هدايا الفصد
٣١	ضده	٩٣	محاسن النساء النادبات	١٨٧	محاسن الوصائف المغنيات
٣٢	محاسن الولايات	٩٦	محاسن النساء الماجنات	١٩٠	محاسن الجوارى مطلقا
٣٣	ضده	١٠٢	محاسن النساء الاعرابيات		ضده
٣٣	محاسن الصحبة	١٠٢	محاسن النساء المتكلمات		محاسن الموت. وضده
٣٤	ضده	١٠٦	محاسن النساء مطلقاً		
٣٥	محاسن التطير				
	ضده				

Restored through
a grant from

The Cartwright Foundation